



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة تلمسان



مجلة منبر التراث الأثري

مجلة علمية محكمة تهتم بالبحوث والدراسات في مجال التراث الأثري

تصدر عن مخبر التراث الأثري و تميمينه - جامعة تلمسان

العدد الخامس - ديسمبر 2016

2012 - 4129

ISSN: 2335 - 1500

مجلة منبر التراث الأثري

مجلة علمية محكمة تهتم بالبحوث والدراسات في مجال التراث الأثري

تصدر عن مخبر التراث الأثري وتثمينه- جامعة تلمسان

العدد الخامس - 2016 minbarettourath@gmail.com

مديرالمجلة: أ.د. معروف بلحاج balmar2004@yahoo.fr

رئيس التحرير: د. بلجوزي بوعبدالله beldjouzia@Yahoo.fr

هيئة التحرير:

د. جودي محمد

د. بن حمو محمد

د. يوسف امال

د. يحياوي العمري

د(ة). دحمانى صبرينة

الهيئة العلمية:

د. بلجوزي بوعبدالله (جامعة تلمسان)

د. بن حمو محمد (جامعة تلمسان)

د. يوسف امال (جامعة تلمسان)

د. يحياوي العمري (جامعة تلمسان)

د. جري فتحي (جامعة تونس)

د. ليث شاكر (جامعة العراق)

د. زرارقة مراد (جامعة قالمة)

د. عمروس فريدة (جامعة الجزائر)

د. بوخنوف رزقي (جامعة الجزائر).

أ.د. معروف بلحاج (جامعة تلمسان)

أ.د. شرقي الرزقي (جامعة تلمسان)

أ.د. مهتاري فايزة (جامعة تلمسان)

أ.د. لعرج عبدالعزيز (جامعة الجزائر)

أ.د. بويحياوي عز الدين (جامعة الجزائر)

أ.د. دريسي سليم (جامعة الجزائر)

أ.د. بنعمان اسماعيل (جامعة الجزائر)

أ.د. طيبان شريفة (جامعة الجزائر)

أ.د. مهنتل جهيدة (جامعة الجزائر)

أ.د. سعداوي احمد (جامعة تونس)

أ.د. محمد حسن (جامعة تونس)

أ.د. دحدوح عبد القادر (المركز الجامعي تيبازة)

شروط النشر:

- لا يتجاوز عدد صفحات المقال 25 صفحة ولا يقل عن 10 صفحات.
- أن يكون المقال متخصصا ومسائرا لاهتمامات المجلة ولم يسبق نشره من قبل.
- أن يرفق المقال في بدايته بملخص باللغة الانجليزية مهما كانت لغة البحث.
- أن تكون لغة البحث إما بالعربية أو الفرنسية أو الانجليزية مع مراجعة البحث مراجعة لغوية دقيقة.
- يلتزم الباحث بإجراء تعديلات المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسله إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز 07 أيام.
- أن يكون البحث:
- خط العنوان الرئيسي للمقال يكون بـ 14 simplified Arabic Gras .
- خط العناوين الفرعية بـ 13 simplified Arabic Gras .
- خط المتن بـ 14 simplified Arabic العادي
- خط الهوامش البحث :
- العربية: 12 simplified Arabic العادي
- الأجنبية: Times new Roman 11
- يجب وضع الهوامش في نهاية المقال متسلسلة أليا
- يجب احترام تقنية المنهجية العلمية المتعارف عليها في التهميش كما يلي:
- اسم المؤلف، العنوان، الجزء أو المجلد، الطبعة، الترجمة أو التحقيق، دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر، الصفحة المقتبسة.
- هيئة التحرير غير ملزمة برد الأعمال التي تصلها سواء نشرت أم لم تنشر.

- الآراء والأفكار الواردة في الأعمال المنشورة لا تعبر بالضرورة عن آراء المجلة ولا تعني
إلا أصحابها.

- كل عمل مرشح للنشر على صاحبه إرساله في نسخة مطبوعة ونسخة في قرص مضغوط
أو عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة بصيغة 97 word document-2003.

- بعد صدور كل عدد ترسل نسخة مجانية إلى من كانت لديه مساهمة منشورة في المجلة.

الفهرس

9	افتتاحية
11	مقاربة إثنو-أثرية لمساكن بناة المدافن الميغاليثية د.مراد زرارقة (جامعة قالمة)
27	التراث الصخري والمدن الأثرية في منطقة وادنون فريق البحث الأركيولوجي يتوصل إلى نتائج هامة قد تعيد كتابة تاريخ المنطقة د. بوزيد الغلي(منتدى تراث الصحراء للأبحاث بكلميم – وادنون - المغرب)
39	تبجيل الشهداء في قسطنطينة وضواحيها في الفترة المسيحية-البيزنطية أ.د. ياسين رابع حاجي(معهد الآثار- جامعة الجزائر2)
65	آثار التعمير البشري بمنطقة الأوراس (مسح وادي الطاقدة دراسة حالة) أ. محمد الشريف حسين(قسم التاريخ والآثار- جامعة سطيف 2)
75	الرمزية الوثنية في مدينة كالاما (قالمة) وضواحيها من خلال بعض مشاهد الأنصاب النذرية والجنائزية للفترة القديمة. د. زروال زكية، (المدرسة العليا للفنون الجميلة- الجزائر العاصمة).
95	البناء المعماري للمسجد الإبراهيمي الشريف في مدينة خليل الرحمن هوية عربية وإسلامية د.إدريس محمد صقر جرادات، (مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي –سعيبر- الخليل-فلسطين) أ.محمد دياب أبو صالح، (باحث وزارة الأوقاف-فلسطين)
125	« دراسة التعدييات البشرية وإعادة تأهيل العمائر الدينية الأثرية بمدينة القاهرة تطبيقا على مدرسة أزبك اليوسفي» ربيع راضي عبد القادر سيد مدير عام ترميم قصور ومتاحف رئاسة الجمهورية – وزارة الآثار – مصر. شيماء سيد محمد السيد أخصائية ترميم وصيانة الآثار بالفيوم – وزارة الآثار – مصر.
135	مدرسة مازونة ومسجدها العتيق دراسة أثرية. د. بلجوزي بوعبدالله (قسم الآثار – جامعة تلمسان)

147	قصر موغل بولاية بشار مقارنة تاريخية وأثرية. د. لبترقادة (قسم الاثار – جامعة تلمسان)
163	الحمامات العثمانية في مدينة تلمسان حمام سيدي سليمان أنموذجا. د. محمد بن حمو (قسم علم الأثار- جامعة تلمسان)
177	حصن الكبريت (الليسي) العثماني بدمار اليمينية (1026هـ/1616م) « دراسة آثارية معمارية» د. مبروك محمد الذماري (قسم الأثار والمتاحف - جامعة ذمار – اليمن)
209	حصن تاونت الأثري بمنطقة الغزوات حسب المعطيات التاريخية والشواهد المادية عثماني كريمة (طالبة دكتوراه - مخبر التراث الأثري وتثمينه – جامعة تلمسان)
229	النقود الفضية الموحدية المربعة ضرب مدينة قسنطينة دراسة تحليلية وفنية يحياوي العمري (قسم علم الأثار- جامعة تلمسان)
249	التخزين المتحفي بالمتحف العمومي بسطيف. أ(ة) سي الطيب رشيدة - أ.د بالحاج معروف. مخبر التراث الأثري وتثمينه- جامعة تلمسان
267	المجتمع الجوّاري والاكتشافات الأثرية العفوية.(خربة تليس ومدينة بشيلقا) ببلدية المطارفة ولاية المسيلة. د.(ة). مطروح ام الخير(المركز الوطني للبحث في علم الأثار)
287	جدلية التراث الثقافي والإقليم منصوري محمد (طالب دكتوراه- قصر الثقافة مفدي زكريا – الجزائر)

افتتاحية

إنّ من دواعي السرور أن يضع مخبر التراث الأثري وتثمينه بين أيدي القراء المهتمين بالتراث والعاشقين له العدد الخامس من مجلّته السنوية «منبر التراث الأثري».

نود من خلال هذه الافتتاحية تصحيح خطأ ورد في العدد السابق من المجلة أي العدد الرابع في عنوان المقال الرابع للأستاذ الدكتور بلحاج معروف، حيث يكون العنوان كالآتي: «المصليات الجنازية بمنطقة وادي مزاب «خصائصها المعمارية وواقعها».

يتضمن هذا العدد من المجلة مجموعة مهمة من البحوث والدراسات المتميزة من حيث الموضوع والطرح، فجاءت متنوعة بين الآثار المنقولة وغير المنقولة، ومختلفة من حيث الفترات الزمنية من عصور ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث.

لقد تناولت الدراسات في ما قبل التاريخ موضوعات حول العمارة والرسومات الصخرية بينما غاصت البحوث في العصور القديمة في أعماق الرمزية والصيغ التبجيلية الواردة على الشواهد المادية، وأما الدراسات الإسلامية فقد نال فيها التراث المبني قسطا كبيرا من اهتمام الأثريين، ويبرز ذلك من خلال الحيز الكبير الذي أخذته في هذا العدد من المجلة، فجل البحوث في هذا العصر تطرقت إلى مجال العمارة بأنواعها في مناطق مختلفة من العالم العربي، ولكن هذا لم يمنع من وجود دراسة في مجال المسكوكات، كما لم يخل هذا العدد من البحوث في ميدان علم المتاحف والترميم وفلسفة التراث، ولأوّل مرّة ننشر دراسة في مجال الآثار التجمائية.

وأملنا أن يجد القراء عامّة والآثريون بخاصّة ضالّتهم في غمار هذا الكم المعرفي المطروح أمامهم، ويستفيدون منه أيّما استفادة، ونحن نسعى في كل مرّة من خلال البحوث المنشورة فتح شهية المتخصصين على النقاش وإبداء رأيهم حول التراث الأثري عامة والجزائري بخاصّة والمشكلات التي يواجهها باستمرار من تدهور وتخريب وتدمير وسرقة وتهريب في ظلّ التحديّات الراهنة المختلفة التي يعيشها العالم.

وبناء عليه، فمجلة «منبر التراث الأثري» تبقي صفحاتها مفتوحة لكل الباحثين والمختصين في ميدان الآثار لاحتضان طروحاتهم العلمية والفكرية، وتنتظر منهم المشاركة بقوة في الأعداد القادمة.

وأخيرا نعتذر لقرائنا الكرام عن نشر الصور بألوان الأبيض والأسود، وذلك راجع إلى قلة الإمكانيات المادية، كما ندعوهم للإطلاع على مستجدات المجلة من خلال صفحاتها في الفيسبوك ([facebook.com/minbar.ettourath](https://www.facebook.com/minbar.ettourath)) ، نؤكد دائما أنّ استمرار صدور المجلة يعتمد أساسا على تلك البحوث التي سيرسلونها عبر بريدها الإلكتروني.

تلمسان يوم 15 ديسمبر 2016

مدير المجلة

أ.د بلحاج معروف

مقاربة إثنو-أثرية لمسكن بناء المدافن الميفاليتية

د.مراد زارقة (جامعة قلمة)

ملخص:

في الماضي، تمحورت الأبحاث الأثرية بشأن الفترة ما قبل البونية والرومانية على دراسة الأضرحة والمدافن الميفاليتية، وكان سكان شمال أفريقيا في العصور التاريخية الأولى عاشوا من أجل الاهتمام بالحياة الدينية والجنائزية. هذا ما يستدعي إعادة النظر في أساليب البحث برؤية موضوعية تستلزم القيام بأعمال وإجراء بحوث تسلط الضوء على النمط المعيشي للسكان المحليون بناء المعالم الجنائزية الميفاليتية وشبه الميفاليتية بالشرق الجزائري خصوصا وبشمال إفريقيا عموما. وسوف نبرز في هذا المقال بعض الخصائص والمميزات للهيئات السكنية لهذه المجتمعات بالاعتماد على بعض المخلفات المادية ومقاربة إثنو-أثرية، مشغّلين في ذلك أثر الوسط الطبيعي من معطيات طوبوغرافية في استغلال مواد البناء والاحتماء بالتضاريس المنيعّة.

Abstract :

The researchers were interested in the remains and vestiges of the pre-Roman era in the area of funerary monuments. For the Libyan-Punic period, their work focused mainly on the study of mausoleums and shrines, as if the inhabitants of North Africa at the beginning of historical times lived only to look after the religious and funerary life. Today a reexamination of the lifestyle of the local population is in prospect, in order to highlight the remains of habitats that built near megalithic necropolis large tracts of which I have seen traces around major sites of the East Algeria. We will show in this article, the topographic characteristics and the choice of ground considered as primordial for a defensive construction, with a typically local architecture.

مقدمة:

اهتم الباحثون الدارسون لآثار ومخلفات الحقبة ما قبل البونية والرومانية بالمعالم والأنصاب والشواهد الجنائزية بأنواعها، وكان اهتمامهم أكثر بتسليط الضوء على كل ما يرجع للفترة الليبية والنوميديّة حتى وإن كانت متأخرة مثل الأضرحة التي تلقت اهتماما كبيرا، وكأنّ السكّان المحليون في بداية العصور التاريخية استقرّوا في ربوع شمال إفريقيا بغرض الاهتمام بالحياة الأخرى فقط.

والتساؤل المطروح اليوم يقتضي إعادة النظر في هذه المسألة بمنظور علمي يعتمد على إجراء تحريّات وملاحظات ميدانية لمعرفة مختلف البقايا والمخلفات الأثرية المحيطة بالمعالم الجنائزية وتحليلها تحليلا موضوعيا ومنظور منطقي يتجلى في محاولة فهم سبب اقتصار العمارة ما قبل البونية والرومانية على المعالم الجنائزية، وكأنّ القبائل المغاربية القديمة كانت تسكن في الهواء الطلق أو بداخل المغارات. فكان للمنظور الثاني سببا في معالجة مسألة السكن في هذا المقال، ممّا دفعنا بتشغيل الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في بداية العصور التاريخية وما اكتنفته من اضطرابات وصراعات بين النوميديين والرومان من جهة وبين النوميديين في حدّ ذاتهم كالماسيل والماسسيل من جهة أخرى، وقد تكون حتى ما بين مختلف القبائل والعشائر والعائلات المحلية فيما بينها بصفة عامّة. فيكون لهذه الأوضاع تأثيرات على نمط معيشة السكّان وعلى اختيار أماكن بناء سكناتهم تحت هذا الوضع المضطرب في شكل مجموعات تكون في غالبية الأمر محصّنة طبيعيا وقد تكون تحتوي على أسوار مدعّمة بأبراج في منظومات على شكل قلاع دفاعية منيعة، كما قد تكون معدومة هذه العناصر مكتفية بالتحصين الطبيعي المنيع يحتمي من فوقه لأوقات قصيرة.

قبل الشروع في ذكر أهم خصائص ومميزات السكن التي أقامها القدامى والتي قد تكون ذات صلة بالمعالم الجنائزية المنتشرة في نطاقها الجغرافي. أودّ أن أؤمن رؤية قزيل Gsell. S. بخصوص هذا الموضوع التي تعدّ الأقرب للواقع الذي صادفناه خلال دراستنا الميدانية للعديد من الهياكل غير المدروسة أو المشار إليها وتبقى مجرد اكتشافات جديدة، وهي ذات صلة بالمعالم الجنائزية الميغاليتية وشبه الميغاليتية المنتشرة بمقربة منها أو تتخلّل أرجائها المباشرة، على العكس المطلق بما صرّح به كامبس G. Camps. ممّا قال بأنّ في غالبية الأحيان، تنتشر المعالم الجنائزية الميغاليتية بعيدا عن أيّة مدينة بالجزائر على عكس ما هي عليه في تونس، أين تكون مجاورة للبلدات النوميديّة القديمة.

وقبل الخوض في ذكر ووصف خصائص ومميزات هذه المنشآت والهيئات السكنية من البسيطة والمعزولة منها إلى تلك المعقدة والمجمّعة داخل نظام دفاعي محكم، أودّ أن أعطي فكرة ولو بسيطة على مأوى الأحياء للفترات التي سبقت بقليل أو تزامنت مع نشأة المعالم الجنائزية الميغاليثية والشبه ميغاليثية. وبهذا الخصوص سوف نعلم بدرجة هامة على المصادر القديمة التي وصفت أو ذكرت مختلف أنماط وأنواع هذه المساكن، كما سوف أعتمد على وجهة نظر قزال وبعض الباحثين بخصوص هذه المسألة.

لقد تبين من خلال الأبحاث أنّ قضية استقرار الشعوب القديمة بشمال إفريقيا قد تمّ بشكل واضح منذ الفترات المتأخرة لعصر ما قبل التاريخ، ليتعمّم ويتطوّر خلال العصر الحجري الحديث بما اقتضته حتمية ذلك بعامل استئناس الحيوانات وممارسة الزراعة، ليتعمّق هذا الاستقرار على هيئة مجموعات سكانية معتبرة العدد تتزامن بما يمكن تسميته بحضارة أو ثقافة المباني الجنائزية الميغاليثية التي تنتشر بشكل ملفت للانتباه في الشرق الجزائري والجهة الشمالية الغربية من القطر التونسي بصفة عامة على شكل مقابر مركّزة تعدّ بالآلاف في مناطق معينة تارة ومتفرّقة تارة أخرى بأعداد متوسطة وقليلة في نواحي ومناطق أخرى.

هذا الانتشار الواسع في شكل مجموعات، لا يمكن أن يفسّر سوى باستقرار شعوب هذه المواطن استقرارا كاملا بمحيط ومقربة من معالمهم الجنائزية يستلزم بناء مساكن تأويهم في هيئة مشاتي ومداشر وقرى وحتّى مدنا، كل منها تتماشى وكثافة عدد المعالم الجنائزية. وحتما ينجّر عن هذا الاستقرار ممارسة الفلاحة والزراعة وتربية المواشي بشكل واسع حيث مازالت المخلفات المادية للنشاط الزراعي واستغلال المياه كبناء الحواجز المائية، بارزة في ربوع المدافن والمقابر الميغاليثية.

فعرفت المنشآت والهيئات السكنية بشمال إفريقيا من قبل، وخاصة تلك التي ترجع إلى الفترات ما قبل الرومانية، بكونها هيئات طبيعية محضة كالمغارات والكهوف وأخرى مهيأة بإدخال بعض التعديلات الطفيفة على صبغتها الجلودية أو تضاف لها بعض المرافق والعناصر العضوية كالخشب والجلود التي لا نجد لها أثر مرئي ضمن المخلفات الأثرية خلال الدراسات الميدانية والحفريات، مثلها مثل الهيئات الهشة والخفيفة، المصنوعة من مواد عضوية التي تتميز ببساطة هياكلها كالخيام والأكواخ المتنقلة والثابتة وأخرى صلبة مبنية بالحجارة، غالبا ما تكون محصنة إذا ما كانت بالقرب من المقابر الكبرى ونجد أنواعها كما يلي:

1 - المساكن الطبيعية:

ونحصرها في المغارات والكهوف والملاجئ، فحسب الكتّاب الإغريق واللاتينيين، فكان هناك أقوام وجدوا

دېما يعرفون بسكّان المغاور Troglodytes التي كانت متربّعة بالقرب من الصحراء والصحراء نفسها، ومتواجدة حتى في بلاد البربر.

هذا النمط السكني بقي متداولاً إلى غاية فترات جد متأخرة أين عرفت وبقيت مستغلّة ومستعملة من طرف السكّان خلال القرن العشرين في كل من تونس، الجزائر، المغرب الأقصى وجزر الكناري. أين نجد في بداية العصور الوسطى إحدى القبائل التي تسكن مجموعتها الكبرى ناحية تلمسان، تسمّى باسم بني إفرن (يفرن) ولا شك أن اسمها مشتق من الاسم البربري إفري Ifri أي المغارة. ويضيف قزال بأن هؤلاء الأفارقة أو أجدادهم على الأقل كانوا إذن يسكنون المغارات. كما كان يسكنها جل الغوانش Guanches قبل الاستيلاء الأوروبي على جزر الكناري.

حتى وقت ليس ببعيد يذكر سيناك Seneque حسب قزال بوجود سكان المغارات بمنطقة طرابلس وفي جنوب القطر التونسي وكذلك في الأوراس وفي الغرب الجزائري وبالمغرب الأقصى.

والبعض الآخر منهم حفروا مساكنهم في صخور الطوفة Tuf، كما تكون المساكن في باطن الأرض تارة، وأحيانا تكون على صيغة حجرات مقامة على وجه الأرض خلف الجدار الصخري ينزل عليها عموديا أو ينحني قليلا، وهذا بفضل تكوينه الطبيعي الذي هو عبارة عن جرف أو بروزات، وأحيانا فإن الكهوف الطبيعية أو المهيتة بيد الإنسان تتراكم على جانبي رأس أحد الجبال أو أحد النتوءات الصخرية التي يمكن استخدامها كملجأ.

ويضيف قزال بأن قوّة العادات هي التي سمحت باستمرار هذا النمط من السكنات في بعض المناطق، وكذلك بسبب الفوائد التي يقدمها للناس الذين هم في أغلب الأحوال من البؤساء، فهو سكن لا يستوجب عناية ولا يخشى النار، كما لا يخشى على العموم غيرها من أخطار التهديم، ويسهل به الدفاع ضد ذوي النوايا السيئة، ضد الوحوش، كما أنه ملجأ آمن ضد رداءة الأحوال الطبيعية، فهو لائق صيفا ودافئ شتاء. غير أن هذه الجحور ينقصها الهواء والنور وغالبا ما تكون بها رطوبة مضرّة وتعجّ بالبكتيريا والجراثيم.

2 - المساكن العضوية:

وهي مبنية بمواد عضوية مشتقة كلياً من منتوجات ما توفره الطبيعة، وعادة ما تستعمل فيها نوعيات معينة من النباتات أو من مشتقات ما توفره الحيوانات من جلود وصوف ووبر، ويشغل في بناء أو انتصاب الأكواخ والخيم العنصرين معا (النباتي والحيواني). وعن انتشار وتوزيع هذه الأنماط، فيرى قرال بأنه مرتبط بنمط معيشة مختلف القبائل والعائلات البربرية التي كانت أثناء القرون الأولى للميلاد يمارسون تربية الماشية، وكان الذين بالتل يسكنون أراضي متوقفة بصفة جيدة على الكلاً والمراعي والماء، يمكنهم أن يعيشوا حياة وكأنها حياة الحضر.

وإذا فرض الجفاف عليهم أن يذهبوا بعيداً لقضاء الصيف، فلم يكن نادراً أن يقيموا طويلاً بالمكان الذي اختاروه. لكن ماشيتهم كانت هي ثروتهم الوحيدة، فقد كان لابد لهم أن يكونوا على استعداد لإنقاذها بالهروب بها من هجمات الناهبين، (خوف استمر وأثر على المبيت بالأكواخ برفقة الحيوانات) وكان هذا الخوف يدفعهم لتفضيل الملاجئ المتنقلة على المساكن الثابتة. والرعاة الذين يقيمون بالبراري في فصل الشتاء، كانوا مرغمين على التنقل بها كثيراً، حتى إذا جاء الصيف فإنهم ينتقلون في هجرات طويلة إلى التل أو إلى جبال الجنوب. وكان لابد لهم أن يحملوا معهم مساكنهم، إذ لم يكن لهم لا الوقت ولا الوسائل المعتادة لإقامة مسكن في كل مرحلة نزول.

قد يكون الأمر في الوقت الحالي مختلف قليلاً، كون الرحل في شمال إفريقيا يأوون إلى خيام متفاوتة في الحجم، تجمع فيها شرائط طويلة منسوجة من الصوف أو من وبر الجمال وشعر الماعز. هذه الخيام كانت تحمل مع بعض الأعمدة والأوتاد على ظهور الدواب كما أنها تقام وتفك في وقت قصير، وإذا تجمعت على شكل دائرة (هذا هو المعنى العربي للفظ الدوّار) فإنها تكون ما يشبه نطاقاً تتجمع به القطعان كل مساء. وليست الخيام مساكن للرحل فحسب، بل أن بعض المستقرين الذين يملكون الدور يفضلون أن يعيشوا في الصيف تحت الخيام، لأنها أكثر اعتدالاً في الليل وأسهل في حمايتها من الحشرات الضارة بها.

انتشرت هذه الخيام متأخرة عند البربر وكان اتخاذهم لها بعد الفتح الإسلامي على الخصوص، اقتداءً بالفاتحين. ففي القرن الثامن للميلاد كان عدد كبير منهم لديهم خيام شبيهة بخيام العرب، ولكن يحتمل أن البعض منهم كانت خيام قبل هذا العهد وترجع إلى عهود قديمة جداً. فالشاعر الإفريقي كوريبوس Corripus ذكر قبل ذلك بقرنين وفي عدة

مناسبات، وجود الخيام Tentoria عند الأهالي الذين كانوا يحاربون البيزنطيين كما كانت لديهم الجمال كذلك وهي حيوانات كانت نادرة الوجود في بلاد البربر لغاية الثالث ميلادي وقبل هذا التاريخ كانت مستخدمة بكثرة في جنوب هذه المنطقة في عهد الإمبراطورية السفلى، ومن المعتاد أن الخيام تصنع من وبر الجمال، كما أن الجمال على الخصوص هي المستعملة في حملها لأن الخيام في العادة أثقل من أن تحملها دواب أخرى. من حيث المادة والحجم فإن الخيام التي تحدث عنها كوريبوس يمكن أنها أشبهت التي حملها الجمالون العرب من المشرق في القرن السابع الميلادي، ولكن هذا ليس أمراً أكيد، إذ يمكن أيضاً أن نفترض أن هذه المأوي كانت مصنوعة على نمط الخيام التي كانت تستعملها الجيوش البيزنطية.

وهناك خيام صغيرة من الجلد مشدودة بأوتاد خشبية شبيهة بتلك التي لا يزال الطوارق يستعملونها حتى اليوم. فالخيمة التارقية تعدّ بمثابة السكن العائلي التي يلجأ إليها حين تهب الرياح الرملية الهوجاء وخلال الظروف المناخية القاسية من قَرّ وحرارة شديدين. ويبدو أنها استعملت عند الأفارقة منذ عهود قديمة وبعيدة .

ولاشك أن هذه هي خيام الجلد التي كان يملكها شعب أو قبائل المشاوشا Maschaoucha الذين قام المصريون بحاربهم في عهد الأسرة 19، وربما أنها أيضاً هي مأوى بعض العشائر التي سمّاها بعض الكتاب المتأخرين عن العهد المسيحي باسم السكينيت Scenites. والجدير بالذكر أن لفظ سكينيت اليوناني لا يعني الخيمة بالتأكيد وإنما أطلق على الأكواخ الثابتة والمتنقلة. ويحتمل أن بعضاً من الأهالي قد اتخذوا الخيمة في حملاتهم الحربية، على غرار الجيوش الرومانية التي كانوا يحاربونها أو يحاربون معها وعلى الخصوص منهم القادة الكبار والأمراء والملوك. وبهذا فخيمة ماسنيسا وخيمة نابلسا مساعد يوغرطة لا بد أنهما لم تكونا مأوى بئسمة شبيهة بتلك التي يستخدمها الرحّل.

أمّا النوع الأهم من هذه المساكن الثابتة والمتنقلة ذات الطبيعة العضوية والمتمثلة في الهياكل الخشبية وباقي المكونات النباتية، فكثيراً ما جرى ذكرها منذ القرن الخامس ق.م إلى غاية السادس الميلادي. وكانت تصنع خصيصاً من المواد النباتية مثل نبات البرواق Asphodèles (الصورة 1) والأسل (السّمّار) (Juncus effusus) (الصورة 2) والبرواق المشبّك بالسّمّار ومن القصب وتبن الحصاد.



الصورة 1: نبات البروق *Asphodele*. (تصوير م. زراقة)



الصورة 2: نبات السّمّار (*Juncus effusus*). (تصوير م. زراقة)

بخصوص تسمية المساكن المتنقلة، استعمل الإغريق واللاتينيون أحيانا ألفاظا مبهمه لها معنى الدار، والكوخ، وعند كوريبوس نعثر على لفظ كناي *Cannae* الذي يدل على المادة التي صنعت منها وهو القصب. وهذا الشاعر يعارض بين كناي عند الأهالي وبين تنتوريا التي عند الجيوش البيزنطية.

لكننا نعثر أكثر من ذلك عند اللاتينيين على لفظ لا يستعملونه إلا للدلالة على مساكن الأفارقة. وهذا اللفظ يرد دائما بالجمع، وعلى صيغتين هما مغاليا *Magalia* التي أطلقت على مساكن الأحياء الفقيرة بمدينة قرطاجة البونيقية، وهو اسم قريب الشبه بـ *Mapalia* الذي قد يكتب أيضا بـ *Mappalia*. ولا شك أن الأمر يتعلق بمجرد اختلاف في الكتابة. و *Mapalia* هو الأكثر استعمالا، واللفظ اغريقي لا شك فيه. ومن الكتاب القدامى من يبدو أنه يعتقد بأنّ له أصلا أهليا، ويرى سرفيوس *Servius* بأنه لفظ بوني.

هذا النوع من المساكن، يدرجه شنييتي (م.ب) ضمن المسكن المحلي، حيث يرى بأن الإنسان المغربي (الليبي) قد احتذى في بداية الأمر من قساوة الطبيعة وضراوة الحيوانات البرية بمساكن بدائية أقام بناءها من عيدان وجعل سقفها بالعشب الجاف أو الهشيم.

وقد أطلق اللاتينيون كذلك لفظ مباليا على مساكن المستقرين الأفارقة، لأن هذه المساكن التي يأوي إليها الفقراء لا بد أنها مثل المباليات المتنقلة، كانت مصنوعة من المواد النباتية على الخصوص.

وهنا يطرح قزال تساؤل منطقي عن معنى لفظ مباليا، الذي يعني بصفة عامة مساكن بنيت على هذا النحو سواء أكانت ثابتة أو متنقلة، وقد ترجم هذا المصطلح بعبارة «قري Gourbi» لكن Ch. Le coeur هذه الترجمة وقال بأن القري هو سكن مستقر لا يتناسب مع النمط المعيشي الذي يمنحه الكتاب القدامى لأصحاب المباليا من الرعاة النوميدين، فلما يتحدث الرومان على البيوت المستقرّة في الأرض Chaumieres fixes، فيستعملون عبارة تيقور يوم Tigurium ، وهناك ألفاظا أخرى ليست مرتبطة بإفريقيا، فهناك لفظ إغريقي وهو باللاتينية Tiguria ولفظ نادر آخر Attegiae الذي استعمله جوفينال Juvénal أثناء الحديث عن الموريين، وهو لفظ ذو أصل مجهول عثر عليه في إحدى النقوشات اللاتينية بألمانيا.

ولا بد أن أكواخا ثابتة قد أقيمت منذ عهود قديمة جدا وتكون مع مرور الزمن قد صلحت لبعض المزارعين الذين كانوا يعيشون متفرقين في البوادي فالأسفوديل قوم يحتمل أنهم حملوا هذه التسمية بسبب أكواخ البرواق التي كانوا يسكنونها، وحسب ما يظهر فإنهم كانوا قبيلة بالشمال الغربي للقطر التونسي. غير أن هذه الجهة المتوفرة والمستقبلة لكميات معتبرة من تساقط الأمطار، لم تكن المساكن بها مباليات متنقلة أي مساكن الرحل. وكانت أكواخ مماثلة لهذه تأوي الجيوش التي ترجع لمعسكراتها حين تتوقف العمليات الحربية. أين ذكر بوليبي Polybe بأن جيوش سيفاكس كانت تعسكر في خيام من القصب والأوراق.

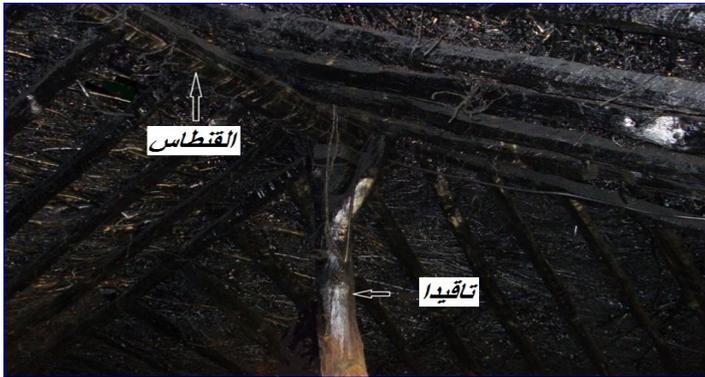
وفي فترات ليست بالبعيدة، حيث يتحدث ابن خلدون عن إحدى القبائل التي كانت تقيم ما بين تلمسان وفاس إبان الفتح الإسلامي وهي قبيلة مئغارة، كانت تقطن في سكنات ثابتة مصنوعة من النباتات المتشابكة.

هذه كانت هي الأكواخ التي ارتضاها كثير من الأفارقة خلال الزمن والقرون أين بقيت متداولة ومستعملة إلى زمن ليس ببعيد وعينات منها مازالت متواجدة في يومنا هذا وهي

أكواخ (نوالات) gourbis تتكون جدرانها من القصب ومن الأغصان المشبكة والأعواد اللينة، وسقفها أيضا من المادة النباتية والتي تكون من نبات الديدس أو من تبن الحصاد. فهي مساكن بحجرة فريدة، وليس بها سوى فتحة واحدة ضيقة هي الباب. ولا أسهل من بناء هذه الأكواخ حينما تتوفر المواد الأولية.

وإذا أصيبت كثيرا من التلاشي، وإذا الحشرات جعلتها لا تطاق حقيقة، فإنها تترك وتحمل أعمدتها التي كانت تحمل السقف ولا تزال صالحة، ثم تقام نواله جديدة قريبة أو بعيدة من تلك القديمة. وتطلى الجدران بطلاء من التربة الطينية المخلوطة غالبا بروت الأبقار وذلك نافع يقي من البرد ومن أشعة الشمس الحارة وأحيانا أخرى تطلى من الداخل بمادة القطران وهي مادة مطهرة تقضي على تجمع الحشرات على الهياكل الخشبية من الركائز العمودية المعروفة بالتاقيدا Taguida والعوارض الأفقية المسماة بالقنطاس Guentas .

ويحتمل أن هذه الطريقة المستعملة بكثرة في طمس الشقوق، كانت مستعملة منذ عهد بعيد بحكم أجدادنا المباشرين لم يخترعوا ولم يبتكروا هذه التقنيات والهيئات السكنية، بل ورثوها عن آبائهم وأجدادهم فتعدّ بمثابة إرث معماري منقول من الأسلاف وتعود إلى عصور ضاربة في عمق التاريخ. (الصورة 3)



الصورة 3: كوخ خشبي مطلي بالقطران. (تصوير م. زرارقة)

أمّا عن أشكالها فإن جل الأكواخ الحديثة ذات شكل مستطيل بسقف مسنّم، غير أنّ الشكل المستدير ذو السقف المخروطي يوجد بالمغرب الأقصى وفي منطقة طرابلس، وهو بهذه المناطق من أصل سوداني. ونجده بعيدا إلى الشمال بوسط القطر التونسي. وفي بلاد القبائل الكبرى يستعمل الشكل الدائري ليس للسكن كون المساكن من الحجر، إنما هو لخرن

التبن وبدون شك أن بربر هذه الأرض لم يستعيروه من السودان¹.

منذ النيوليتي بنيت الأكواخ المستديرة في عدة مناطق من حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي أوروبا الوسطى والغربية. وربما مثل ذلك قد حدث بشمال إفريقيا. فالرومان عرفوا بهذه الأرض مباليات لها هذا الشكل المستدير، وهو ما ذكره كاتون القديم Caton l'ancien² والقديس جيروم Saint Jérôme الذي شبهها بالأفران. والحديث هنا يعني المباليات الثابتة. ولكن البوادي الإفريقية عرفت أيضا، حسب شهادة سالوست أكواخ ممدودة الشكل بسقف له جوانب منحنية. فكانت تشبه هيكل سفينة مقلوبة. هذا الشكل الممدود والمتطاوّل هو الذي غلب في الاستعمال بسقف مسنم. وحتى في بعض الجهات فإن الجهة الجانبية للسقف يذكرنا بالقسم الغاطس في الماء من هيكل السفينة³. (الصورة 4)



الصورة 4: سكنات ممدودة وذات شكل سفن مقلوبة من الظفائر بقرية دازا بالتبستي⁴

إن الأكواخ التي من المواد النباتية تحرق بها مخاطر كبيرة، إذ يمكن أن تكون طعمة سهلة وسريعة للنيران التي إذ دفعت بها الرياح خلال مجموعات المساكن، فإنها تحدث الأضرار في وقت قليل. وفوق ذلك فإن هذه الأكواخ ذات جدران رقيقة لا تكفي للوقاية من البرد والحر.

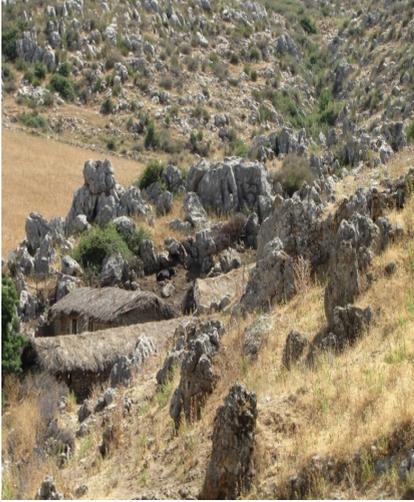
3 - المساكن المرگّبة:

انتشار الهياكل السكنية المزدوجة التركيبية عضوية وحجرية فهي حسب رأينا كانت سائدة عند كل أصحاب المعالم الجنائزية المنتشرة في شكل مجموعات صغيرة أو معزولة

والواقعة على أراضي ومناطق تبعد بكثير عن السلاسل الجبلية والجبال الحصينة طبيعياً التي قد يلجأ إليها خلال الشعور بالخطر، وبهذا نعتقد بأن أصحابها سكنوا ودفنوا موتاهم في فترة كان يسود فيها الهدوء والسلم، ومن المرجح أن تكون سابقة للفترة الرومانية، كون العديد من هياآت أخرى نجدها مرتبطة جغرافياً مع المعالم الجنائزية وكأن اختيار موقع المقابر سبقه اختيار مكان السكن كما هو الحال في مواقع تيركابين، ايشوقان، طبطابة وتيساليا المترتبة على تضاريس منيعة الذي توفر وتضمن أمن وسلامة السكان وهذا ما أئسناه في أرض الواقع.

إن مسألة وجود هياآت سكنية صلبة متزامنة والمخلفات الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية وردت في تقرير M.T. Hamy سنة 1904 أين يعتقد بوجود في إحدى التجمعات الجنائزية للمنطقة الشمالية الغربية لموقع هنشير لحجر بالنفيضة في تونس، على هياآت في حالة ركام، تعين له بأنها تمثل بقايا مدينة الأحياء المجاورة لمدينة الموتى، ويقول بأنه لا يمكنني الرؤية بوضوح لبقايا الجدران والغرف والأبراج، والتي فهمتها لاحقاً بعد معاينتي لأطلال أخرى أقل ضرراً، وهي آثار لبلدة تحيط بمختلف جهات هنشير لحجر⁵.

بقايا جدران الهياآت السكنية والمتمثلة في نموذجين، إحداها عبارة عن ما تبقى من الأجزاء السفلية ذات النظام المزدوج بمعنى كل جدار مساره متكون من صخور كبيرة نوعاً ما يملأ ما بينهما بحجارة صغيرة التي نعتقد بأنها ناتجة من شظايا عمليات التشذيب. قد يكون علو هذه الجدران قبل الانهيار أو الهدم قصد عمليات إعادة استعمال الحجارة، يصل إلى غاية السقف كما هو الحال في البيوت التي زالت بشكل محسوس وسريع ابتداء من السبعينيات من القرن الماضي وما بقي منها سوى عيّنات نادرة في المشاتي والبيوت المعزولة في الرّيف والتي حوّل جُلّها كـ «زريبات» للحيوانات (أنظر الصورتين 5، 6).



الصورة 6: أكواخ حجرية وعضوية مموّهة في وسط صخري بجبل الطاية. (تصوير م. زرارقة)



الصورة 5: كوخ ذو جدران حجرية وسقف من الخشب والسّمّار بالطارف. (تصوير م. زرارقة)

أما النموذج الثاني فقد يكمن في بناء جدران تصل إلى مستوى معيّن فوق سطح الأرض ويبنى ما تبقى من علو بواسطة الطّوب تفاديا لتعرّض هذه المادّة الطينية والترابية مع السطح لعزلها عن الرطوبة ومجري مياه الأمطار، هذه الطريقة مازالت أثارها مرئية في بعض البيوت الأوراسية وغيرها وهي مناطق ذات مناخ ممائل أو متقارب بمناخ الشرق الجزائري. وخير مثال على هذا النمط، عثرت عليه بمقبرة جبل مزيلة الميغاليثية حيث تنتشر العديد من الجدران من النظام المزدوج البارزة فوق سطح الأرض في أماكن مرتفعة تتخللها منحدرات وشعاب عميقة، بعضها له مسارات طويلة نوعا ما تنقطع تارة لتعود في البروز في أماكن أخرى والبعض الآخر يشكل حلقات دائرية قد تكون لحويطات الحيوانات انهارت وانجرفت منها العديد من الصخور نحو الأسفل والتي تبرز مدى ارتفاع هذه الهياكل في الأصل (الصورتين 7، 8)



الصورة 8: جانب من الحويطة الحجرية بجبل مزبلا. (تصوير م. زرارقة)



الصورة 7: بقايا جدران من النظام المزدوج بجبل مزبلا. (تصوير م. زرارقة)

عدا المعالم الجنائزية، عاين الرائد مومني بقايا مختلف الهيئات الأخرى بالمنطقة، أين جعل مقارنة ما بين البنايات المنجزة من طرف السكان المحليين للقرن الماضي بتلك المتزامنة والفترات القديمة والخاصة بالسكان البربر. فيرى بأن هناك تشابه واضح في المخطط العام للهيئات السكنية وكذا في تركيبية الجدران.

السكنات الحالية حسب حدّ قوله (التي ترجع إلى نهاية القرن التاسع عشر) فهي مطابقة للقديمة حيث يسبقها فضاء «حوش» مستطيل مبني بجدار ذو هيئة مستطيلة الشكل مرصوص بحجارة عديمة الملاط يقدر علوه ما بين 0.80 م. و 1.00 م.، بداخله كانت تجمّع الحيوانات خلال الليل، وفي إحدى زوايا هذا الفضاء يوجد سكن صغير للأشخاص وهو عبارة عن غرفة بسيطة ذات شكل مستطيل مغطاة بالقش Chaume والقصب، وهذا التخطيط نجده بعينه على جميع المخلفات ذات التركيبة الثخنة المترتبة في سهل الهوارة، نجدها واضحة على السطح بمقادير جد كبيرة ومركبة بكيفية جيّدة. فهذا المثال يعود لمشاتي واقعة ما بين ربوات لوساليت بأم البواقي وغيرها من الأماكن المنتشرة بالمنطقة.

أمّا عن تركيبية الجدران، فهي مبنية بواسطة حجارة مرصوصة من دون ملاط، فهي على

النمط القديم، عبارة عن خطوط مزدوجة من صخور كبيرة مغروسة بعمق في الأرض، جاعلة فراغ ما بينها يتراوح ما بين 0,50 م. و0.60 م. والذي يملأ فيما بعد بالحجارة، هذه الجدران كثيرة العدد في المنطقة وخاصة بالسهل المحصور ما بين عين الكرشة، عين الفكرون، القريون وربوات لوساليت، فبقايا هذه الجدران ترسم في الأرض مساحات مستطيلة والتي هي حتما فضاءات لحيوانات السكّان⁶.

وحسب الأبحاث المتقدّمة في هذا المجال، والتي نعتمد فيها على تقرير البعثة التونسية الإسبانية المنجزة في السنوات العشرة الأخيرة على موقع ألتيبوروس Althiburos، أين عثر على آثار وبقايا سكنات هذه الفترة متناثرة هنا وهناك بسبب إعادة استعمال الموقع لفترات زمنية لاحقة ترجع للفترة الرومانية إلى غاية الفترة الإسلامية الوسيطة

ومن ضمن ما عثر عليه في الطبقات العميقة للموقع تمّ تفسيره بوجود ثلاث حقب مدرجة في الفترة النوميديّة، قسّمها الفريقان⁷ إلى :

- الحقبة النوميديّة القديمة، وتعود على الأقل إلى القرن التاسع ق.م لتتواصل إلى غاية القرن الثامن أو بداية السابع ق.م وهذا بناء على تأريخات بالكربون 14 أجريت على عيّنات من الفحم والعظام استخرجت من الوحدات الطبقيّة US 290432 بتأريخ يتراوح ما بين 820 و1000 ق.م، US 290433 بتأريخ يتراوح ما بين 840 و1020 ق.م وأخيرا US 290438 بتأريخ يتراوح ما بين 810 و1000 ق.م.
- الحقبة النوميديّة الوسيطة، وتنحصر مع أقصى نهاية القرن السابع ق.م إلى غاية نهاية القرن الخامس أو بداية الرابع ق.م ممثّلة في طبقة رقيقة من الترسّبات الرمادية تحتوي على بقايا عضويّة للبقول الجافة وشقفة لكأس coupe قرطاجي ذو بطانة حمراء ذات كتف على الجانب carené وحافة مرتفعة بالإضافة إلى شقف لأنفورة قرطاجية أيضا ذات شكل بيضوي وقاعدة لقدم.
- الحقبة النوميديّة الحديثة، وتمتد من القرن الرابع ق.م إلى غاية بداية فترة الأمبراطورية الرومانية. تميّزها وفرة الفخريّات المستوردة من السواحل التونسية وأهمها قرطاجة بوجه الخصوص ونادرا ما تكون من اليونان أو إيطاليا.

خاتمة:

بغض النظر عن الملاحظات المستنتجة من المعايينات الميدانية لمختلف البقايا المادية، والتحليل الوصفي للوحدات الستراتيغرافية المتمثلة في أثار الأسس والجدران، والتي استنتجنا بأنها تعود إلى بقايا هياكل سكنية ذات صلة بالمعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية. تبقى التنقيبات الأثرية وحدها الجديرة بتسليط الأضواء على المعرفة أكثر مما قد تكتنزه طبقات هذه الهياكل السكنية المتطرق إليها في هذا البحث من معطيات تاريخية ومعمارية وفنية وكذا مختلف جوانب الحياة اليومية.

هوامش البحث:

1. - CAMPS G., Aux origines de la Berbèrie, monuments et rites funéraires protohistoriques de l'Afrique du nord. A.M.G., paris. 1961, P. 51.
2. -GSELL S., Histoire ancienne de l'Afrique du nord. T. V., Paris, 1927, p.213.
3. -GSELL S., Op. Cit. P. 213.
4. - IBID., P.215.-
5. -IBID. P. 215.
6. -IBID P. 216.
7. -IBID., P.216217.-
8. -IBID., P.218.
9. - شنيتي محمد البشير، تطور المسكن الريفي في شمال إفريقيا قديماً. دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية، العدد 01، جامعة الجزائر، 2001، ص.14.
10. -شنيتي محمد البشير. نفسه ص.14.
11. -Gobert E.G., Les grains d'enfilage en test d'œuf d'autruche, Rev. Tun.T. XL, 1938, P.343.
12. -CIL XIII N° 6054.
13. -Polybe XIV, 1,7
14. -IBN KHALDOUN, Histoire des Berbères, traduction de Slane, I, 2003, P. 237
15. -GSELL S., Op. Cit. P. 222.
16. -MAPALIA vocantur ubi habitant, ea quasi cohortes rotandae sunt.
17. -GSELL S., Op. Cit., P.222223.-

18. -LE CCEUR ch., Les mapalia Numides et leur survivance au Sahara. Hespéris, T. 24, 1937, P.31.
19. -HAMY M.T., Cistes et nécropoles Berberes de l'Enfida, Tunisie moyenne. Etude ethnographique et archéologique. B.G.H.D., N°1. 1904, P.51
20. - Cdt MAUMENE., Les monuments mégalithiques des hauts plateaux de la province de Constantine. Rev. Arch., T. XXXIX. 1901, PP. 2627-.
21. -KALLALA N. et SANMARTI J., ALTHIBUROS I, La fouille dans l'aire du capitole et dans la nécropole méridionale, Documenta18, 2011, P. 3133-.

التراث الصخري والمدن الأثرية في منطقة وادنون فريقي البحث الأركيولوجي يتوصل إلى نتائج هامة قد تعيد كتابة تاريخ المنطقة

د. بوزيد الغلي (مبتدى تراث الصحراء للأبحاث بكلميم – وادنون - المغرب)

ملخص:

تسلط هذه المقالة النور على جانب من التراث المادي الذي تشتهر به منطقة وادنون الواقعة شمال الصحراء، بدءاً من التراث الصخري الذي كشفت البحوث الأركيولوجية الميدانية ثراه وأهميته، إذ النقوش الصخرية في عدة مواقع مثل : موقع أدرار نزرزم قرب تاغجيجت، واد فياض الكرة ضواحي مدينة الزاك...)، كما أن المدافن ومختلف مظاهر العمارة الجنائزية تعتبر وثائق مادية تسهم في التأريخ للمنطقة، وقد تمكن فريق البحث الأركيولوجي الإسباني المغربي من «اكتشاف أكثر من 270 موقع أثري يعود لما قبل التاريخ، فضلا عن مدن العصر الوسيط مثل نول لمطة وتكاوست.

Abstract :

This article sheds light on a part of the material heritage, which is famous and important for the oued-noun region situated in the north of Sahara ; including the rock heritage whose importance and richness were revealed by the field archeological researches. There are rock carvings in several locations such as: the location of the Adrar Nzerzm near Taghjijt, Oued Koor AlFayyad in the out skirts of Zag...). Besides, the tombs and the different features of the funerary architecture are material sources contributing to the history of the region. A spanish-Moroccan archeological research team discovered more than 270 pre-historic sites in addition to medieval cities such as Noul Lamta and Tagaoust.

مقدمة :

أسفرت الأبحاث الأركيولوجية المنجزة بمنطقة وادي نون من قبل فريق بحث أركيولوجي إسباني- مغربي عن اكتشاف لقي ونقوش صخرية تعود لعصور ما قبل التاريخ

وبقايا مدن أثرية تؤيد ما سجله الرحالة السابقون من أمثال ليون الإفريقي في كتابه «وصف إفريقيا» عن حضارة المنطقة في العصر الوسيط وعلاقاتها التجارية مع دول البحر الأبيض المتوسط والعمق الإفريقي .

1 - النقوش الصخرية: Gravures Rupestres

صدر مؤلفو كتاب « نقوش صخرية من إقليم السمارة حديثهم المسهب عن النقوش الصخرية بالقول « إن النقش والرسم عبارة عن وسيلتين للتعبير تعتمدان على استعمال مساحة صخرية لتسجيل صورة أو رسالة أو رمز. ... (ومن المؤكد) أن دراسة هذه النقوش التي تعكس انشغالات إنسان تلك المرحلة، تسمح للباحثين بالتبصر فيما كانت عليه أنشطتهم، والصلات التي كانت تربطهم بمجالهم وفيما بينهم، ومع الجماعات، والأفكار المرتبطة بالمعتقدات الدينية، وتلك التي تعبر عن أحاسيسهم الفنية والجمالية »1.

وقد أظهرت البحوث الأركيولوجية المنجزة بعدة مواقع للنقوش الصخرية مثل (موقع العصلي بوكرش بالسمارة، موقع أدرار نُزْرَم قرب تاغيجيت، واد فياض الكرة ضواحي مدينة الزاك...)، أن هذه المناطق الصحراوية القاحلة كانت في الماضي خضراء معشوشبة، إذ إن وجود رسوم الكركدن (وحيد القرن) «مواقع أسا -الزاك دليل قاطع على مدى الرطوبة التي احتفظت بها المنطقة في النصف الثاني من الفترة الهولوسينية، ولكي يعيش وحيد القرن ويضمن استمراريته في مجال طبيعي معين، يتطلب ذلك تساقطات سنوية مهمة لا تقل عن 300 ملم في السنة موزعة بشكل متوازن... (كما) أن الفيلة... تتطلب وسطا طبيعيا ذا غطاء نباتي وفير، حيث يحتاج الفيل لأكثر من مائتي كيلوغرام من العشب يوميا، وبالتالي تؤكد نقوش هذا الحيوان، إلى جانب الكركدن، رطوبة المنطقة أثناء عصور ما قبل التاريخ 2» ويجمع دارسو النقوش الصخرية على أنها قد « تأثرت بفعل الرياح المحملة بالرمال... كما أن التفاعلات الفيزيائية الكيماوية تؤثر على النقش وتتسبب في تكوين الزنجار Patine- ؛ وهو نوع من البرنيق اللامع يظهر في خطوط النقش في حد ذاتها، (و) إذا لم يكن لحد الآن أحد الوسائل الفاعلة في تأريخ النقوش الصخرية، فإنه على الأقل يضمن تحديد أصلاتها 3»، وقد أقر الدكتور المجيدي بأن « أكبر مشكلة يواجهها البحث الأثري في مجال التراث الصخري المنقوش والمرسوم هي التأريخ»4، داعيا إلى «إعداد بنك شامل ومدقق للمعطيات حول التراث الصخري والعمل على توظيف هذا التراث في إعادة تملك الثقافة المحلية واستهلاكها في الحياة اليومية للسكان ...، والعمل على توظيفها في سياحة ثقافية بمنهج متعارف عليها دوليا 5»



صور نقوش صخرية بموقع زرزم⁶

2 - المدافن القديمة :

تعد المدافن والجثوات ومختلف البنايات المأتمية المنتشرة في مواقع شتى بالصحراء تراثا ماديا بالغ الأهمية، إذ يمثل وثائق مادية تسهم في تأريخ المنطقة، وقد وضع فريق البحث الأركيولوجي الإسباني المغربي برنامج عمل مكنه من «اكتشاف أكثر من 270 موقع أثري، تمتد من ما قبل التاريخ إلى الفترة الإسلامية : 20 موقع تنتمي إلى العصر الحجري، 22 إلى العصر الحجري الحديث، 75 إلى ما قبل التاريخ، 8 إلى العصر الوسيط، 51 إلى العصر الحديث، 100 لفترات غير محددة»⁷، ومن أهم المواقع التي تم بها التنقيب :

مقبرة أدرار نزرزم : وهي « تضم أزيد من ثلاثين قبرا، تم التنقيب في ثلاثة منها فقط، يحيط بكل واحد منها جدار دائري الشكل تقريبا، بأقطار تتراوح بين 7,40 و7,80 مترا ...، بداخل هذه القبور غرف للدفن بيضاوية الشكل، محفورة في التراب بصف من الحجارة الكبيرة على السطح مبلطة بحصى من الشيست تشكل سريرا للدفن . يتعلق الأمر بمدافن فردية لإناث بالغات، لقد تم العثور في الموقع على ما يلي : سواران من الحديد ...، طوق عنق مكون من قطع على شكل حبات من بيض النعامة وأسطوانة من نحاس، خاتم من النحاس، ثلاثة رقائق من الفلينت، ولوحظ أيضا وجود سرير جلدي تحت الهيكل العظمي للدفن وضع بشكل محكم ومضبوط»⁸ . والواقع أن الحلي المستخرج من المدفن، يقدم صورة عن وسائل « الزينة » في تلك الفترة المتقدمة من الزمن، كما يحيل على معتقدات قديمة تتعلق بطقوس الدفن، حيث تظمر مع الميت بعض نفائس ممتلكاته .



نموذج للتشكيل الهندسي لأحد قبور الموقع الأثري لأدرارنزرزم⁹



أحد الهياكل البشرية المكتشفة في الموقع تظهر طريقة الدفن وشكل القبر الدائري

3 - مدافن منطقة أسا- الزاك:

وثق الباحثون حوالي 270 مدفنا وحرمة قبيل تاريخية، ولاحظوا انتشارها على طول المجاري القديمة للماء (واد أسا، واد امستيل، واد سكديت، واد فياض الكورة، واد التويزي، واد الزاك، واد لمزيريكه ...، كما سجلوا تنوع أشكال المدافن القديمة، مما يوحي بانفتاح واسع على الصحراء الكبرى¹⁰.

4 - المواقع والمدن الأثرية :

تكاوست :

وصف محمد بن الحسن الوزان هذه المدينة الأثرية المندثرة قائلا: « تكاوست مدينة كبيرة، وهي أهم مدن سوس على الإطلاق، بها ثمانية آلاف كانون، وسورها من التراب المدكوك، تبعد عن المحيط بنحو ستين ميلا، وعن الأطلس بنحو خمسين ميلا إلى جهة الجنوب...وفي وسط المدينة دكاكين كثيرة للتجار والصناع 11»، وقد اعتقد الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر مترجما كتاب « وصف إفريقيا » أن الحدود والمسافات التي قدمها الوزان عن المدينة لا تنطبق على مدينة « لقصابي »، واستبعدا أن تكون المدينة الحالية قائمة على أنقاض تلك المندثرة 12، غير أن الحفريات المنجزة من قبل علماء الآثار مؤخرا أيدت شهادة الوزان، فقد خلص التقرير الأولي المنجز إثر انتهاء فترة التحري الأولى المنجزة ما بين 09 إلى 22 مارس 2012 إلى نتائج من أهمها :

- العثور على سور ضخمة إثر أعمال الحفر، ولا يعرف إلى حد الآن هو سور محيط بإحدى القصبات أم أنه سور المدينة الذي تحدث عنه الوزان ؟

- تحديد ثلاث مستويات من السكن على فترات زمنية متعاقبة من الأعلى إلى الأسفل (ما بين القرنين 16 و 14 الميلاديين)، الأمر الذي يؤكد وجود عمران ضخم يتناسب مع الكثافة السكانية التي تحدث عنها الوزان مستخدما المصطلحات العامية المتداولة (8000 كانون)، والكانون وفق الاصطلاح المحلي هو موقد النار، ويقصد به العائلات المتفرعة عن أصولها والمستقلة من حيث نفقاتها، وقد قدر التقرير الأركيولوجي أن يضم هذا العدد من « الكوانين حوالي 30.000 نسمة.

- اكتشاف بقايا من مواد البناء والزخرفة الفاخرة أثبتت التحاليل نسبتها إلى إيطاليا، الأمر الذي يدل على وجود علاقات تجارية مع الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط .

وقد استأنفت الفترة الثانية من التحريات الميدانية الأثرية بالموقع ذاته خلال الفترة الممتدة من 27 فبراير 2014 إلى 11 مارس 2014، وتشير الصور المنتقاة إلى بروز معالم المدينة المكتشفة على نحو نافيٍ للشك، فضلا عن وجود لقي وبقايا أواني خزفية .



نموذج من بقايا سور « تكاوست » بعد تقدم أعمال التنقيب عند بداية الحفر¹³



لقى وبقايا من الخزف موقع « موكادير أوزدار Mougadir Ouzdar:

أظهرت التحريات التي طالت هذا الموقع الأثري الهام الواقع على بعد حوالي 39 كلم شرق مدينة كليميم، أنه كان مأهولا، إذ توصلت التحليلات المنجزة في مختبر بالولايات المتحدة الأمريكي Laboratoire américain Beta على عينات من الفحم مأخوذة من المكان الذي تتواجد به بقايا طاحونة تقليدية، أنها تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وتسمح الصور الملتقطة من الموقع بالتعرف على جانب هام من الهندسة المعمارية الرائعة ..



MougadirOuzdar : unité d'habitat à décor architectural



MougadirOuzdar طاحونة مكتشفة بموقع



Mougadir Ouzdar جانب من المعمار التقليدي بموقع نول لمطة :

تحدث مؤرخون ورحالة ومستكشفون كثيرون عن نول لمطة التاريخية كالإديسي والبكري وابن حوقل وابن خلدون¹⁴، وقد وصفها محمد بن عبد المنعم الحميري في كتابه

«الروض المعطار في خبر الأمصار» قائلاً : «من بلاد السوس الأقصى بالمغرب، بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل، ومنها إلى البحر ثلاثة أيام، وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة وفيها جزولة ولمطة. ومدينة نول إحدى مدن الإسلام، وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، وعليه قبائل لمطة ولمتونة، ومن مدينة نول إلى وادي درعة نحو ثلاث مراحل، وإنما سميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة يسكنونها، وماؤها جار، وهي آخر بلاد السوس...»، ورغم تواتر الروايات الواصفة للمنطقة واختلافها في تعليل تسميتها، فإن المعول عليه، أنها قد بلغت أوج ازدهارها في عهد المرابطين، إذ تتحدث بعض المصادر عن تأسيس دار سك النقود الذهبية بها على عهد عثمان بن مندى الذي عينه عليها الأمير أبو بكر بن عمر.

ونظرا للأهمية التاريخية لهذه المدينة الأثرية، فقد انطلقت أعمال استكشاف المنطقة عام 1994، ثم توالى الحفريات والتحريرات خلال السنوات الموالية بقيادة الباحث الاسباني خورخي بتعاون مع الباحث المغربي يوسف بوكبوط، حيث تم استخدام تقنيات الرادار، ولعل أهم ما كشفت عنه هذه الأبحاث سور المدينة الأثرية الذي يبلغ سمكه 3 أمتار، والصور التالية نشرها الأستاذ عالي بوخار نقلا عن الفريق الأركيولوجي المذكور¹⁵.



تقنيات الجس باستعمال موجات الرادار



حسب فريق البحث الأثري هذا جزء من السور الذي كان يحيط بمدينة نول لمحة عرضه 3 أمتار أما معرفة علوه وطوله فتتزامن إكمال الحفر وتتبعه

صورة سور مدينة نول لمطة، عرضه 3 أمتار



عملية الرسم اليدوية لمختلف اللقى الأثرية، وتجميع القطع الخزفية، مع تصنيفها ودراسة شكلها من أجل تحديد الفترة الزمنية التي تنتمي إليها هذه الموجودات



صور بعض التحف وبقايا الخزف¹⁶

خاتمة :

تسهم البحوث والحفريات الأركيولوجية في التعريف بالمواقع الأثرية وتأهيلها وإعادة الاعتبار لها وصيانتها من التلف والضياع والتدمير، وقد عبر الباحثون عن أسفهم لضياع وثائق مادية تمثلها بعض النقوش التي ضاعت نتيجة أعمال حفر عشوائي قامت به شركة خاصة تروم إنجاز مشروع سياحي بضواحي الطنطان، كما ناشد بعضهم الجهات المسؤولة لجم « الكننازين » الذين يمارسون الشعوذة وينهبون وينبشون المدافن القديمة بدعوى وجود كنوز مركززة فيها .

هوامش البحث:

- 1 عفراء الخطيب وآليزودريك ومصطفى أعشي، نقوش صخرية من إقليم السمارة، منشورات مرسوم، الرباط، 2008 ص 160.
- 2 عبد الخالق المجيدي وعبد العزيز أهراس، لمحة عن التراث المادي بأسا الزاك من خلال تحريات ميدانية، دراسة منشورة ضمن مؤلف جماعي : « حاضرة أسا: عمق التاريخ وغنى الذاكرة، تنسيق محمد بوزنكاض، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، السنة 2012، ص 53-54.
- 3 نقوش صخرية من إقليم السمارة، ص 16.
- 4 عبد الخالق المجيدي وعبد العزيز أهراس، لمحة عن التراث المادي بأسا الزاك من خلال تحريات ميدانية، ص 57.
- 5 نفسه، ص 58.
- 6 أنظر موقع جمعية أداي للمحافظة على الآثار والنقوش الصخرية، على الرابط الآتي : http://blog-post_7.html/10/lachguer.blogspot.com/2013
- 7 YOUSSEF BOKBOT - LA NÉCROPOLE PROTOHISTORIQUE D'ADRAR ZERZEM (ANTI-ATLAS, MAROC), RÉSULTATS PRÉLIMINAIRES DES FOUILLES 20042005-([HTTP://BOKBOT.E-MONSITE.COM](http://BOKBOT.E-MONSITE.COM))
- 8 الحسين ليتوس، التراث المعماري بمنطقة تغجيجت : الواقع ورهانات رد الاعتبار - بحث لنيل الماستر، إشراف : سعيد الخليل، جامعة ابن زهر بأكادير 2008-2009 ص 23-24.
- 9 الصورة مأخوذة من موقع الدكتور يوسف بوكبوت الباحث المتخصص في الأركيولوجيا، المشارك في فريق البحث بمواقع الآثار بوادنون، أنظر الرابط:
- 10 « عبد الخالق المجيدي وعبد العزيز أهراس، لمحة عن التراث المادي بأسا الزاك من خلال تحريات ميدانية، ص 63-62.

11 محمد بن الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983 ج 1 ص 120.

12 أنظر تعليق المترجمين أسفل الصفحة 120 من الجزء الأول من كتاب وصف إفريقيا.

13 Rapport préliminaire de mission d'archéologie préventive, Tagaoust (Ksabi) et Mougadir Ouzdar (Igherm Igouzoulen) Province de Guelmim. 09 - 22 mars 2012

14 عالي بوخار: نول لمطة، المدينة الأثرية التاريخية، مقالة منشورة على موقع صحراء بريس، على الرابط الآتي :

<http://www.4non.net/news8595.html>

15 عالي بوخار، نول لمطة، المدينة الأثرية التاريخية، مقالة منشورة على موقع صحراء بريس .

16 أنظر دراسة فريق بحث برئاسة مصطفى نايمي على الرابط الآتي :

https://www.academia.edu/5304973/La_ville_natale_de_S%C3%AEd%C3%AE_Waggag_N%C3%BB_lamta_et_l_arch%C3%A9ologie_de_l_oasis_d_Asrir

تبجيل الشهداء في قسطنطينية وضواحيها في الفترة المسيحية-البيزنطية

أ.د. ياسين رايح حاجي (معهد الآثار- جامعة الجزائر 2)

ملخص:

يتمثل هذا البحث في عرض الحياة المسيحية في عاصمة مقاطعة نوميديا خلال الفترة المسيحية وضواحيها من خلال الآثار المتمثلة اساسا في البازيليكات المسيحية المنتشرة سواء في المدينة في حد ذاتها او في المواقع القريبة في الضواحي اي ضمن الاقليم القسطنطيني، مع محاولة ذكر اهم الشهداء المسيحيين من خلال النقائش الاثرية.

Abstract :

This article aims to show a Christian life in the capital of the province of Numidia and its surroundings during the early christian era, through the archaeological evidences represented mainly in the ancient Christian basilicas spread in circa city or in the neighboring sites of the Constantine territory, we try to mention the most important Christian martyrs through archaeological inscriptions.

مقدمة:

احتضنت قسطنطينية احداث تاريخية مهمة في الفترة المسيحية، خاصة بعد الاعتراف بالمسيحية كدين للدولة من طرف الامبراطور قسطنطينوس الذي ساهم بشكل فعال في اعادة بعث الحياة الدينية في المدينة، بعد تدمير اغلب معالمها من طرف الدوناتيين الموالين للإمبراطور ماكسنتيوس المسمى من طرف الباحثين المتسلط او الغاصب للسلطة¹، والمتمثلة اساسا في البازيليكات المسيحية، وبعد انتصار قسطنطينوس على ماكسنتيوس واصبح الامبراطور الوحيد في الغرب²، اعلن مرسوم ميلانو سنة 313م، ومنه اعلان المسيحية دين للدولة سنة 325م، تم اعادة احياء المدينة من جديد ببناء اهم معالمها وخاصة الدينية، وكرد للجميل على مجهوداته وسخاءه سميت كيرتا بقسطنطينية³.

ذكر المؤرخ المسيحي أوبتانوس الميلي في كتابه⁴ انه تم بناء بازيليكات مسيحية في قسطنطينية⁵ في عهد الامبراطور قسطنطينوس واخذت المدينة ابعاد كبيرة، يليق بمكانتها

كعاصمة لمقاطعة نوميديا. ذكر كذلك المؤرخ المسيحي اوسيبوس القيصري ان عهد قسطنطينوس شهد تهديم بازيليكات مسيحية صغيرة قديمة واستبدالها بأخرى جديدة اكبر وأوسع ذات النموذج القسطنطيني⁶.

شهدت هذه الفترة اي فترة القرن الرابع ميلادي احداث مهمة في حياة الكنيسة النوميديا في قسطنطينة، الا وهي الصراع الديني⁷ بين الكاثوليكين والدوناتيين. كان هذا الصراع حسب جل الباحثين والنصوص الكنسية المعاصرة صراع دموي ترتب عليه سقوط عدة ارواح في سبيل قضية كل حزب او طرف، فالدوناتيون كانوا يسمون كنيستهم بكنيسة الشهداء بكونهم احفاد المقرون بالعقيدة⁸، ولا يعترفون بكنيسة الكاثوليكين الذين يعتبرون احفاد المخاذلين⁹، والموالين للسلطة الامبراطورية منذ ايام قسطنطينوس، فنجد ان كل ميت دوناتي يعتبر شهيد حسب طائفته، وبالتالي يدفن بجوار القديسين والشهداء او تدفن رفاته في بازيليك مسيحية جنازية خاصة بإحياء طقس تبجيل الشهداء لكل منطقة من مقاطعة نوميديا، كونها معقل التيار الدوناتي. وبالتالي انتشرت عبادة وتبجيل الشهداء والقديسين¹⁰ في افريقيا وفي نوميديا خاصة، كما ذكرتها النصوص الكنسية¹¹، وحتى المعطيات الاثرية من اكتشاف رفات شهداء وضعت كحجر اساس لبناء بازيليكات مسيحية جنازية خاصة بتبجيل الشهداء حسب رزنامة خاصة بهم، بجانبها نقائش تقرر بوجود رفات مقدسة لشهداء بأسمائهم في اغلب الاحيان.

ترجم هذا الصراع اثريا من خلال النشاط العمراني الكثيف والتنافس الديني الذي ادى الى بناء عدة بازيليكات مسيحية لكل طائفة لامتلاك العدد الكبير الذي يسمح لها من السيطرة على المنطقة او على المقاطعة او على المدينة بأسرها كما حدث في مدينة تاموقادي، التي كانت تحت سيطرة الدوناتيين، اما فيما يخص مدينة قسطنطينة فكانت بها ابرشية كاثوليكية موالية للسلطة الامبراطورية واخرى دوناتية مناوئة للسلطة، حسب الشواهد الاثرية من نقائش بالإضافة كما تقدمنا به من خلال النصوص القديمة اعلاه، حيث كان الكاثوليكيون يدعمون عن قصد او عن غير قصد سياسة السلطة الامبراطورية، لا لكونهم قبلوا "السلام القسطنطيني" ومسالمة المسيحيين للسلطات الزمنية فقط، ولكن لكونهم ايضا يمثلون جانبا اساسيا من وحدة الامبراطورية، الا وهو الجانب الديني. وبالتالي فانهم كانوا ضد كل الانشقاقات الدينية الاقليمية او الجهوية او المحلية التي يمكن ان تكتسي لون المعارضة الوطنية للسلطة الامبراطورية¹².

امر الامبراطور هونوريوس بعقد اجتماع كنسي سنة 411م¹³ تحت الحاح الاساقفة الكاثوليكين خوفا منهم من انتشار التيار الدوناتي في نفوس المسيحيين في افريقيا عامة وفي نوميديا خاصة اي في المدن الكبرى، -بعد سياسة التسامح التي اقرها الامبراطور سنة 410م بسن مرسوم يدعو فيه التسامح مع المنشقين (الدوناتيين)- لفض الجدل في قرطاج بإدارة الوكيل الامبراطوري ماركيلينوس بصفته مفوض امبراطوري¹⁴.

تم ادانة طائفة الدوناتيون كفرقة ضالة اي هرطقة، وطلب منهم للدخول في كنف الكنيسة الارثوذكسية الكاثوليكية والا تصادر ممتلكاتهم، ويعاقبون بالتعذيب والموت والنفي¹⁵.

انتشرت عبادة الشهداء القديسين بكثرة في فترة القرن السادس ميلادي في كل ارجاء الامبراطورية الرومانية، حيث نجد قديسين -شهداء غير أفرقة جيء بهم من المشرق الى المغرب اثناء الاحتلال البيزنطي¹⁶.

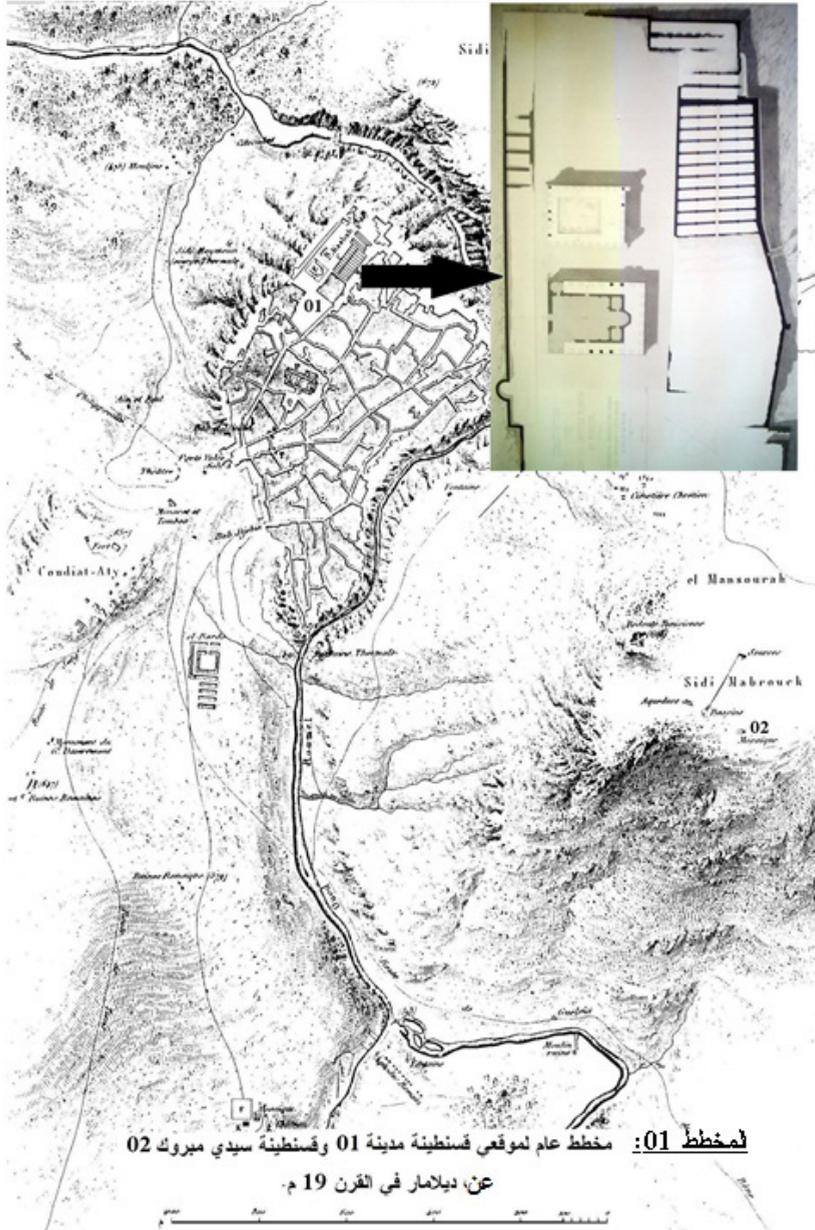
1 - المعطيات الاثرية:

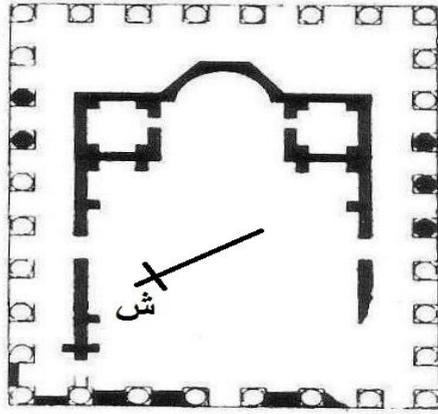
سنتطرق الى مدينة قسطنطينة وضواحيها من الجانب الاثري، لمعرفة مدى حركية النشاط الديني، بمحاولة اسقاط النصوص المؤرخين الكنسيين القدامى المعاصرين لهذه الفترة على الجانب الاثري، ولكننا لن نتطرق الى التمييز بين الطائفتين، لعدم وجود ادلة تمكننا من تحديد كل ما هو دوناتي او كاثوليكي، للجدير بالذكر، فان كلتا الطائفتين تتبع عقيدة واحدة الا وهي عقيدة الثالوث الاقدس، لذا فمن الجانب الاثري فيما يخص العمارة في كيفية تنظيم التجهيزات الليتورجية، فإننا لن نجد الفرق بينهما، الا من جانب النقائش، ففي الوقت الحالي لم يعثر على لقى جديدة تمكننا من القيام بهذا التمييز. ففي الضواحي، فقد احصينا 15 موقعا اثريا. تقع جل هذه المواقع في محيط قطره لا يتجاوز 60كم من مركز مدينة قسطنطينة، سنركز على الخمسة التي تحتوي على بازيليكات مسيحية، اما الاخرى فقد وجدت بها لقى اثرية في محتوى اثري مجهول نظرا لظروف اكتشافها بالصدفة، ولكن على الارجح، كانت جلها في بازيليكات مسيحية خاصة بعبادة الشهداء والقديسين اي بازيليكات جنازية. وهي كالآتي:

2 - قسطنطينة (المخطط 01):

حسب المعطيات الاثرية، وجدت في وسط مدينة قسطنطينة بازيليك مسيحية واحدة،

وبازيليكا مسيحية أخرى في مكان يسمى سيدي مبروك على الضفة الأخرى من واد الرمال، وفي عدد من النقائش التي تم اكتشافها في الفترة الاستعمارية في قسنطينة وضواحيها.





مخطط بازيليكيا موقع قسنطينة مدينة .
عن قزال .

2 - 1 البازيليكيا المسيحية بقسنطينة المدينة (المخطط 02): تتميز بمخطط بازيليكيا، بنيت فوق اسس معبد الكابتول حيث اعيد استعمال الواجهة الغربية ودمج اعمدتها في جدار الواجهة. اندثرت في سنة 1844م لبناء مستشفى. حُوّل المبنى الى مخزن للذخيرة قبل ان يندثر، من طرف الجيش الفرنسي. تتكون من ثلاثة اجنحة، تتجه نحو جنوب-شرق. ابعادها: 36.80م × 23.30م. بنت بالتقنية الافريقية بالنسبة للجدران الجانبية للمبنى باستعمال عدة مواد انشائية معاد استعمالها. بالنسبة للحركة المرورية: يوجد مدخل رئيس في وسط الواجهة الغربية بين عمودين اللذين ينتميان الى الرواق المعمد لمعبد الكابتول ومدخلين جانبيين في وسط الجدار الجانبي لكل جهة وعلا المدخل للجدار اليسار صليب منحوت. يتم الوصول الى المدخل الرئيس عن طريق منصة المعبد ارتفاعها 4.31م.

مخطط البازيليكيا مزود بثلاثة اجنحة. ينتهي بالحنية نصف دائرية في الداخل ومضلعة في الخارج (ثلاثة اضلاع) وزودت هذه الاخيرة حسب أماتي Amati بثلاث نوافذ نصف دائرية في القمة. ونفس الشيء بالنسبة للغرفتين الخدميتين. عرض الحنية يقدر بـ 7.30م. وجدت غرفتين الخدمية على جانبي الحنية ولا تتصلان بحيز العبادة الا مع الحنية، كانتا مقببتان بعقد متقاطع (الشكل 01). كما يدل عليه عِضادة الركن وأكده أماتي. وزودت بثلاث نوافذ كالحنية.



الشكل 01: الواجهة الغربية لبازيليكا موقع قسنطينة مدينة. عن: ديلامار.

اما بالنسبة للملحقات فرمما وجدت غرفة مغطاة بقبة او بعقد حيث هيئت في نهاية الجناح الجانبي الايسر غربا في ركن الرواق المعمد للمعبد سابقا وعزلت عن الجناح ببناء جدار.

أورخت البازيليكا بفترة الامبراطور قسطنطينوس بدون أي ادلة، حسب دوبوش ورفوازي. اما قزال فرأى انها تعود الى الفترة البيزنطية من خلال تقنية البناء التي سماها المتبربرة أي الفضة وشكل الصليب الذي يعلو احدى المداخل. ووافقه الرأي دوفال للخصائص الحنية المضلعة وكذلك لتقنية الغرفتين الخدميتين.

الببليوغرافيا:

AMATI, G., Viaggio da Milano in Africa, Mila, 1845, p. 436.

RAVOISIE, A., Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, Paris, 1846, pp. 2931-.

DUPUCH, M. A. A., Essai sur l'Algérie chrétienne, Turin, 1847, p. 16.

DELAMARE, A., Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1845-, archéologie, Paris, 1850, pl. 119.

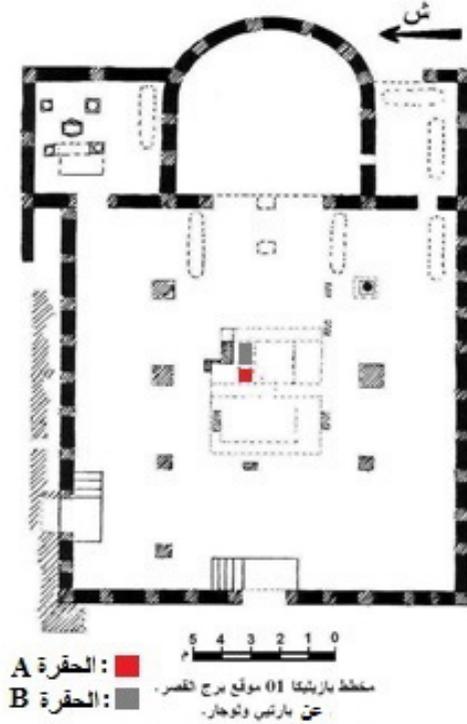
CHERBONNEAU, A., In ann. Const. I, 1853, pp. 125126-.

GSELL, S., Les monuments antiques de l'Algérie, T. II, Paris, 1901, n° 44, pp. 192194-.

GUI, I., Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, I. Inventaire de l'Algérie, 1. Texte, Paris, 1992, pp. 205207-.

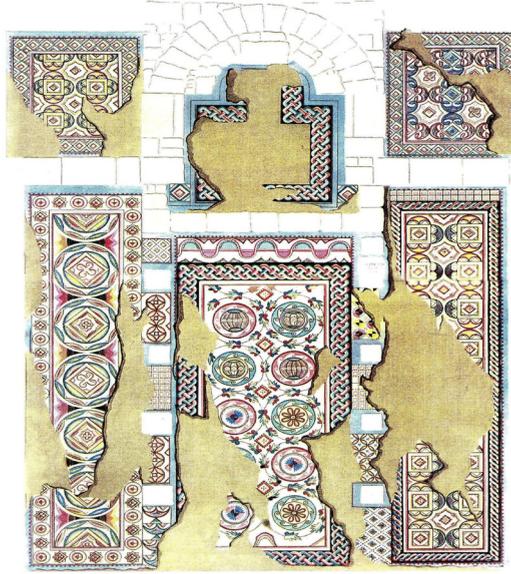
3 - قسنطينة سيدي مبروك (المخطط 03):

يبدو ان الموقع الاثري لسيدي مبروك لم يكن ينتمي للمدينة القديمة الرومانية كيرتا. ولم يشخص بعد.



المخطط 03

اندثرت البازيليكا بعد اكتشافها. تتجه نحو شرق- شمال- شرق. ابعادها: 16م × 10.70م. بنيت بتقنية الحجارة المربعة، بوضعها في صفوف منتظمة ومتوازية. وبنيت اسس الحنية بحجارة شبه منحرفة الشكل وبانتظام على شكل قوس. تغطي الارضية فسيفساء، مكونة من لوحين متجانستين، ولكن مختلفتين في الاجنحة الجانبية، ومن لوحة واحدة للجناح الاوسط، ولوحة مشتركة في كل من الخورس والحنية ونفس اللوحة بنفس الزخرفة في كل من الغرف الخدمية (المخطط 04). زودت البازيليكا بثلاثة اجنحة ابعادها 2.50م/4.10م/2.50م. عدد البلاطات (5): travée، وعرضها 1,80م.



أرضية فسيفسائية بازيليكيا موقع قسطنطينية سيدي مبروكه - حسب ميلامار.

المخطط 04: أرضية فسيفسائية للبازيليكيا. عن: ديلامار.

بنيت الحنية بشكل نصف دائري في كتلة بنائية مستطيلة الشكل، ومحدودة بالجدار المستقيم لصدر البازيليكيا. عرضها 2.30م وعمق 2.60م. ويبدو ان أرضيتا الخورس والحنية اللتان تشتركان في اللوحة الفسيفسائية كانتا على نفس المستوى وبارتفاع طفيف.

وجدت غرفتين خدميتين على جانبي الحنية (3.20×2.60م) بارزتين نوعا ما مقارنة بالجدران الجانبية لحيز العبادة. فهي كما يبدو على نفس مستوى أرضية الحنية، تتصلان بالحنية عبر مدخل عرضه 1.40م وبالأجنحة الجانبية عبر مدخل عرضه 1.15م.

كان المذبح في الخورس حسب دوفال وقزال. والذي كان بدوره على نفس المستوى للأرضية. ولكن أرضية الخورس اندثرت، ولم يبق الا الاطار الفسيفسائي له. وهذا ما يحول دون تعيينه بدقة. وجد السانترونس في نهاية الحنية مع الكائندرا. أرخت هذه البازيليكيا بالفترة البيزنطية لقرب المذبح من الحنية. وهذه من خصائص العمارة الليتورجية للفترة البيزنطية. ايضا من الجانب الزخرفي، فإنها تعود للفترة بيزنطية، استنادا إلى الأسلوب الفسيفسائي واختيار الاشكال. يظهر انه استعمل لزخرفة أرضية الجناح الاوسط أكاليل أقونستية (couronnes agonistiques)، وهذه الزخرفة نجدها ماثلة لتلك التي عثر عليها في الحمامات الصغيرة في منطقة تبسة.

الببليوغرافيا:

DELAMARE, A., Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1845-, archéologie, Paris, 1850, pl. 150, fig. 01.

CHERBONNEAU, A., In Ann. Const. I, 1853, pp. 106, 125-126.

GSELL, S., Les monuments antiques de l'Algérie, T. II, Paris, 1901, n° 125, p. 259.

DE PACHTERE, F., Inventaire des mosaïques de la Gaule et de l'Afrique, III, Afrique proconsulaire, Numidie, Maurétanie (Algérie), Paris, 1911, n° 227, p. 55.

GSELL, S., Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1845, archéologie, texte explicatif, Paris, 1912, p. 136.

DACL, col. 2725, 1618.

DUVAL, N. ; FEVRIER, P-A., « Le décor des monuments chrétiens d'Afrique, (Algérie-Tunisie) », In Actas del VIII congreso internacional de arqueologia cristiana, Barcelona, 0511- Octubre 1969, Citta del Vaticano, Barcelona, 1972, p. 18.

GUI, I., Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, I. Inventaire de l'Algérie, 1. Texte, Paris, 1992, pp. 207-208.

اما تلك المكتشفة في ضواحي مدينة قسنطينة فهي:

03. محييبة¹⁷: الموقع القديم لم يشخص، ومن المحتمل انه كان قلعة (كاستلوم castellum) تابع لكيرتا. فحسب المعطيات الاثرية، وجدت بازيليكاً في وسط الدوملانات ذات مخطط بازيليكى. تجهل حالة حفظها. تؤرخ بالفترة البيزنطية. ينتمي الموقع الى بلدية بن باديس / ولاية قسنطينة.

تتجه هذه البازيليكاً نحو الشرق، بابعاد تتمثل في 15م×7م. بنيت جدرانها بالتقنية المربعة الضخمة كلسية مرتبة بصفوف منظمة ومتوازية، ظاهرة خاصة في الواجهة. اما فيما

يخص ابعاد حيز العبادة فهي: 6.20م. زود المخطط بمدخل رئيس في الواجهة الغربية حيث وُجدت عتبة بابه طولها 1.74م. وعرض الاجنحة هو: 1.75م/2.75م/1.70م، عددها ثلاثة اجنحة تفصل بينها صفيين من الاعمدة، المتمثلة في اربع دعامات او اعمدة، ولم يذكر اية دعامة او عضادة في نهاية الصفيين على جدار الواجهة من الجهة الداخلية والحنية. وُجدت قواعد اعمدة من المرجح انها من مواد مجلوبة من مكان اخر. وببلاطات عددها خمس. وينتهي صدر البازيليكا بحنية نصف دائرية بارزة نحو الخارج ومرتفعة بـ0.65م، ويتم الولوج إليها بواسطة درج مركزي. توجد غرفتان خدميتان على جانبي هذه الحنية، حيث تتصلان بها، فالغرفة الجنوبية بارزة نحو الجنوب عن الجدار الجانبي الجنوبي للبازيليك. اما فيما يخص التجهيزات الليتورجية، فكان الخورس محدود بجدار صغير قليل الارتفاع ابتداء من البلاطتين القريبتين للحنية، ويمتد هذا الخورس في الجهة الجنوبية-الشرقية للجناح الجانبي الأيمن. وفي مركزه حفرة (لوكولس) مقاساتها: 0.61م للقطر وعمقها: 0.75م. افترض بارتيني انه ناووس الذخائر لعثوره على كتل كبيرة من الجبس امام الحنية. تم العثور على طاولتين جنائزيتين اثناء الحفرية؛ واحدة في مركز الكنيسة والثانية اعيد استعمالها في جدار الغرفة الخدمية الشمالية. وتحملان كليهما نقishtين الاولى منها من المرجح أنها لتبجيل الشهداء (الصورة 01).



Fig. 131.



الصورة 01: أ. عن: إيفات دو فال. DUVAL, Y., Op. Cit.، ب. عن: حاجي، ياسين رابح، مارس 2011م. أرخ إيداع للرفات الى الفترة البيزنطية المتأخرة (فترة حكم هيراكليوس)، حسب النقيشة الجنائزية لتبجيل الشهداء، حيث لا توجد اسماء (الشكل 01). وهذا لا يعني بالضرورة ان تأريخ المبنى يعود إلى هذه الفترة، فقد يكون سابق لهذا التاريخ.

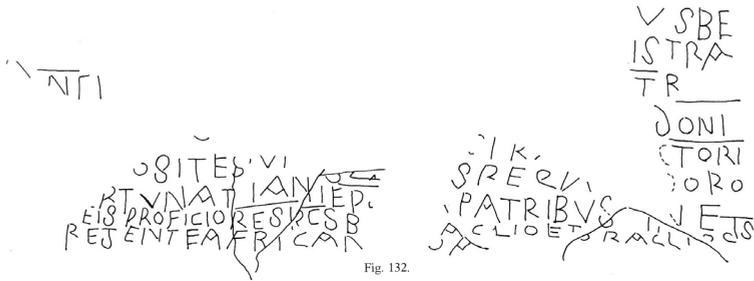


Fig. 132.

C	...	nēi [...]	A	...	us be
				...	is tra
				...	tr
B	4	tr [...]	doni
...		p]osite su[nt...	...	spe qui [...]	oro
...		Fo]rtunatiāni ep̄s [...]	...	patribus [...]	e]s
...		eis proficio resres B [...]	8	Er]aclio e [...]	oraclio
4	...	regente african[a] prob...		∪	A

الشكل 01

الببليوغرافيا:

LABORDE, E., In RSAC, 35, 1901, pp. 214215-.

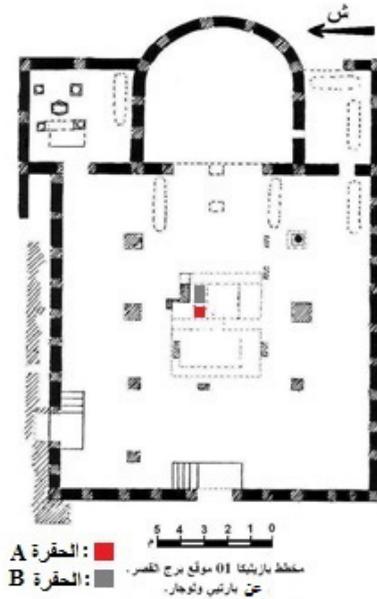
BERTHIER, A. « La chapelle aux dolmens de Mahidjiba », in R. Af., 100, 1956, pp. 333338-.

DUVAL, Y., *Loca sanctorum africae, le culte des martyrs en Afrique du VI au V siècle*, II, Rome, 1982, n°95, pp. 197200-.

GUI, I., *Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, I. Inventaire de l'Algérie*, 1. Texte, 2. Illustration, Paris, 1992, pp. 209210-.

5 - برج القصر (سيلا قديما): تُجهل الرتبة القانونية للمدينة، ومن المحتمل من اصل إحدى القلاع التي كانت تحرس كيرتا أيام الكنفدرالية الكيرتية. والمعروف فيها هو أسقف سيلانسييس Silensis كاثوليكي في سنة 484م، الجدير بالذكر هو ان هذه الأبرشية تختلف عن أبرشية أخرى باسم أسقفها سيليتانوس Sillitanus الذي حضر في سنة 411م في قرطاجة وأسقف آخر سنة 484م. ذكر أساقفة آخرين في القرن السادس ميلادي، ففي سنة 585م وفي تاريخ سابق بقليل كتب محضر شهادة وضع الرفات. ينتمي الموقع لبلدية سيقوس / ولاية أم البواقي.

تقع البازيليكا الاولى في سفوح هضبة، على بُعد حوالي 100م غرب الحصن البيزنطي (حسب لوجار وبارتيني)، ذات مخطط بازيليكى. يجهل حالة حفظها، ولكن على الأرجح، اندثرت.



المخطط 05

تتجه البازيليكا نحو الشرق. وأبعادها: 22م×15.10م (المخطط 05). استعملت التقنية الأفريقية في بناء جدران البازيليكا يتراوح سمكها 0.50م، وباستعمال الحجارة المنحوتة مختلفة الأبعاد المجلوبة من المباني الأخرى. أما تقنية بناء أرضية حيز العبادة، فتتميز بطبقة من الاسمنت يتراوح سمكها 0.08م إلى 0.10م. إلا أن المساحة (4.50م×3.80م) التي تغطي السرداب فهي مغطاة ببلاطات حجرية سمكها 0.16م. يبدو حسب الباحثة قي، أن الأرضية الموجودة حول البازيليكا، وخاصة أرضية الجدار الشمالي للبازيليكا، عبارة عن أرضية إسمنتية عرضها ما بين 0.90م و1م. أما مستوى أرضية هذه الأرضية، فكان على نفس أرضية حيز العبادة، ويمكن الافتراض حسب نفس الباحثة، أن سلام الدخول جهزت وبُنيت في فترة متأخرة عن فترة بناء البازيليكا، أين أصبح مستوى الأرضية الخارجية أعلى. وُجد في أرضية الحنية تراب مدكوك إلا أنه عثر على أرضية من الاسمنت (1م عرضاً و0.10م سمك) في الأطراف التي تحدها مع الجناح الأوسط. أما فيما يخص التسقيف، فقد عُثر على العديد من القرميد من نوع تيقولاي مما يدل على الأرجح وجود محالة (Charpente).

يحتوي المخطط على مدخلين: أحدهما في الواجهة الغربية، عرضه 1.50م وعتبته وُجدت على ارتفاع 1.65م من أرضية حيز العبادة، ويتم النزول إلى هذه الأرضية عبر سلم النزول مكون من ست درجات مسبوقة بسطح. في المخطط توجد أربع درجات (طول 1.15م×عرض 0.31م×ارتفاعها ما بين 0.24م و0.25م) بقيت في مكانها الأصلي. والطول الكلي للكتلة البنائية لسلم النزول هو 2.30م. والمدخل الآخر في الواجهة الشمالية قريب من الركن الشمالي-الغربي (عرضه 1.10م) وارتفاع عتبته بـ 1.10م مقارنة بأرضية حيز العبادة. أما سلم النزول يشبه سلم النزول للمدخل الغربي. بقيت ثلاث درجات من أصل أربع درجات على الأرجح. بالإضافة إلى أعلى السلم فطول كل درجة منه: 0.90م، وعرضها: 0.35م، أما بالنسبة للدرجة السفلى الأولى 0.31م وارتفاعها 0.24م. طول الكتلة البنائية للسلم الكلية هي 2.50م، وكان محدوداً هذا السلم بواسطة دعامة مربع (المخطط 05).

تتمثل أبعاد حيز العبادة في 14.20م×14م، ويتكون من ثلاثة أجنحة: 3.30م/7.30م/3م. وخمس بلاطات (travée) عددها 05 عرضها 3م إلا في البلاطة الأولى فهي 1.10م (المخطط 05). لم يُعثر على أي عمود إلا دكات أعمدة، حيث ذكر بارتيني أنه عثر على العمود الجنوبي في مكانه الأصلي القريب من الحنية، كانت قاعدته على نفس المستوى مع أرضية حيز العبادة، ويعلو القاعدة جذع دائري قطره 0.41م. أما بالنسبة للقواعد الأخرى فلا نعرف في أي

مستوى كانت. من الممكن حسب قي، انه تم استخدام الأعمدة الأخرى في بناء آخر. كذلك وُجد تاج كورنثي ارتفاعه 0.38م وعرضه 0.60م في الجهة العلوية و0.30م في الجهة السفلى.

تتميز الحنية بشكل نصف دائري وبارزة نحو الخارج، فتحتها على حيز العبادة بـ7.50م وعمقها 6.50م. وجد لوجار وبارتيني أثناء الحفر حجر رباط مربع بين الحنية والجناح الأوسط، يفصل بذلك الحنية عن الجناح. وكانت أرضية الحنية على نفس مستوى أرضية حيز العبادة، وان موقع هذا العمود في الوسط لعب دور الفاصل. لهذا يتركنا نخمن ونوافق افتراض قي على انه ربما جزء من الجدار الساند للحنية بالإضافة إلى جدارين على طرفيها (المخطط 05)، مما تصبغ الحنية مرتفعة عن حيز العبادة. يوجد على طرفي الحنية غرفتين خدميتين، إحدهما شمالية والأخرى جنوبية. لم تكن أرضية الجنوبية (4م × 2.90م) مبلطة بالإسمنت، وكانت تتصل بالجناح الجانبي الجنوبي عبر مدخل عرضه 0.70م. وأنها كانت تتصل مع غرف أخرى ملحقة بالبازيليكا عبر مدخل شرقي حسب لوجار وبارتيني، وكانت أرضيتها على نفس مستوى حيز العبادة. اما الغرفة الشمالية (4م × 4.50م)، فكانت بارزة عن الجدار الشمالي للجناح الجانبي بـ1.50م-1.60م، واحتوت على بيت التعميد، حسب وصف لوجار وبارتيني، انه كان هناك مستويين او طبقتين للأرضية، ولهما علاقة مباشرة مع حوض التعميد. فالمستوى الاول، كان اسفل مستوى أرضية حيز العبادة بـ0.78م ويتم النزول الى أرضية الغرفة بثلاث درجات كل درجة ترتفع بـ0.26م وينتهي السلم بسطح ابعاده 1.50م × 1.30م، وكان الحوض مستطيل الشكل ومغطى بكيبوريوم (Ciborium). اما المستوى الثاني او الفترة الثانية، فقد ارتفع بحوالي 0.37م بالنسبة للمستوى الاول، وعوض الحوض المستطيل للمستوى الاول بحوض دائري في نفس المكان للمستوى الثاني.

اما فيما يخص التجهيزات الليتورجية، فقد عُثر على مساحة مبلطة (4.50م × 3.80م) بست بلاطات حجرية في الجناح الاوسط، تحتل المجال المحصور ما بين منتصف البلاطة الثانية ابتداءً من الحنية والبلاطة الثالثة، ومن المرجح كان فوقها المذبح. تمت الاشارة الى وجود قبر على عمق 0.90م من الارضية، مع العثور على ستة نواويس الذخائر في الحفرتين A و B (المخطط 05).

احتوت الحفرة B على ثلاثة عقود ايداع الرفات منقوشة على الرصاص (Pb) (الصورة 02، أ، ب، ج) ذكر فيها اسماء القديسين الشهداء الاتية اسماءهم: ماركوس واوبتاتوس و108 شهيد. و108 شهيد. وماكسيما وسوكوندا ودوناتيلا. وقيمينيوس ويانواروريوس. وعُثر

في الحفرة A على نقيشة شهيد محفورة على اناء (الصورة 03) وهو: دوناتوس، ونقيشة اخرى مشابهة على الحجر (الصورة 04) نقشت اسماء قديسين شهداء ايضا والالية اسماءهم: ريقوليانوس وكالسوس ودوناتيانوس وباريك؟ عُثِرَ عليها بالقرب من الحنية بالقرب من الحوض الذي احتوى على اربع اقداح شمعدانية (الصورة 05، أ، ب، ج، د)، كانت تحمل الشموع تحمل اسماء قديسين وهي: ... يانوس؟ وريقوليانوس وداتيانوس ودوناتيانوس وكالسوس وباريك. استعملت النقيشة على الحجر كغطاء لحوض نواويس الذخائر. وضعت ست بلاطات بطريقة غير منتظمة، كانت تحدها اشربة اسمنتية، كانت بدورها تمثل الخورس الذي كان مسيجا بجدران نصفية - حيث عُثِرَ عليها اثناء التنقيب - كانت على شكل طلعة ودخلة في الجهة الشمالية للخورس. ووجدت ايضا اثار لأعمدة نصفية كانت تتخلل بلاطات الجدران النصفية التي كانت تمثل السياج.

من خلال محاضر ايداع الرفات المكتشفة أرخت البازيليكا بـ550م، ولكن احتمال ان البازيليكا كانت نشيطة قبل هذا التاريخ. تم استخراج اسماء قديسين شهداء وهم شهداء محليون.

الببليوغرافيا:

LOGEART, F. ; BERTHIER, A., « Deux basiliques chrétiennes de Sila », In RSAC, 63, 19351936-, pp. 239274-.

CHRISTOFLE, M., Rapport sur les travaux de fouilles et consolidations effectuées en 19331936-1935-1934- par le service des monuments historiques de l'Algérie, Alger, 1938, pp. 298305-.

BERTHIER, A. ; LOGEART, F. ; MARTIN, M., Les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale, Alger, 1942, n°04, pp. 4143-.

KHATCHATRIAN, A., Les baptistères paléochrétiens, plans, notices et bibliographie, Paris, 1962, p. 130.

DUVAL, Y., Loca sanctorum africae, le culte des martyrs en Afrique du VI au V siècle, T. I, Rome, 1982, n°106111-, pp. 215231-.

GUI, I., Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, I. Inventaire de l'Algérie, 1. Texte, Paris, 1992, pp. 210212-.



٤٤٤
 A. الوجه
 IN NOMINE PATRIS ET
 FILII ET SPIRITUS SANCTI DEPOSITUM
 EST SVN RLE SRMMRM
 MARCI OPTATI ET CVIII
 DIE PRIZIE NN MAIAS
 IN Δ III AVRO BETMO
 BONIFATI EPSCO
 ET PRO P R I S

[I]n nomine Patris et
 [F]ilii et Spiritus sancti deposi-
 te sunt r(e)l(i)quiae s(an)cti(m) m(art)u(r)u(m)
 4 Marci, Optati et CVIII,
 die prizie n(ost)ras Maias
 indictione III, a v(i)ro be(a)t(i)ssimo
 Bonifatio ep(i)scopo
 8 et propriis
 [...] AII [...] S

الترجمة: باسم الآب والابن وروح القدس، قد وضعت رفات كل من القديسين الشهداء ماركوس واوبتاتوس و 108 اخرون، في اواخر نونس من شهر مايوس، الاجتماع الثالث، من طرف الاسقف المحفوظ بونيفاتيوس وبنيديه (؟)



٤٤٥
 A. الظهر
 IP SANON MAURICIO
 TIBERIO ET COSTANTINA
 AVCTE PRBS ELSI
 GENNADI M S ML
 AFRI CE ET E ZCL
 JELESY PRBS MARTRS
 CRECS O BREZCS
 P ZS M CNI

[I]m(per)antibus D(omi)no n(ostro) Mauricio
 Tiberio et Costanti[na]
 12 Augustis, te(m)p(or)u(m) gl(ori)osi
 Genadii m(a)gistri [m(e)l(i)ti]m
 Africe et exc(onsu)l(e)
 Fel(i)c(is)im(i) pr(es)byteri mart(u)ris (?)
 16 CRECS OB REZ CS (= z(e)c(onsu)l)
 PZS M CNI

الترجمة: في فترة حكم سيدنا موركيوس ثيبيريوس وقسطنطينة، الاوغسطيان، في وقت جيناديوس المجيد، سيد جيش افريقيا وقنصل سابق. من الكاهن فيليكسيموس (؟)، الشهيد (؟)....



IC ABENTVR FLPE

*Ic abentur r(e)l(i)q(ui)e
s(ancto)r(u)m C et VIII*

ب:

SPM C ET VIII

الترجمة: هنا وجدنا رفات 108 قديس.



ج. الوجه
 SCA MAXIMA
 SCA SECUNDA
 SCA DONATILLA
 SCS GEMINI
 4 \$

ج. الوجه

1



- A) الترجمة: القديسة ماكسيما *S(an)c(t)a Maxima*
 القديسة سكوند *s(an)c(t)a Secunda*
 القديسة دوناتيل *s(an)c(t)a Donatilla*
 القديس قيمينيوس *S(an)c(tu)s Geminius*



PSCASTRES
 IIPES
 FIDES
 CARITAS
 ASCSIANV
 ARIYS

ج: الظهر

B) *S(an)c(t)as* الترجمة: للقدسات الثلاث
Ispes إسباس (العقيدة)
Fides فيداس (الامل)
Caritas كاريتاس (الحسنة)
S(an)c(t)us Ianuarivs القديس يانواريويس

الصورة 02: أ و ب وج: ثلاثة عقود ايداع الرفات منقوشة على الرصاص (Pb). الصورة عن: حاجي، ياسين رابع، مارس 2011م، اكمال الكتابة عن: DUVAL, Y., Op. Cit., pp 224-223 ,221 ,218.



Ⲛⲉⲛⲓ ⲛⲁⲧⲩⲧⲱⲥ
S(an)c(t)us Donatus

الترجمة: القديس دوناتوس.

الصورة 03: اناء عليه نقيشة شهيد. الصورة عن: حاجي، ياسين رابع، مارس 2011م، اكمال الكتابة عن: DUVAL, Y., Op. Cit., p. 222.



الترجمة:

...	Regu]lia	ريقوليانوس
[ni ...]upi, Vi	كالسوس
[ctoris?]s, Celsi	باريك؟
[Barici?	... D]onatia	دوناتيانوس
[ni ... posite? a sancto]	Emerito epis	دوناتيانوس
	...]II ind(ictione) XIII	

الصورة 04: حجارة عليها نقيشة تجميلية لشهداء. الصورة

عن: حاجي، ياسين رايح، مارس 2011م، اكمال الكتابة عن: DUVAL, Y., Op. Cit., p. 226.



الى القديس ريقوليانوس



الى القديس ... يانوس



د. الى القديسين كالسوس وباريك



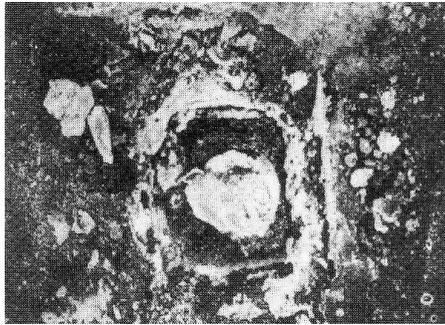
ج. الى القديسين داتيانوس ودوناتيانوس

الصورة 05: أ وب وج ود: اربع اقداح شمعدانية نقشت عليها اسماء قديسين شهداء.

الصورة عن: حاجي، ياسين رايح، مارس 2011م، اكمال الكتابة عن DUVAL, Y., Op. Cit., pp. 228-230.

1 - 5 هنشير البحيرة (المخطط 06): البازيليكا 02:

ينتمي موقع هنشير البحيرة اداريا الى بلدية المشيرة / ولاية ميلة. لم يشخص الموقع القديم بعد، حيث عُثر على ثلاث بازيليكات في حين لم يتأكد من الرابعة المذكورة من طرف بارتيبي.



الصورة 06: لوكولس الرفات في البازيليكا الثانية لموقع هنشير البحيرة. عن:

.BERTHIER, A. ; LOGEART, F. ; MARTIN, M., Op. Cit

توجد البازيليكا الثانية على بُعد حوالي 100م غرب البرج المحرس البيزنطي. حالة حفظها مجهولة الى حد الان. لم يحدد الاتجاه بدقة ولكنها تتجه نحو الشرق، حسب وصف

الجدران الخارجية للبازيليك الشمالية والجنوبية. ابعاد البازيليك هي: الطول $6.55 \times$ م، اما حيز العبادة: $7.35 \times$ م حوالي 5.50 م، بنيت جدرانها بالتقنية الافريقية بمواد انشائية معادة الاستعمال. وجد بارتيي جدار قليل الارتفاع يشبه المقعد بعرض 0.55 م في حيز العبادة على طول الجدار الشمالي والجدار الغربي. او ربما حسب قي، ما هو الا عبارة عن اساس ساند للجدارين. يتكون حيز العبادة من ثلاثة اجنحة، تتخللها اعمدة حيث عثر على قاعدة وتاجين بشكل شبه منحرف (Imposte)؛ لم ينقب بارتيي صدر البازيليك، بسبب عدم وجود درج يؤدي الى حنية مرتفعة.

اما فيما يخص التجهيزات الليتورجية، اشار بارتيي الى لوكولس¹⁸ رفات (الصورة 06) يتقدم الحنية بـ 0.80 م. كان مغطى بقرميدتين مقاساتها 0.24 م الطول \times 0.23 م العرض \times 0.27 م الارتفاع. احتوى على وعاء مجبس وعظام، وكسر فخارية وزجاجية وعقد ايداع الرفات على بلاطة جبسية (الصورة 07) تذكر شهيدين فورتونيسيانوس وسيلفانوس، ربما محليين؟ وان صيغة in oc loco بدل hic انتشرت في فترة متأخرة من هذه الفترة¹⁹، ومنه ارخت النقيشة التبجيلية للشهيدتين للقرن السادس ميلادي، ولكن يمكن انها اودعت بعد بناء البازيليك.

الببليوغرافيا:

BERTHIER, A. ; LOGEART, F. ; MARTIN, M., Les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale, Alger, 1942, n°38, pp. 108-110.

DUVAL, Y., Loca sanctorum africae, le culte des martyrs en Afrique du VI au V siècle, I, Rome, 1982, n°115, pp. 243244-

GUI, I., Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, I. Inventaire de l'Algérie, 1. Texte, 2. Illustration, Paris, 1992, pp. 200201-.



In oc loco
reliquie s(an)c(t)or(um)
fortunatziani
et silvani (deux croix?)

الترجمة:

هنا وضعت رفات

كل من القديسين

فورتونيسيانوس

وسيلفانوس

الصورة 07: عقد ايداع الرفات على بلاطة جبسية للشهيدتين فورتونيسيانوس وسيلفانوس.

الصورة عن: حاجي، ياسين رايح، مارس 2011م، اكمال الكتابة عن DUVAL, Y., Op.

Cit., p. 244.

التاريخ	الموقع	نوع السند	اسماء الشهداء القديسين	محلّي او مستورد
الفترة البيزنطية (القرنين السادس والسابع ميلاديين)	قسنطينة المدينة	-	-	-
	قسنطينة سيدي مبروك	-	-	-
	محيجة	بلاطة حجرية	-	-
	برج القصر	ورقة من معدن الرصاص	ماركوس واوبتاتوس و108 شهيد. ماكسيما وسوكوندا ودوناتيلا. قيمينيوس ويانوارايوس.	محلّيون.
		آنية فخارية	دوناتوس.	محلّي.
		بلاطة حجرية	ريقوليانوس وكلسوس ودوناتيانوس وباريك؟	محلّيون.
	هنشير البحيرة	اقداح شمعدانية	ريقوليانوس وكلسوس وباريك وداتيانوس ودوناتيانوس؟ و... يانوس.	محلّيون.
كسر فخارية مغطاة بطبقة من الجبس عليها كتابة = عقد ايداع الرفات		فورتوناتيانوس وسيلفانوس.	محلّيون.	

يمكن تلخيص ما تقدمنا به من معطيات أثرية المتمثلة في اللقى الأثرية المكتشفة في محتواها الأثري المتمثل في البازيليكات المسيحية في شكل جدول، كما يلي:

خاتمة:

من خلال ما تقدمنا به من معطيات أثرية تخص الحياة الدينية للإفريقي المسيحي وما لخصناه في الجدول، نستنتج عدة نقاط، أهمها:

- العلاقة المباشرة للمسيحي الإفريقي بالحياة الثانية.
- طلب الحماية المباشرة من القديسين الشهداء في الحياة الدنيا والآخر.
- تنوع اشكال ومواد السند الذي كتبت عليها هذه النقائش.
- تخليد ذكرى القديسين الشهداء في افريقيا واقامة اماكن خاصة بهم تتمثل في البازيليكات الجنائزية.

- تخصيص اماكن خاصة في البازيليكات المسيحية العادية المخصصة للحياة الدينية.
- انتشار هذا الطقس خاصة في الفترة البيزنطية في افريقيا، ودخول رزنامة تقديس الشهداء القديسين الشرقية مع الاحتلال البيزنطي لإفريقيا.

هوامش البحث:

- 1 - المبكر، محمد، المسيحية والترومن في شمال افريقيا القديم، من عهد ديوكليسيانوس الى الغزو الوندالي (284م-429م)، الجزء الاول، الرباط، 2004م، ص. 311
- SAUMAGNE, C., « La crise de l'autorité en Afrique du début du IV siècle de notre ère, Observations relatives à quelques monnaies frappées à Carthage entre 305-312 ap.Jc », in *Revue tunisienne*, 1921, pp. 133-142.
- 2 - حاجي، ياسين رابع، البازيليكات المسيحية في مقاطعة نوميديا، دراسة أثرية تنميطية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008، ص. 25. RIVIERE, Y., « Constantin, le crime et le christianisme : contribution à l'étude des lois et des mœurs de l'antiquité tardive », in *AnTard.*, 10, 2002, p. 328
- 3 - حاجي، ياسين رابع، المرجع السابق؛ BALLU, A., *Les ruines de Timgad*؛ (Thamugadi), Paris, 1897, p. 36

4 - OPTAT DE MILEVE, *Traité contre les donatistes*, traduit par LABROUSSE, M., Paris, I., 1995, II., 1996.

5 - PROVOOST, A., « L'implantation des édifices ecclésiastiques d'après les textes littéraires antérieurs à 400 ap.Jc », in *Actes du XI CIAC*, I., Rome, 1989, p. 324, n°03.

6 - EUSEBE DE CESAREE, *Historia ecclesiastica*, 8, 1, 5.

7 - لفهم الصراع وحيثياته، يراجع: حاجي، ياسين رابح، المرجع السابق، ص ص. 26-31؛ المبكر، محمد، المرجع السابق، ص. 309؛

BRISSON, J-P., *Autonomisme et christianisme dans l'Afrique romaine de Septime Sévère à l'invasion vandale*, Paris, 1958.

8 - هم الذين قدموا انفسهم في سبيل الحفاظ على الكتب والرسائل المقدسة وفي سبيل المسيح، يسمون باللاتينية: Confessores.

9 - هم الذين سلموا الكتب والرسائل المقدسة خوفا من التعذيب والنفي والموت، يسمون باللاتينية: Traditores.

10 - للمزيد من التوضيح يراجع: حاجي، ياسين رابح، "عبادة القديسين في تيبازة في الفترة المسيحية-البيزنطية"، مجلة دفاثر البحوث العلمية، العدد الثاني، خاص بالملتقى الوطني الاول حول "التراث التاريخي والاثري لولاية تيبازة"، يومي 08 و09 ماي 2013، جوان 2013، ص ص. 49-74.

11 - كرسائل الاسقف اوغستينوس، حين تكلم عن الدوناتيون والدوارون عند زيارتهم لأضحة شهداءهم وقديسيهم وكيفية الاحتفال وقيام الطقوس بها.

12 - المبكر، محمد، الدوارون في شمال افريقيا في القرنين الرابع والخامس، دراسة ماهية الدوارين وطبيعة حركتهم وعلاقاتهم بالدوناتية، رسالة للحصول على درجة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، جامعة محمد بن عبد الله فاس، 1980م-1981م، ص ص. 169-170.

13 - LANCEL, S., *Actes de la conférence de Carthage en 411*, I., Paris, 1972.

14 - المبكر، محمد، الدوارون في شمال افريقيا في القرنين الرابع والخامس، دراسة ماهية الدوارين وطبيعة حركتهم وعلاقاتهم بالدوناتية، رسالة للحصول على درجة دبلوم

الدراسات العليا في التاريخ القديم، جامعة محمد بن عبد الله فاس، 1980م-1981م، ص. 13؛

CHASTAGNOL, A., La fin du monde antique. De Stilicon à Justinien (V siècle et début VI), Paris, 1976, p. 42. ; DANIELOU, MARROU, H-I., Nouvelle histoire de l'église, I., Des origines à saint Grégoire le grand (604), Paris, 1963, p. 287.

15 - Code Théodosien, XII, I, 176. ; CHASTAGNOL, A., Op. Cit., pp. 42, 43, 231232-.

16 - حاجي، ياسين رابح، المرجع السابق، 2013، ص. 50.

17 - ينتمي هذا الموقع اداريا الى بلدية بن باديس ولاية قسنطينة.

18 - للمزيد من التفصيل يراجع: حاجي، ياسين رابح، المرجع السابق، 2008، ص ص. 376-371.

19 - DUVAL, Y., Op. Cit., p. 244.

آثار التعمير البشري بمنطقة الأوراس (مسح وادي الطاقة دراسة حالة)

أ. محمد الشريف حسين (قسم التاريخ والآثار- جامعة سطيف 2)

ملخص:

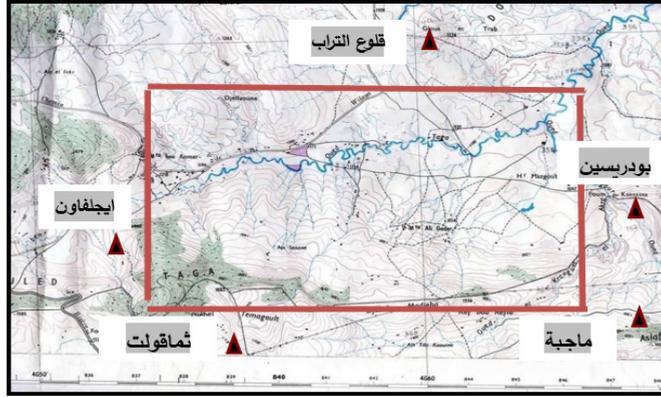
عمر الإنسان منطقة الأوراس منذ فترة ما قبل التاريخ السحيقة، كما يمكن أن يستنبط من كثرة البقايا الأثرية، الشاملة لمختلف فترات التاريخ القديم (فترة ما قبل التاريخ، فترة فجر التاريخ، وفترة الحضارات القديمة) ولاسيما منها السفوح الشمالية لكتلة جبال الأوراس المنيع، منطقة «وادي الطاقة» محلّ هذه الدراسة، وما ينطوي عليه من آثار في غاية الأهمية، حيث ماتزال جدّ مغمورة في غياب التنقيبات الأثرية، والدراسات التاريخية الخاصة بها حتى الآن؛ إذ تهدف الدراسة إلى إبراز الأهمية العلمية لهذه المنطقة المنسية في انتظار القيام بأبحاث أثرية أعمق مستقبلا.

Abstract :

Since the prehistoric period the area of Aures was inhabited by human , that is what has been proved by the archaeological remains of various historic periods Particularly ;The northern side of the Aures montains (TAGA valley) . where there are many different archaeological sites, that belongs to different periods . whom shows human occupation in this area (prehistoric , Protohistory , Antiquity) in the same time we can see the spatial distribution of these archaeological sites . and most of it was unknown because of the archaeological research absence, The purpose of this study is to show scientific importance of this Area.

مقدمة:

تنطوي الجهة الشمالية الغربية من الأوراس، المعروفة محلياً باسم «واد الطاقة» على عدد معتبر من المواقع الأثرية، تعود إلى مختلف الفترات التاريخية القديم. حيث تمتدّ على الفضاء الجغرافي المحصور بين مرتفعات «بوحمار» غرباً، و«واد سبع رقود»، المحاذي لسهل «فiras» شرقاً، ومرتفعات «قلوع التراب»، وجبل «اجلفاون» شمالاً إلى قمم جبال «تماقولت»، و«ماجبة»، و«بودريسن» جنوباً (ينظر الخارطة 1).



الخارطة(1): منطقة "واد الطاقة" مستخرج عن: الخارطة الطبوغرافية لتازولت، رقم:201،
المقياس: 1/50.000

الخارطة(1): منطقة «واد الطاقة» مستخرج عن: الخارطة الطبوغرافية لتازولت،
رقم:201، المقياس: 50.000/1

إذ يتربع الفضاء الجغرافي محلّ هذه الدّراسة على مساحة مستطيلة، منتظمة الأضلاع، بلغ محيطها الإجمالي 480 كلم؛ فيما تعتبر تلك المنطقة من ناحية المورفولوجيا بمثابة امتداد طبيعي لسلسلة الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى، ونقطة التقاء سلسلة جبال الأطلس الصّحراوي في الجزائر بجبال الظهرة التونسية.

1 - أصل تسمية «الأوراس»:

تسمية «الأوراس» كمدلول جغرافي للكتلة الجبلية المعروفة لم تذكر في أي وثيقة، أو نصّ تاريخي قديم إلى أواخر القرن السادس ميلادي، حيث وردت بالصيغة الإغريقية «أوروس أراسيون» (OROS AURASION)، فيما يؤكد بعض الباحثين أن هذه الصيغة للعبارة الإغريقية، ماهي في واقع الأمر سوى ترجمة للعبارة اللاتينية «جبال الأوراس» (MONS AURASIUS)، المعروفة قبل بداية الاحتلال البيزنطي للمنطقة؛ ويُسْتدَلّ على ذلك ببعض الكتابات الأثرية اللاتينية، المؤرّخة في القرنين الثاني، والثالث الميلاديين، المدوّنة على بعض الأنصاب الجنائزية بصيغة الانتساب للأوراس، أي «الأوراسي» (AURASIUS)¹.

2 - منطقة «الأوراس» في التاريخ القديم:

يكتنف تاريخ الأوراس في فترة ما قبل التاريخ غموض كبير، وباستثناء الدراسة الضافية التي أُعدت في سبعينيات القرن الماضي (القرن العشرين) من طرف الباحثة «روبي» (ROUBET.) حول موقع كهف «خنقة سي محمد الطاهر» الواقع بالسفوح الشمالية لجبال الأوراس المطلّة على حوض تيمقاد، فإن باقي الأبحاث والدراسات، التي شملت المنطقة لم تتعدّ طور التحريات الأثرية السريعة. كان من جملتها التّحريّات التي قام بها الباحث «بالي» (BALLAIS J.L)، حيث مكنته من اكتشاف ثلاثة وأربعين موقعا أثريا جديدا تخصّ فترة ما قبل التاريخ بمفردها²، ممّا يؤكّد ثراء المنطقة بالمواقع الأثرية في مقابل عزوف الباحثين المتخصصين مواصلة البحث بها لإثراء الأطلس الأثري الجزائري باكتشافات جديدة في منتهى الأهمية المعرفية.

أمّا في فترة فجر التاريخ فقد شهد الشرق الجزائري عموما، ومنطقة الأوراس منه خصوصا تعميرا إنسانيا أوسع انتشارا، وأكثر كثافة من فترة ما قبل التاريخ الأنفة الذكر، حيث شاعت آثار العمارة الجنائزية بأشكال مختلفة، كالمصاطب، والتلال الجنائزية، والبازينات، والشوشات على وجه الخصوص، وهو ما يؤكد مدى تقدم النّظام الاجتماعي، والرّقي الثقافي، ونمو الوعي الرّوحي لدى سكان المنطقة الأوائل في تلك المرحلة المبكرة من التاريخ الإنساني.

ولعلّ من أبرز تلك المواقع الأثرية الهامة، يمكن الإشارة إلى موقع «أيشوقان» الموجود في شمال منطقة «واد الطاقة» عند مدخل مضيق قسنطينة، حيث ينتصب على مرتفع صخري، يحده من الجهة الشرقية «خنقة الآخرة» ومن الجهة الغربية «واد سبع رقود»، مكان انتشار المعالم الجنائزية المعروفة بالبازينات والشوشات (الصورة: 1) على نطاق واسع. وإلى الجهة الشرقية الشمالية منها توجد آثار تجمع سكاني قديم يعود الى فترات تاريخية، تسبق فترة تاريخ الاحتلال الروماني للمنطقة؛ حيث عرفت تلك المعالم الجنائزية تنقيبات جزئية، بدأت مع «بايان» (PAYEN)، أعقبها تنقيبات «فروبينوس» بعد مرور نصف قرن على ذلك³. أسفرت جميعها على اكتشاف هيكل عظمي في كلّ قبر من تلك القبور المحفورة حسب «ماسكوراي»⁴ (MASQUERAY). وهو ما يؤكّد تكريس ظاهرة الدفن الفردي بالمنطقة، بدل الدفن الجماعي، المنتشرة بكثرة آنذاك عند أقوام بشرية أخرى.



الصورة (1): معلم جنازي بموقع «أيشوقان»، تصوير الدّارس.

وإلى الجهة الجنوبية من موقع «أيشوقان» قرب المنحدرات الشمالية لجبل «تماقولت» يوجد موقع «هنشير حمزة» المنطوي بدوره على مجموعة من المعالم الجنازية المعروفة باسم «التلال الجنازية». في الجهة الشمالية الغربية منه يوجد موقع «ماجبة»، المتضمن بدوره هو الآخر آثار جنازية. وإلى الجهة الجنوبية من «واد الطاقة» ينتصب موقع «بومسرف» المشتتم على آثار العمارة الجنازية من نوع «البازينات»، المختلفة شكلا عن نظيرتها المكتشفة بموقع «هنشير حمزة» المجاور، قوامها حلقات دائرية من الحجارة الشبه مصقولة، مصفوفة فوق بعضها بعضا بشكل منتظم (الصورة: 2).

وأما في فترة الحضارات القديمة، فيبقى خضوع منطقة الأوراس للسيطرة الرومانية غير واضح، ففي الوقت الذي يرى فيه «كورتواه» (COURTOIS) أنّ هذه الكتلة الجبلية جزء من إفريقيا المنسية، وقلعة جبلية منعزلة بعيدا عن التأثيرات الرومانية⁵، وقد تداول على حكمها ممالك محلية جبلية مستقلة، مارست ضغطا متواصلا على أهالي السهول، والمستوطنات الرومانية المتاخمة لتلك السلاسل الجبلية المنيع⁶؛ يرى «موريزو» (MORIZOT. P) من جهته أنّ الكتلة الأوراسية لم تعش في معزل عن النفوذ الروماني وحضارته بديل وجود تجمع سكاني قديم في «منعة» على حسب زعمه⁷



الصورة (2): معلم جنائزي بموقع بومسرف، تصوير الدّارس.

وكيفما كان من الأمر، فإنّ جبال الأوراس قد كانت عامرة وأهلة بقبائل مستقرّة على حدّ ما قدّمه «بيربنت» (BIREBENT. J) من براهين دامغة في هذا النّسق، ولاسيما في مجال الريّ الزراعي ببعض الأماكن المنقطعة في جبال الأوراس⁸. أضف إلى ذلك الملاحظة التي أبداها الباحث «كامبس» (CAMPS. G) حول الخصوصية الثقافيّة لسكان منطقة الأوراس في ذلك الوقت، كما هي مجسّدة بوضوح في صناعة الفخار على وجه الخصوص⁹.

بينما نظيف من جهتنا أهمية هذا المكان الواقع على الطّريق القديم الذي كان يربط آنذاك بين مدينتي «تاموقادي» (تيمقاد حاليا)، ومدينة «ماسكولا» (خنشلة الحالية)، زيادة عن بقايا آثار العمران الرّيفي كالمزارع، ومنشآت الريّ، ومعاصر الرّيتون، وآثار الاستصلاح الزراعي من مصاطب، ونحوها.

3 - نتائج المسح الأوّلي لمنطقة «واد الطّاقة»:

أسفرت عملية التّحرّي الميداني للمنطقة على تحديد آثار عمران ريفي خالص، قائم على استصلاح الأراضي الموات، وشقّ ترع الريّ، ومدّ قنوات الماء، وبناء المواجن لريّ الحقول الزراعيّة، والبساتين المجاورة، إضافة إلى معاصر الرّيتون، كما هو موضّح بشيء من التّفصيل أدناه.

3 - 1 المزارع أو الضّياع (VILLAE): تمّ تحديد العديد منها بواد الطّاقة، منها «هنشير بوزينة»، حيث تربّعت ضياعه على مساحة ناهزت ثلاث هكتارات، وقد اشتملت على

منشآت سكنية ذات طابع ريفي؛ و«هنشير المزقوب» (الصورة: 3) المتميّز بانتصاب سكناته في الغالب الأعم على ربوة، ومن حولها تنتشر أراضي زراعية متنوعة الاستغلال، حُصص بعضها لغرس أشجار الزيتون والكروم، وبعضها الآخر لزراعة الحبوب، والخضروات، وإنشاء الحدائق بجوار المنازل؛ أضف إلى ذلك شساعة فضاءات الرعي والغابات الواقعة بالجوار؛ ناهيك عن قرب تلك الصّياح من مصادر التزوّد بالماء، حيث تقع دائماً بالقرب من الوديان، أو المنابع الطبيعيّة¹⁰.



الصورة (3): هنشير المزقوب، تصوّر الدّارس.

3 - 2 معاصر الزيتون: تنتشر آثار هذه المعاصر بكثرة في «واد الطّاقة»، وحسب الباحثة «هنريات كامبس» (CAMPS. H) فإنّ المناطق الإفريقية التي أمدتنا اليوم بأكبر عدد من بقايا هذه المعاصر هي نفسها المناطق التي نعتها «سالوست» في الفترة القديمة على أنها مناطق جرداء وجافة، ما يدل في اعتقادها على أن الرومان هم من قام بتوسيع هذه الزراعة إلى تلك المناطق، وأن زراعة الزيتون هي من العوامل المساعد على الاستقرار، واستتباب الأمن، خاصة بالنسبة للمناطق التي تعمّرها قبائل الرّحل، حيث تهدف هذه الرّزاعة إلى وقف تنقلهم المستمرّ، وكفّ اعتداءاتهم المتتالية على المناطق الحضريّة المجاورة، الخاضعة للسيطرة الرّمانية؛ وبذلك تكون عملية توسيع هذه الرّزاعة المرهبة تجارياً في فائدة الطّرفين معاً، أي إدارة الاحتلال الرّوماني من جهة، وقبائل البدو الرّحل من جهة أخرى¹¹.

3 - 3 المنشآت المائيّة: هناك آثار «قناة ناقلة للمياه» (AQUEDUC) (الصورة: 4) بموقع «قلوع التراب»، لا يُستبعد استغلالها في نقل المياه لريّ الأراضي الفلاحية التابعة للضياع المجاورة لها؛ أضف إلى ذلك وجود آثار «المواجن» لتجميع مياه السقيّ، مثلما هو الحال عليه بموقع «هنشير بوميغنيسن» ناهيك عن العدد الكبير من آثار السّواقي في المنطقة.



الصورة (4): آثار قناة ناقلة المياه بموقع قلع التراب، تصوّر الدّارس.

إذ يعتبر الريّ في مقدمة العوامل، التي ساهمت في قيام زراعة مزدهرة بأفريقيا خلال فترة الاحتلال الرومانية بالنّظر إلى طبيعة المناخ السائد في شمال إفريقيا آذاك، حيث كان يميل إلى الجفاف مثلما هو الحال عليه اليوم. وقد تفتّن الرومان مبكرا هذه الحقيقة، فعمدوا بمساهمة أهالي المنطقة إلى تعويض نسبة التساقط الطبيعيّ الناقصة باستحداث منشآت الريّ اليدوي، حيث شرع مهندسوهم في إعادة تهيئة المنشآت التي أقامها الأهالي قبلهم، ثم أضافوا عليها منشآت جديدة على شاكلة المنشآت المذكورة أعلاه.

3 - 4 تهيئة المصاطب الزراعية: نظرا لطبيعة البنية الجبلية، وكثرة الأحراش في تركيبية تضاريس المنطقة، لجأ الإنسان إلى تقنية بناء، وتهيئة المصاطب الزراعيّة على مستوى منحدرات جبال المنطقة، سعيا منه لاستغلال أراضيه إلى أبعد الحدود، بعدما أصبح الرومان يسيطرون على المناطق السهلية، ولا يسمحون للأهالي بالاستفادة من خيراتها، كما هو الحال عليه بمنحدرات موقع «ايجلفاون» (الصورة: 5)؛ علما أن هذه التقنية تصلح أكثر لترية سريعة الجفاف¹²، وأن «عملية التوسع الزراعي كما هو معلوم مرتبطة أساسا بطبيعة الوسط الطبيعي، حيث تقنيات الزراعة في السهول غير تقنيات نظيرتها في المناطق الجبلية.



الصورة (5): آثار زراعة المدرجات بموقع «ايجلفاون»، تصوير الدارس.

خاتمة:

ما يمكن استخلاصه أن الدلائل الأثرية التي زودتنا بها منطقة «واد الطاقة»، تؤكّد بوضوح استقرار الإنسان بها منذ فترة ما قبل التاريخ، وأنّ هذه المواقع الأثرية المتنوّعة بحاجة ماسّة إلى بحث علمي واثري عميق ودقيق من قبل المختصين في الميدان لرصد مراحل تطوّر التعمير البشري بالمنطقة، وطريقة تفاعله مع بيئته الطبيعيّة والتاريخية عبر العصور، قبل أن تمتدّ إليها يد الإنسان، أو عوادي الزّمن فتتلفها على اعتبار أنّها آثار غير مصنّفة في قائمة التّراث الوطني والإنساني.

هوامش البحث:

- 1 - MORISOT (P), «l'Aurès dans l'antiquité», tome 8, In: Encyclopédie Berbère, Aix en Provence, 1989, p 1103.
- 2 - ROUBET (C), Roubet C., « Economie pastorale préagricole en Algérie orientale. Le néolithique de tradition capsienne. Exemple : l'Aurès », CNRS., Paris, p .595
- 3 - PAYEN.(C). « Lettre sur les tombeaux circulaires de la province de Constantine ». Vol. XI, R.N.M.S.A.C.1863 p:161.
- 4 - MASQUERAY (E), « Voyages dans L'aouras », Bulletin de la société de Géographie d'Alger et d'Afrique du nord, 1876, pp 33 - 45.

- 5 - COURTOIS (CH), « Les vandales et l'Afrique », Edit. A.M.G , Paris, 1955, pp.116 – 118.
- 6 -Ibid, p332.
- 7 -MORIZOT (P), « Archéologie aérienne dans l'Aurès ». Edit. Du CTHS, Paris,1997 p . 43
- 8 - BIREBENT J., - « Aquae Romanæ, recherches sur les travaux hydrauliques romains dans l'Est algérien ». Service. Des Antiquités, Alger, 1962. p.523.
- 9 -CAMPS (G), « Aux origines de la berbèrie. Massinissa ou les débuts de l'histoire ». t. VIII, Libya, Archéologie- épigraphie, 1960,pp.9394-.
- 10 -El BOUZIDI (S), «La conception de la villa rustica chez Caton, entreprise agricole où simple ferme rurale», In: Gérion, N° 21, Année 2003, pp 183 -184
- 11 -CAMPS-FABRER (H), « l'Olivier et l'Huile dans l'Afrique Romaine » , imprimerie officielle ,Alger 1953.p.9.
- 12 -DESPOIS (J.), « La culture en terrasses dans l'Afrique du Nord », N°1; in Économie, Société, Civilisation ; 11ème Année, 1956, pp4950-

الرمزية الوثنية في مدينة كالاما (قالمة) وضواحيها من خلال بعض مشاهد الأنصاب النذرية والجنائزية للفترة القديمة.

د. زروال زكية، (المدرسة العليا للفنون الجميلة- الجزائر العاصمة).

ملخص:

إن الهدف من دراسة الرمزية في الفترة القديمة هو تسليط الضوء على مختلف المعتقدات الدينية التي كانت سائدة عند المجتمعات المحلية والأجنبية الشرقية والغربية، من جهة، ومن جهة أخرى فهي تلعب دورا حاسما في فك لغز الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي امتازت بها حضارات العالم القديم .

و لقد انصب اهتمامنا في دراسة الرمزية من خلال الأنصاب النذرية والجنائزية للفترتين النوميديّة البونية والرومانية التي تم الكشف عنها في مدينة كالاما القديمة (قالمة) وضواحيها، حيث أثبتت نتائج دراسة رموز هذه المعالم الدينية أن المعتقد المحلي تأثر بالديانات الأجنبية وعلى الخصوص الفينيقية والمصرية والرومانية ويظهر جليا من خلال امتزاج وتطابق بعض المعبودات فيما بينها لغرض اجتماعها بفكرة الخصوبة والحياة.

الكلمات المفتاحية : كالاما، الرموز الوثنية، الأنصاب النذرية والجنائزية، الرمزية، الرموز، الخصوبة، الماء، تبادل ثقافي، نوميديا، الفترة النوميديّة البونية، الفترة الرومانية.

Abstract

The purpose of this paper first aims at exploring, through some symbolic signs, different beliefs spread in local and foreign eastern and western societies during the Roman era. Second, it attempts to disambiguate the meaning of these signs, which were related to the social, political and cultural life of those times. As far as the methodology is concerned, we applied a descriptive analytical approach to the corpus under study. The data were collected from the Numidian, Punic and Roman funeraries and votives monuments, found in the ancient city Calama (Guelma).

The results of this investigation showed that the religious symbols help us to understand some hidden beliefs of the cultural life in Calama.

More over it is possible to affirm that not only the Numedian cultural life was widely influenced by the Phoenician, Egyptian and Roman civilizations but it impacted other cultures too. This was particularly visible through symbols referring to fertility, and water which were at the core of social and political empowerment.

Key words: Calama, Paganism symbols, fertility, water, cultural interinfluence, Numedia, funerary monument, votive monument.

مقدمة:

تعتمد الرمزية على دراسة الرمز كما تخبرنا عن خفايا الديانات والمعتقدات التي اعتنقتها الشعوب القديمة، ولقد تأثرت الديانة النوميديّة المحليّة وأثرت بدورها بعض المعتقدات البونية والرومانية ونتج عن ذلك امتزاج وتطابق بعض المعبودات مع بعضها كونها تجتمع في بعض الخصائص وعلى سبيل الذكر تلك التي لها علاقة بالحياة كعنصري الشمس والقمر اللذان جسدهما الفنان النوميدي على مختلف الفنون من أهمها القطع النقدية التي تؤرخ في الفترتين النوميديّة والرومانية التي سكت تحت حكم الملوك سيفاكس وماسينيسا ومكيسا ويوبا الأول ويوبا الثاني وبطليموس أوالمصايح الفخارية التي تعود إلى الفترة الرومانية التي تنص قصص وأساطير ميتولوجية تتعلق بمعبودات تبنتها شعوب حضارات المشرق كبلاد الرافدين وسوريا وفينيقيا ومصر وبلاد اليونان وروما ومستعمراتها وعلى الخصوص الأنصاب النذرية والجنائزية التي تحمل مشاهد إكونوغرافية لها علاقة بالإلهين الرئيسيين بعل حمون/ ساتورن وتانيت/كايستس والهة أخرى كماركوروس ونبتون وباكوس وفينوس ومينارفا ومارس وفورتونا وغيرها.

ولقد تم الكشف على هذه المخلفات الأثرية في عدة مدن جزائرية قديمة من أهمها كالاما (قالمة) وسيرتا (قسنطينة) وكويكول (جميلة) وسيطيفيس (سطيف) وروسيكاد (سكيكدة) وإيكوزيوم (الجزائر) وتاموقادي (تيمقاد) ولامبيزيس (لامباز) وغيرها من المدن المشهورة.

و تنقسم الرموز الوثنية إلى عدة أمطاط :

- رموز فلكية وتشمل القرص الشمسي والقمر والنجمة.
- رموز ذات الطابع الزراعي وتتمثل في المنتوجات الزراعية البكر كالعنب والرمان وثمره الصنوبر وقرن الرخاء او الوفرة.
- رمزية الحيوانات كشعارات وكأضحيات للآلهة (ساتورن، كايستس، جوبيتر، أفريكا، إيزيس).
- رموز/ توابع خاصة بآلهة البحر والمحيطات والمياه العذبة وكل ما له علاقة بالماء.
- رمزية المعالم والأدوات المستعملة أثناء الطقوس الدينية (المبخرة، المذبح، السكين، الفأس، المقص).
- الرمزية الدينية للأسلحة وعلاقتها بالسلطة (الرمح، القوس، السهم، السيف، الخنجر، الدرع والعصا الملكية).
- رموز تعبر على الفوز بالحياة الثانية والخلود الأبدي وتشمل سعفة النخلة وثمره الصنوبر والإكليل الزهري المزين بأجمل العناصر النباتية الرامزة إلى الخلود كوريقات الرند وشجرة الدالية.

أولا / الرموز في المعتقدات بشمال افريقيا:

تعود أصول المعتقدات الدينية في شمال إفريقيا إلى فترات باكرة، ويظهر ذلك من خلال عبادة السكان القدامى للطواهر الطبيعية وتجسيدهم لبعض المشاهد المعبرة لذلك على مستوى الواجهات الصخرية لفترات ما قبل التاريخ وعلى سبيل المثال تمثيل الكبش المقدس وبين قرنيه القرص أو الكرة ذوي الطابع الفلكي، وهو رمز يرجع الى المعبود المصري « أمون ». وتعد الفترتين النوميديية البونية والرومانية فترة تشييد الأنصاب والمذابح والطاولات الجنائزية التي جسد من خلالها فنان تلك الفترات مشاهد تتعلق بالمعبودات وأهم توابعها، ومن أهمها عبادة الإلهين بعل حمون ساتورن وتانيت كايستس، هذه الاخيرة قد قابلتها أيضا معبودة أخرى للخصوبة وهي الأم الكبرى "Magna Mater" والتي نجدها مذكورة كثيرا على النقيشات اللاتينية في مدن إقليم نوميديا قديما.

وتطورت رموز هذه المعالم عبر العصور وتواصلت البعض منها وما زالت تستعمل في بعض المناطق على الفخاريات والزرابي.

كما يعود أصل بعض الرموز إلى حضارات أخرى غير محلية نوميديية وهي الحضارات

المصرية وبلاد الرافدين، إذ أن بعضها قد تعرفت عليها مدن شمال أفريقيا بفضل الفينيقيين الذين اعتنقوا بها حين احتكوا وانسجموا بشعوب هاته الحضارات العريقة واعتنقوا ديانتهم بفضل رحلاتهم التجارية التي ساعدتهم على إثراء ثقافتهم وديانتهم واقتصادهم.

و يذكر الدكتور محمد البشير شنيبي أن هذا التأثير بالديانة الشرقية الكنعانية ظهر ابتداء من اتصال المغرب بالمشرق في فجر التاريخ عن طريق الإستيطان الفينيقي بفضل السجل الإكونوغرافي الوثني الخاص بالمعالم نتعرف على الديانات التي تعاقبت عليها شعوب الفترات القديمة منها المحلية البونية ثم الرومانية والتي أدخلت من خلالها آلهة رومانية وشرقية أجنبية كانت ربما تحمل نفس صفات وخصائص الآلهة المحلية الليبية.

و كما ذكرناه سالفاً، فمن خلال هذه الديانات نتعرف بدون شك على المعتقدات والطقوس الدينية الجنازية التي عرفتها الشعوب القديمة، إضافة إلى المنتجات الزراعية والحيوانات التي كانت منتشرة ومتوفرة في المناطق والتي كانت تحمل البعض منها قيمة مقدسة وخصائص إلهية تتمثل في القوة والسلطة، كالثور والكبش والأسد، هذا الأخير الذي يظهر على أنصاب مدينة سطيف وجميلة وهو يرافق الإله ساتورن كما كان في فترات بعيدة جداً تابعا للإلهة عشتارت الفينيقية. ورغم الرومنة التي مست جميع طبقات المجتمع النوميدي، أين رومن العديد منهم لم يغرى السكان لا بالأسماء اللاتينية ولا الإغريقية للآلهة بل بقوا متمسكين بمعتقداتهم الدينية القديمة المحلية.

و يؤكد شنيبي محمد البشير هذه الظاهرة في مقاله « ملحمة عن التحريات الأثرية بنوميديا الشمالية»، بمجلة معهد الآثار لسنة 2012، حيث يذكر أن سكان المنطقة تمسكوا بتقاليدهم الدينية ولم يقبلوا بسهولة المسيحية، وهو ما تعكسه طقوسهم الوثنية المتأخرة المجسدة في الأنصاب الجنازية والنذرية.

و كما ذكر أعلاه، إن بعض هذه البصمات تؤرخ منذ فترات ما قبل التاريخ والتي يمكن التعرف عليها من خلال الرسوم الصخرية التي مست الأطلس الصحراوي، الهقار، الطاسيلي والمنطقة الوهرانية. وهناك مثال حي عن استمرارية استعمال بعض الرموز في إحدى مواقع إقليم مدينة قاملة، يتمثل في فخار منطقة هيليوبوليس أين يتواصل رسم رمز الإلهة تانيت على بعض الأواني الفخارية للمنطقة، ففي السبعينات قام الباحث جون برنار مورو وهو مختص في فن الفخاريات بجرد جميع الرموز الممثلة على الأواني الفخارية الجزائرية، ومن خلال دراساته اتضحت استمرارية استعمال بعض الرموز الوثنية القديمة إلى يومنا هذا.

ثانيا / الخصائص الجغرافية والتاريخية لمدينة قالمة: فهي تبعد عن مدينة قسنطينة ب 117 كم وب 65 كم عن عنابة فهي محدودة جنوبا بجبل ماونة وشمالا بجبل هواة وشرقا الفج الأبيض أما غربا بجبل طاية.

أما تاريخيا فهي من بين المدن الأثرية للشرق الجزائري التي عرفت تعاقب الفترات التاريخية الهامة تاركة من ورائها بصمات ناتجة عن تطور الفكر البشري وهذا على مختلف المعالم الأثرية المساهمة في قراءة وفهم تاريخ المنطقة.

فهي تقع وسط مجموعة من ولايات الشرق الجزائري الهامة كهيبون (عنابة)، روسيكاد (س كيكدة)، اجلجلي (جيجل)، الطارف، تاغاست (سوق اهراس) وسيرتا (قسنطينة)، وهو الأمر الذي جعلها تتطور وتفتح في جميع المجالات على حساب هذه المدن.

ورغم هذا التفتح والرومنة التي سادت المدن المجاورة لها فقد حافظت على تقاليدها وعاداتها النوميديّة البونية ويعكس ذلك جليا في التسيير الإداري، أين كان قائما على قاضيين بلديين يسمان بشوفط ورئيس قبيلة معترف به من طرف السلطات الرومانية.

ومن أهم مواقع المنطقة التي توفرت فيها المعالم الحاملة للرموز نذكر مدينة Thibilis (عنونة) الواقعة على بعد 30 كم جنوب غرب قالمة، فهي محاذية للطريق الرابط بين هذه الأخيرة ومدينة قسنطينة وأصلها يعود إلى الفترة النوميديّة البونية.

نظيف موقع Aquae Thibilitanae (حمام المسخوطين)، الموجود على بعد 20 كم من مدينة قالمة ومنطقة Thabarbusitanis Populus (عين النشمة) الواقعة على بعد 5 كم جنوب غرب المدينة. وتعتبر عين النشمة الموقع الذي توفرت فيه أكبر عدد من الأنصاب النذرية والجنائزية الحاملة للكتابات اللببية والبنوية والبنوية الجديدة، وحسب الدكتور محمد الخير أورفه لي، فنظرا للعدد الهائل للأنصاب ذات الخصائص الإكونوغرافية البونية فقد وجد توفيت مكرس للإله بعل حمون في هذه المنطقة.

أما من الجهة الشمالية نذكر قلعة بوصيع والتي تقع على بعد 10 كم من مدينة قالمة، وعددها قليل جدا تتميز صورها في المشاهد الإحتفالية الخاصة بتقديم القرابين والأضاحي.

مع الإشارة أن جميع الصور الموجودة في ملحق الصور، قد تم الكشف عنها في كل من قالمة وعين النشمة وحمام المسخوطين. فهي حاليا محفوظة بالمرسح الروماني (المتحف) والمركز

الثقافي ببلدية بن جراح وقلعة بوصبح، أما الرسومات فهي تمثل معالم عين النشمة وقاملة، تم نقلها من طرف دولامار (قائد عسكري فرنسي) في القرن التاسع عشر إلى متحف اللوفر.

وحسب الخصائص الإكونوغرافية لهذه المعالم، يمكن استخلاص أن عبادة الإلهين قد استمرت حتى القرنين الثاني والثالث ميلاديين غير أن الشكل الخارجي للإلهين تغير ، فبعدما أن كان يرمز للإله بعل حمون خلال الفترة النوميديّة البونية ببعض الحيوانات كالثور والكبش والرموز الفلكية، أصبح يجسد على هيئة إنسان في الفترة الرومانية ويظهر ذلك جليا على معالم كل من سطيف وجميلة وتيمقاد.

و يرجع السبب في اعتناق الإفريقيون المعبود بعل حمون ساتورن، كونه يمثل سيد الكون فهو الذي يسهر على حماية وخصوبة المحاصيل الزراعية والقطعان وعلاقته الوطيدة بالأرض والخصوبة، أما عن الدور الكوكبي فهو إله الأموات يوفر الحياة السعيدة للميت في حياته الثانية وهنا يكمن الفرق بين الدور الأول والمعبر عنه في الأنصاب النذرية والدور الثاني الذي يجسد على الأنصاب الجنائزية.

كما يوصف بسيد المعبد الذي تقدم فيه الأضاحي البشرية التي استبدلت في فترة متأخرة بالأضاحي الحيوانية. انظر الصور (5) و(1-18) و(2-18).

و يذكر أوره في محمد الخير أن في نصبين لتوفيت الحفرة بسيرتا، يمثل الإله بالحية وعلى رأسه التاج المزين بالريش، وهو يحمل تارة الصولجان الرامز إلى القوة والسلطة وتارة قرن الوفرة الرامزة إلى الثروة والرخاء. فيما يتعلق بالصولجان فهو يأتي معزولا في وسط النصب، نجده بين رمزي الإلهة تانيت أو بين قرصين. وفي نصبين لمدينة حمام المسخوطين نلاحظ تمثيل الصولجان على شكل حلقات دائرية متراكبة مع غياب العمود أما عن الصولجان المركب من الحلقات الدائرية والعمود فنجده على ثلاثة أنصاب لمنطقة حمام المسخوطين. انظر الصورة (15).

و منه فجميع الرموز المنحوتة على الأنصاب النذرية، لها علاقة مباشرة بالمعبودين بعل حمون ساتورن، إله الكون والعالم الآخر وتانيت كايستس، الإلهة الأم فهما اللذان يسهران على خصوبة كل ما له علاقة بالطبيعة.

كما يوفران مياه الأمطار لإنبات الزرع و يرمز إلى المعبودة تانيت ب « رمز تانيت » الذي يتكون من القاعدة المثلثية والقطعة المستقيمة أي الذراعان الموجودة على قمة المثلث والقرص الرامز إلى الرأس والموجود أعلى الذراعان.

ثالثاً / الرموز ذات الطابع الفلكي:

احتلت هذه الرموز مكانة هامة لدى سكان شمال إفريقيا كونها تحمل قيمة دينية فهي تنوب عن الإلهين الرئيسيين بعل حمون ساتورن، إله الشمس وسيد الكون والإلهة تانيت كايستس، الإلهة الأم وسيدة الخصوبة.

ولهذه الرموز الفلكية قيمة سماوية ويظهر من خلال المكانة التي تشغلها على المعالم، فهي مقر أرواح الموتى في حياتهم ما بعد الموت ووظف مشهد الرموز الفلكية لحماية تابوت الميت من العين الحسودة و يعود أصلها إلى ديانات الحضارات الشرقية المصرية وبلاد ما بين النهرين حيث قام الفينيقيون بنشرها على مدن شمال إفريقيا وقام الليبيون بتبنيها حين أدركوا أنها تحمل نفس خصائص ألهتهم ومعبوداتهم.

1. **الهلال أو القمر** : بصفته الأبدية الخالدة، مصيره يشبه مصير الإنسان كونه كوكب يزداد حجمه وينقص إلى أن يختفي، فهو يعبر على التنقل من الحياة إلى الموت ومن الموت إلى الحياة ، ومن بين ظواهره الإيجابية السيطرة على دورة الحياة حين يساهم على خصوبة الأراضي بفضل توفير مياه الأمطار. انظر الصورتين (1) و(19-1).

و يعلوه أحيانا الساق (La hampe) الذي ينسبه المؤرخ ستيفان قزال إلى الفترة البونية فهو يشبه صولجان الإله بعل حمون الذي يرمز إلى الحماية وخصوبة الأراضي ومنه وفرة المحاصيل الزراعية.

2. **المثلث** : يذكر الباحث كومون أنه يجمع بين ثلاثة آلهة، إله الشمس، إلهة القمر وكوكبا آخر ربما تكون الإلهة فينوس ولكنه ينتشر بكثرة على أنصاب الفترتين النوميديا البونية والبونوية الحديثة الحاملة لمشهد الإلهة تانيت الذي يرمز إلى الخصوبة وتنتشر صورته على معالم المدينة وينحت تارة وحده وتارة مقرونا برأس وذراعان رمز نفس المعبودة. انظر الصور (3) و(15).

3. **الزهرة والنجمة** : هما رمزان سماويان وتابعان للإلهين بعل حمون / ساتورن وتانيت / كايستس وتنتشر صورهما على مستوى السجل العلوي للنصب وتعوضان أحيانا الشمس والقمر. انظر الصورة (2).

رابعاً / الرموز ذات الطابع الزراعي :

تأتي في المرتبة الثانية بعد الرموز الفلكية، وتنوعت حسب تنوع المحاصيل الزراعية

وانتشرت حسب طبيعة مناطق شمال إفريقيا إذ نجدها بكثرة في مدينتي كالاما (قالمة) وتوبورسيكونوميدياروم (خميسة)، فهي تزين معالم مدينة قالمة ونجدها إما في السجل العلوي أين تحتل مكان الإله لكي ترمز إلى الحياة السعيدة والخلود وتكمن في عنقود العنب وثمره الصنوبر وقرن الوفرة أو تحتل السجل السفلي أين تظهر في أيادي أصحاب النذر كقرايين مهداة إلى الإله الأعظم.

1. **عنقود العنب** : يعتبر من أهم المنتوجات البكر المهداة إلى الإله بعل حمون ساتورن وانتشر بقالمة وعين النشمة خلال القرن الأول قبل الميلاد إلى أن وصل إلى أوج تطوره أثناء القرنين الثاني والثالث ميلاديين. فهو يعبر على الخصوبة حين تنتشر صورته على الأنصاب النذرية رفقة المنتوجات الزراعية الأخرى سواء كانت أمام أوفي أيادي أصحاب النذر، من جهة ومن جهة أخرى فهو يرمز إلى الخلود والحياة السعيدة حين تجتمع صورته بالكعك والتاج والإكليل وسعفة النخلة. **انظر الصورة (4).**

و لقد تواصل استعمال مشهد عنقود العنب على الطاولات الجنائزية التي تعود إلى الفترتين الرومانية المتأخرة والمسيحية.

2. **ثمره الصنوبر** : لم تستعمل كثيرا خلال الفترة البونية ولم تنتشر إلا خلال الفترة الرومانية وبفضل طبيعتها الزراعية فهي ترمز إلى التكاثر والخصوبة وبطبيعتها المقاومة لبرودة الشتاء فهي تعبر على الخلود وتجديد الحياة في العالم الآخر وتجمع صورتها بالهلال في السجل العلوي أو بصاحب النذر في السجل السفلي **انظر الصورة (5).**

3. **قرن الوفرة** : يرمز إلى وفرة الثمار أو المنتوجات البكر المنتشرة في المنطقة، فهو يمسك في بعض الأحيان من طرف الإلهات اللواتي لهن علاقة بالزراعة والوفرة خاصة الإلهة فورتونا كما هو موضح على معالم مدينة مادوروس (مداوروش) بولاية سوق أهراس، أما عن الإله ساتورن فهو يمسكها على الأنصاب النذرية لمدينة بولا ريجيا وتبين هنا رمزيتها الإلهية التي تنوب عن الإله حين يشغل السجل العلوي للنصب وصورت إما على انفراد أو في يد نفس الإله. **انظر الصور (6) و(7).**

و لعل أجمل وأثرى مذبح وجد في ضواحي مدينة كالاما، هو ذلك المعلم الذي تم العثور عليه في مدينة تيبيليس (عنونة) وبالضبط في ساحة منزل عائلة Antistii ويحمل نقيشة لاتينية أهدت من طرف سكان المدينة إلى السيدة Vibia Aurelia، ابنة الإمبراطور

ماركوس اوريليوس وزوجة L.Antistius.Burrus الذي قتل هذا الأخير من طرف الإمبراطور كومودوس.

ولقد صور على المذبح المعبود الروماني، إله البيت، بمواصفات محلية وهو يمسك بيده اليسرى قرن الوفرة بينما يضع يده اليمنى على رأس كبش وثمره الصنوبر.

4. **سنابل القمح** : تنتشر على عدد قليل جدا من الأنصاب النذرية وتحتل السجل السفلي للمعلم حيث تعبر في هذه الحالة على تشكرات صاحب النذر للإله الذي حقق أمنياته وباركه بالحصاد ونجدها إما محمولة أو منفردة وتنتشر على أنصاب كل من عين النشمة وعنونة وحممام المسخوطين.

خامسا / الرموز ذات الطابع الجنائزي المعبرة على الفوز بالحياة الأخرى :

وهي تلك الرموز التي استعملت للتعبير على فوز الميت بالحياة الثانية وهو معتقد عتيق تعود أصوله إلى البدايات الأولى للحضارة المصرية.

1. **سعفة النخلة** : أصلها سامي واحتلت مكانة هامة في الديانات الشرقية ولقد استعملها السومريون والمصريون والفينيقيون في طقوسهم الدينية حيث كانت توضع في أيادي الآلهة كونها اعتبرت شعارا دينيا للتعبير على الحياة والحظ السعيد تتوفر صورها على عدد كبير من الأنصاب، فهي توظف المشكاة وتعوض الإطار المعماري الذي يزين مداخل المعبد أو المصلى. انظر الصورتين (8) و(9).

2. **التاج المعبر على الفوز بالحياة الأخرى** : يشغل دائما السجل العلوي للمعلم سواء كان نصبا أو مذبحا، فهو يرمز إلى الفوز بالحياة الأخرى مثل الكعك وسعفة النخلة التي تنتشر صورهما في أيادي الموتى ويمثل إما دائريا أو معينا. انظر الصور (8) و(19-1).

3. **الإكليل الزهري** : هو رمز الخلود والفوز بالحياة الأخرى، عادة ما يحمله الشخص على شكل باقة من الزهور أو يزين السجل العلوي لبعض المعالم خاصة الجنائزية ولا النذرية وعلى سبيل المثال هناك نصب جنائزي للمدينة أين نجد الإكليل يعلو رأس الميت ليرمز إلى الخلود والحياة السعيدة. انظر الصورة (10).

سادساً / الرموز ذات الطابع الجنائزي الديني :

1. **المذبح** : تنتشر صورته على عدد كبير من أنصاب المدينة وضواحيها، فعليه تضحى

الحيوانات المقدمة للآلهة وعليه توضع مختلف القرابين وهو على نوعين: المذبح المشتعل والمذبح الطافئ. انظر الصورة (12).

2. الباب المقدسة: هي ذات تقليد مصري ترسم أسفل الأشخاص، فهي الباب التي تمر عبرها روح الميت لتصل إلى العالم الآخر، وأمثالها موجودة داخل مصطبات وأهرامات الحضارة المصرية، فهي التي تفصل بين الحياة الأرضية والحياة الفلكية الأبدية ومن أشهرها باب مصطبة تي. انظر الصورة (13).

3. المخطط الجنائزي: هو كتاب خاص بالميت ويمثل مغلقا وتعود أصوله إلى الحضارة المصرية ويتحوي على نصوص ذات طابع سحري لحماية الميت من جهة ومن جهة أخرى فهو يرشد روحه أثناء هجرتها من العالم السفلي إلى العالم الأبدى وتنتشر صورته على نصب جنائزي واحد ولسوء الحظ هو في حالة حفظ سيئة.

سابعاً / المشاهد الحيوانية :

عرفت معالم شمال إفريقيا عامة ومدينة قالمة وضواحيها خاصة تمثيل حيوانات شمسية تعبر على القوة والسلطة كالثور والكبش والعجل.

تنتشر صورها بكثرة على أنصاب المدينة ولقد نحتت لتتوب عن صورة الإله بعل حمون ساتورن أولغرض تمثيلها كقرابين حين اجتمعت بمنتوجات زراعية كعنقود العنب وثمره الصنوبر والكعك.

1. الثور: اقترن هذا الحيوان قديماً بالإله فورزيل وهو ابن الإله المصري أمون ولقد وجدت تماثيل من الفخار تعود إلى فترات ما قبل التاريخ وتتمثل في إيدولات من البازلت تم الكشف عنها في منطقة تازروك بالهقار وتنتشر صورته على معالم الحضارات الشرقية وبلاد اليونان.

يرمز هذا الحيوان إلى الخصوبة والوفرة و تنتشر صورته في السجل العلوي لنصب واحد وقد مثل بجانب المذبح والنجمة اللذان يدخلان ضمن التوابع التي تنوب عن لصورة الإله ساتورن والمعبرة على الخلود الأبدى في الحياة الثانية. انظر الصورة (2).

2. الكبش: يعتبر تابعا حيوانيا للإله المصري أمون، فهو إله الشمس وحمي الحيوانات وله سلطتان أرضية تكمن في الحماية والأخرى فلكية لها علاقة بكوكب الشمس وهذا واضح

من خلال النقوش والرسومات الصخرية المؤرخة منذ فترة العصر الحجري الحديث في كل من الفزان والطاسيلي الناجر والجنوب الوهراني وخاصة في جبال القصور وجبل عمور وولاد نايل.

نجدته على عدد كبير من أنصاب مدينة قاملة وموقعي عين النشمة وحمام المسخوطين وينحت تارة على يمين الشخص فوق المذبح وهو متجه نحو اليمين وتارة يجلس صاحب النذر عليه، وأحيانا نجدته في أسفل النصب متجه نحو اليمين وفي حالة ما إذا وجد أعلى النصب فهو يرمز إلى الإله نفسه. انظر الصورتين (2) و (5).

3. العجل : تؤرخ عبادته إلى حوالي القرن 2 ق م، وهو يأتي في مكان الإله ومنه ينوب عنه كباقي الحيوانات أو ينحت بجانب القرابين ليرمز إلى الهدية التي قدمت للإله.

4. الطيور: تنتشر صورها على أنصاب الفترات البونية والبونوية الحديثة والرومانية واعتبرت كمبشرات الآلهة كرمز الحياة فهي تعبر عن هجرة الروح بعد الموت إلى مقرها الأبدي و تمتعها بالخيرات وخاصة عندما ينحتها الفنان وهي تنقر بداخل الباطية وهو إناء ذو عروتين استعمله الإغريق والرومان لمزج الخمر بالماء.

و تشمل الحمامة واليمامة اللتان انتشرت صورهما على معالم حضارات المشرق في بلاد الرافدين و فينيقيا إلى جانب العالم الإيجي، أما في المدن الجزائرية القديمة فلقد صورها الفنان في أبيادي أصحاب النذر من جهة ويظهر ذلك جليا من خلال أنصاب كل من القيصرية (شرشال) وتيبازة وأوزيا (سور الغزلان) وإيومنيوم (تيقزيرت)، ومن جهة أخرى فهي تحتل أحيانا السجل العلوي للنصب.

5. الديك : يرمز في الديانات الشرقية إلى الخصوبة والخلود السعيد في العالم الآخر وتنتشر صورته على نصب واحد تم الكشف عنه في موقع عين النشمة إلى جانب مذبحين وجدا في ضواحي مدينة كالاما، الأول محفوظ بمتحف قاملة والثاني نقله الباحث دولامار إلى متحف اللوفر.

و لقد نقشت على إحدى واجهات مذبح متحف اللوفر زوجان بداخل تاج للتعبير على الخلود والحياة السعيدة، أما على مستوى الجانب الأيمن فنجد آنية جنازية Patère وإله البيت مرتكز على أداة من المحتمل أن تكون المشعل الذي يرمز إلى الخلود، أما في الجانب الأيسر نلاحظ التاج والباب المقدسة. انظر الصورتين (1-19) و (2-19).

6. السمكة : هي رمز الحياة والماء إلى درجة أنها رسمت على جدران بعض صخور ومغارات الطاسيلي ويعتبر موقع سيفار من أهم المواقع التي تحتوي على مشهد السمكة من أهمها موضوع الإله المدعو سيفار الذي صور بحجم كبير وهو واقف ويمسك بيده اليسرى سمكة وباليمنى عصا.

و لقد اعتبرت فيما بعد تابعا رئيسيا للمعبودة تانيت للتعبير على فكرة الخصوبة والتكاثر والأمومة حيث تنتشر صورتها على معلم واحد وهو محفوظ حاليا بمتحف اللوفر. انظر الصورة (15).

ثامناً / المشاهد العسكرية :

تشمل على الخصوص الأسلحة التي كانت تقدم كقربان أهديت على شرف الإله بعل حمون/ساتورن وتانيت/كايستس من قبل رؤساء القبائل والجنود النوميديّة والرومانية أو وظفت لتعبر عن وظيفة صاحب القربان أو رغبة هذا الأخير للنجاح في عمله العسكري.

1. الدرع : يعتبر من بين الأسلحة الوحيدة التي تم تمثيلها في المنطقة على نصب واحد فقط وهو محفوظ حاليا بمتحف اللوفر حيث يمسكه الشخص الذي قد يكون قائدا أوراكب خيل إفريقي، مع الإشارة أن صورة هذا الأخير تنتشر على أنصاب أبيزار أين تحفظ البعض منها بمتحف الآثار قديمة بالجزائر. انظر الصورة (16).

و يعود تمثيل الدرع إلى عصور ما قبل التاريخ حيث كان يجسد على الرسوم الصخرية واستمر استعماله عند النوميديين في الفترات التاريخية كما كان ينحت على واجهات الأضرحة والمعابد ونجده على إحدى واجهات ضريح الخروب وعلى إفريز معبد شمتو بتونس.

أما عن تقنية النحت التي استعملت على هذا النصب الخاص بدرع المدينة، فهي قديمة وبدائية، من المحتمل أنها تنتمي إلى الفترات الأولى للحضارة البونية أو قبلها أي في الفترة الليبية.

و يذكر المؤرخ رافوازيي أنه تم العثور على أنصاب تحمل نفس الخصائص الإكونوغرافية بالقرب من الضفة الغربية لواد السخون غرب مدينة قالمة.

كما أن الأنصاب توفر لنا عناصر معمارية تتمثل أولا في واجهة المعبد مع الجبهة المزينة بأعمدة وعارضة أين تجتمع الرموز الفلكية وتأتي إما مقوسة أو منحنية أو مثلثة الشكل.

أما عن الأعمدة التي تدخل ضمن العناصر المعمارية الأساسية فنجدها إما ذات الجذوع الملساء أو الملقناة كما تتنوع قواعدها وتأتي إما اتيكية أو دورية أو توسكانية.

إن هذه المشاهد الإكونوغرافية ما هي إلا انسجام لمعتقدات محلية يعود تأريخها إلى فترات ما قبل التاريخ، وأجنبية فينيقية كانت أو مصرية أو إغريقية أو إيطالية رومانية، تطورت مع تطور الفكر البشري، واستمر توظيف البعض منها كمثلث الإلهة تانيت على بعض الأواني الفخارية المعاصرة وهذا في موقع هيلوبوليس القريب من مدينة قامة.

و لم توظف الرموز التي ذكرت سالفًا على المعالم الجنائزية والنذرية فحسب، بل انتشرت صورها على الأواني الفخارية الجنائزية المؤرخة منذ فترة فجر التاريخ والتي اكتشفت في كل من الركينة بقامة وقاستل بتبسة وتيديس بقسنطينة، إلى جانب القطع النقدية التي تؤرخ في الفترتين النوميدية البونية والرومانية وكذلك اللوحات الفسيفسائية للفترة الرومانية التي تم الكشف عنها في كل من تبسة وجميلة وتيبازة وتيمقاد.

و إذا قارنا بين رموز مدينة قامة ورموز المدن الأخرى كسطيف وجميلة وسيرتا وتيديس ومادوروس وغيرها من المواقع التي نالت شهرة كبرى في الفترة القديمة، فنستخلص أنه رغم تواجد نفس الرموز على المعالم المختلفة وعلى المدن المتنوعة فهناك رموزا لا نجدها على معالم بعض المناطق كالأسد مثلا، الذي هو خاصة لمدينتي سطيف وجميلة أو الدرج الذي ينتشر على معالم مدينة تيديس بقسنطينة فقط، أو العدد الهائل للأطباق التي تزين الطاولات الجنائزية لمدينة مادوروس.

وهكذا فلقد جسدت لنا أنصاب مدينة كالاما والمواقع الأثرية التابعة لها كل هذه الرموز المقدسة والمتداولة لديهم خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثالث ميلادي، للتعبير على فكرة استمرارية اعتناق الأفارقة المعبودين المحليين للإله بعل حمون ساتورن، إله الخصوبة والإلهة تانيت كايستس، الإلهة الأم وسيدة العالم السفلي.

كما أنها مكنتنا من التعرف على الأضحيات الحيوانية كالثور والكبش والقرابين التي قدمت إلى هذه القوى الخفية وخاصة تلك المنتوجات الزراعية البكر لغرض حماية الممتلكات والمحاصيل الزراعية وحتى الحيوانات.

خاتمة :

ولقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج المتميزة يمكن ترقيمها على النحو التالي:

1. ارتبطت الإشارات والرموز الإلهية بمظاهر الحياة اليومية الدنيوية والحياة الآخرة، ساعدتنا على تسليط الضوء لفهم التطور الديني العقائدي عند أهالي سكان مدينة كالاما والمدن الجزائرية القديمة الأخرى منذ فترات ما قبل التاريخ إلى غاية أواخر الفترة القديمة.
2. أوحى لنا المعطيات التصويرية على الأنصاب أنها كانت توجد تقاليد خاصة لوضع الرموز على هذه المعالم الجنائزية كانت أم نذرية وتختلف رمزية هذه الإشارات حسب المكان الذي تشغله الرموز.
3. تطورت الديانة في مدينة كالاما خاصة وإقليم نوميديا عامة بتطور فكر وحياة الإنسان وتعلقت بداية باعتناق معبودات محلية، التمسّت من الطبيعة وشملت آلهة المياه والكهوف والحجارة والأشجار والحيوانات.
4. رغم ندرة الموثوقات الكتابية والأثرية الخاصة بالفترة النوميديّة، غير أننا استطعنا التعرف على المعتقد الديني الذي كان سائدا آنذاك اعتمادا على بعض النقوش التي وجدت على إحدى واجهات كهف جبل طاية بالقرب من قلمة.
5. استمر الإنسان المحلي في الفترة الرومانية من اعتناقه لبعض الآلهة الليبية-البونية تحت أسماء لاتينية وتعلق الأمر بالإله ساتورن الإفريقي والإلهة كايستس وإله التجارة والمهاجرين ماركوريوس وإله الطب إسكولاب إلى جانب إله الخمر باكوس الذي لقبه الفينيقيون بالإله شادرافا.

ملحق الصور:



الصورة (03) القرص
الشمسي، الآلهة تانيت
وتابعها الصولجان



الصورة (02) تمثيل الإله يعن
حمون ساتورن، الكيخ والثور
والشجرة



الصورة (01) تمثيل الهلال
والقرص الشمسي في القسم
الغوي للتصيب كتابيين للإله
يعن حمون ساتورن



الصورة (05) يعنو صاحب النثر الهلال
وهو يمسك بيد التعك وبالأخرى شجرة
الصنوبر وتحتة خروفا



الصورة (04) تمثيل صاحب النثر داخل
المعبد ذو التوجهة المؤطرة بمسقة النخلة
وهو يحمل بيده اليسرى تنقود العلب



الصورة (08) يعلو الشعب
صاحب الثلث وهو يمسك بيديه
سعتين لخلعة



الصورة (07) تمسك صاحبة
الثلث بيد قرن الوفرة وبالأخرى
عقود عتب



الصورة (06) يمسك صاحب
الثلث قرن الرخاء وعقود
عتب وهو جالس على الخروف



الصورة (11) تمثيل زوجين داخل
التاج النباتي وهي الأسفل إعليل
تعلوه زهرة



الصورة (10) يعلو
الهلال صاحب الثلث
الذي يمسك عقود
عتب وخروفا بحجم
صغير



الصورة (09) تمثيل
سعتين لخلعة
تؤطران مدخل المعبد



الصورة (14) تمثيل
الأطباي كرمول ذات طابع
جنائزي ديني



الصورة (13) تمثيل الباب
المقدسة المفتوحة المعيرة على
هجرة الروح إلى العالم الأبدى



الصورة (12) يرمز المذبح
في هذه الحالة إلى شخصية
الإله بعل حمون ساتورن
المتعلقة في سيد الأضحيان



الصورة (15) تمثيل الإلهة تانيت وتواجها
المتعلقة في الصولجان والمذبح والسكة
التي ترمز إلى التكاثر والخصوبة



الصورة (17) تمثيل شجرة الحياة (تقليد شرقي)
وهي تابع الإلهة تانيت



الصورة (16) تمثيل مشهد القائد أو
الإله الحامل للدرع العسكري



الصورتين (1-19)
و(2-19) تمثيل الديك
كقربان للإله في
الصورة الأولى بينما
يرمز في الصورة الثانية
(الريمم) إلى الخلود
الأبدي في الحياة
الثانية



الصورتين (1-18) و(2-18) تمثيل
الحيوانات المهذبة كقربان للإله بعل حمون
سالتورن (الخروفا في الأعلى والأرنب في
الأسفل)

هوامش البحث:

محمد البشير شنيطي، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص، 306.

LEGLAY Marcel, Saturne Africain, Histoire, Edition E.DE.BOCCARD, Paris, p.135.

LEGLAY Marcel, Les religions de l'Afrique romaine, in : Africa Romana, 1983, p.58

MOREAU Jean-Bernard, Les grands symboles méditerranéens dans la poterie algérienne, SNED, Alger, 1977

GRELLOIS Eugène, Études archéologiques sur Ghelma (ancienne Calama) et Hammam Meskhoutin, (Extrait des Mémoires de l'Académie nationale de Metz, année 185152-), Metz, Imprimerie S. Lamort, 1852, p.5.

LEPELLEY Claude, Les cités de l'Afrique romaine au bas-empire, Paris, 1981, p.90

GSELL Stéphane et JOLY Ch, Khamissa, M'daourouch, Announa, 3ème partie, Announa, Adolphe Jourdan, Alger, 1918, p.7

RAVOISIE Amable, Exploration scientifique de l'Algérie, tome II, Paris, 1850, p.21

ORFALI Mohamed Kheir, Les cultes et les divinités africaines avant le monothéisme, l'évolution de l'image de la divinité, in : L'Algérie en héritage, p.122.

TOUTAIN Jean, Les cités romaines de la Tunisie, essai sur l'histoire de la colonisation romaine dans l'Afrique du nord, Paris, 1896, p.218.

LEGLAY Marcel, Les dieux de l'Afrique Romaine in : Archéologia, tome 40, 1971 ; p.68

Ibid, Les religions de l'Afrique Romaine, in : Africa Romana, 1983, p.56

GSELL Stéphane, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, tome IV, Librairie Hachette, Paris, 1913, p.263

انتشرت هذه الظاهرة في الحضارة المصرية على واجهات التوابيت، حيث رسمت العين والأذن لإبعاد العين الحسودة.

CUMONT Frantz, Recherches sur le symbolisme funéraire des romains, chapitre III, la lune séjour des morts, Librairie orientale, Paul Geuthner, Paris, 1942, p.210

ELIADE Mircea, Traité d'histoire des religions, Payot, Paris, 1968, p.139

LEGLAY Marcel, Saturne Africain, Histoire, p.196

Idem, p.197

Idem, p.199

تعتبر ثمرة الصنوبر تابعا رئيسيا للإله ساتورن الإفريقي ما دام وظفها الفنان في السجل العلوي المخصص له، وينتشر هذا المشهد في كل من خنشلة وتيمقاد وتبسة.

DE PACHTERE F.G, Musées d'Algérie et de la Tunisie, Musée de Guelma, Paris, Ernest Leroux Éditeur, 1909, p.51, planche IX, figures 4 et 6.

LEGLAY Marcel, op.cit., p.396

BERTRANDY François et Maurice S, Les stèles puniques de Constantine, Edition de la Réunion des musées nationaux, Paris, 1987, p.68

PICARD Gilbert, Les religions de l'Afrique du nord antique, Paris, 1954, p.147

كان يوضع المخطوط الجنائزي أو كتاب الموتى داخل التوابيت المصرية بعد عملية التحنيط لإرشاد روح هذا الأخير في حياته ما بعد الموت.

وجدت ببلاد اليونان تماثيل صغيرة الحجم من الطين لعدة ثيران تعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد

ويعتبر الثور تابعا رئيسيا للإله الأعظم.

LEGLAY Marcel, Saturne Africain, Histoire, p.136

Idem, p.138 ; CHEVALIER J et GHEERBRANT A, Le dictionnaire des symboles, tome II, Edition SEGHERS, Paris, 1973, p.138

BENOIT Luc, Signes, symboles et mythes, P.U.F, 1977, p.48

DELAMARE AD.H.AL, Explorations scientifiques de l'Algérie pendant les années 1840-1845-, Archéologie, Paris, Imprimerie, Nationale, 1850, planche n°177, figures 4, 5 et 6.

Idem, planche n° 178, figure 7

المتحف الوطني سيرتا، الجزائر النوميديّة، الجزائر عاصمة الثقافة العربيّة، 2007، ص، 198.

البناء المعماري للمسجد الإبراهيمي الشريف في مدينة خليك الرحمن هوية عربية وإسلامية*

د. إدريس محمد صقر جرادات،

(مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي – سعير-الخليل-فلسطين)

أ.محمد دياب أبو صالح، (باحث وزارة الأوقاف-فلسطين)

ملخص :

سعت الدراسة للتدليل على نمط البناء المعماري في الحرم الإبراهيمي والذي يتعرض لعمليات طمس وتهويد من الجانب الإسرائيلي والحفاظ على التراث المعماري وأرشفته، وتسليط الضوء على الهوية الوطنية من خلال اختيار الحرم الإبراهيمي كنموذج.

استخدمت الدراسة منهج تحليل المحتوى استنادا إلى الوثائق، والكتب المرجعية وشبكة الإنترنت، والمنهج الوصفي من خلال الزيارات الميدانية والملاحظة .

وهدفت الدراسة إلى:

1- دراسة أوضاع الحرم الإبراهيمي في ظل الظروف الصعبة التي يمر بها شعبنا خلال الانتفاضة والحصار والجدار العازل.

2- التعرف على واقع ممارسات الاحتلال ومحاولته طمس الأبعاد العربية والإسلامية للحرم الإبراهيمي .

3- التأريخ للأهماء المعمارية في المسجد-الحرم- الإبراهيمي.

وتوصلت الدراسة الى أن الحرم الإبراهيمي عربي اسلامي، لم يتمكن من العثور على أي أثر لغير العرب وغير المسلمين فيه، وأي مطالبة لوصول غير المسلمين هو كاذب وادعاء وهمي ولا أساس له من الحقيقة، وأن الحضارات الإسلامية منذ كانت دائما ذات الصلة في إعادة بناء المسجد. وهو مسجد إسلامي فقط.

Abstract:

The study sought to demonstrate the construction of urban style in Al-Ibrahimi Mosque, which is exposed to the operations of blur and Judaization

of the Israeli side in order to preserve ,to document ,to maintain and to archive the architectural heritage and to highlight the national identity through the selection of the Ibrahimi Mosque as a model.

The study used the content analysis based on documents, and books on campus, reference books and the internet and the descriptive approach through field visits.

The study aimed to:

1- study the situation of Al-Ibrahimi Mosque under the difficult conditions experienced by our people during the uprising (Al-Intifada) , the siege exposed on people and the separation wall.

2- recognize the reality of the occupation practices and blur which has two dimensions; the Arab and Islamic dimensions.

3- date the history of the architectural patterns in Al-Ibrahimi Mosque.

This is al- Ibrahimi Mosque , we could not find any trace of non-Arabs and non-Muslims in it, and any claim to access it to any non-Muslims is a false and a fake claim and has no basis of truth. The Islamic civilizations since the dawn of the Islamic has always been related and connected to the reconstruction of the mosque. It is an Islamic mosque and Jewish claims that they have a historical legacy is fake .

أولاً:مقدمة والإطار العام للبحث:

1-مقدمة:

الحرم الإبراهيمي الشريف بناء عربي وإسلامي قائم في مركز البلدة القديمة في مدينة خليل الرحمن أو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام، تقام فيه الصلوات منذ فجر التاريخ الى أن جاء العدو الصهيوني الغاصب واحتل الجزء المتبقي من فلسطين عام 1967م وسيطر على المدن الفلسطينية وأحكم قبضته على الحرم الإبراهيمي الشريف، وبعد مجزرة الحرم

الإبراهيمي الشريف على يد المستوطن الطبيب "باروخ جولدشتاين" في شهر رمضان المبارك من عام 1414هـ الموافق 25 شباط 1994م، وبعدها تمت محاصرة المنطقة وتم تقسيم الحرم القسم الخارجي والبوابات الرئيسة والمدخل بيد الإسرائيليين والبقية يسمح للعرب المسلمين بالصلاة فيه تحت إجراءات أمنية مشددة والمرور عبر بوابات تفتيش إلكترونية، وتمنع فيه إقامة اللوات أيام الأعياد اليهودية ومناسباتهم السياسية، والزائر للحرم عرضة للاعتقال أو القتل حيث استشهد عدة أشخاص على مدخل الحرم، ومن هنا جاءت هذا البحث على الحرم الإبراهيمي الشريف حيث كل شبر وكل حجر وكل بصمة في الحرم شاهد على التاريخ انه عربي وإسلامي ولا يوجد اثر لأية جهة دخيلة.

2-مشكلة البحث:

اكتسب الباحثان خبرات من الحياة الاجتماعية والبحثية من خلال عملهما حيث عمل الباحث محمد دياب أبو صالح في مديرية الأوقاف في الخليل مما أعطاه فرصة كبيرة في الاطلاع على مجريات العمل والاعتداءات على الحرم الإبراهيمي الشريف وكذلك إصداره كتاب الخليل عربية إسلامية، وعمل الدكتور إدريس جرادات محرراً لمجلة السنابل التراثية وإدارة مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي قي سعيير علاقات وثيقة مع مؤسسات المجتمع المحلي والمراكز البحثية والملاحظات والمقدمات والتغذية الراجعة الأمر الذي مهد السبيل لمتابعة سير العمل لدراسة واقع المركز وكذلك الملاحظات التي كان يحس بها أو يسجلها عن وجود مشكلة ما.

- تدمير العديد من أصحاب مراكز البحوث ومؤسسات المجتمع المحلي والباحثين من عدم وجود دراسات على نمط بناء الحرم .

- على الرغم من الجهود التي تبذلها السلطة الوطنية الفلسطينية من أجل الارتقاء وتطوير الأداء , وجهود المؤسسات المدنية والقومية ومؤسسات المجتمع المدني أدى إلى القصور يتمثل في إشاعة جو من التدمير والشكوى من الممارسات الإسرائيلية القمعية ومحاولات التهويد للحرم وإدراجه ضمن التراث اليهودي.

3-أسئلة البحث:

تحاول الدراسة الاجابة على الاسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما المراحل التي مر بها الحرم من حيث النشأة والتأسيس؟

السؤال الثاني: ما واقع الممارسات الفعلية من فعاليات وأنشطة في تكريس الهوية الوطنية؟

4- حدود البحث:

تحدد الدراسة وامكانية تعميم نتائجها في ضوء المحددات الآتية:

1- الحدود الموضوعية: وتتضمن نمط البناء والطراز المعماري في الحرم الابراهيمي الشريف في مركز البلدة القديمة في مدينة خليل الرحمن.

2- الحدود البشرية: يقتصر البحث على إدارة وموظفين وباحثين ومهتمين بنمط البناء في الحرم الابراهيمي.

3- الحدود الزمنية: التطورات البنائية على حصلت في الحرم منذ النشأة والتأسيس ولغاية 2016/12/31م.

5- أهداف البحث:

تهدف الدراسة الى تحقيق الأهداف الآتية:

*كشف الجوانب التي تخدم الاغراض الإجتماعية والسياسة العامة للحرم الابراهيمي الشريف.

*التعرف على واقع الممارسات العملية التي طرأت على الحرم من خلال نمط البناء.

* التوصل ألى مجموعة من الإجراءات التي من شأنها تفعيل العلاقة بين مراكز البحوث والقائمين على الحرم والمجتمع المحلي.

* التأريخ لأعمال البناء والاهتمام بالحرم في ظل السلطة الفلسطينية.

6- أهمية البحث:

* يعتبر هذا البحث من البحوث والدراسات القليلة التي تتناول هذا الموضوع، فهو دراسة يكر على حد علم الباحثان.

* يُرجى أن تعطي هذه الدراسة إضافة علمية الى المكتبة المحلية التي تفتقر الى مثل هذا النوع من الدراسات.

* استفادة المعنيين من هذا البحث وتطبيقاته.

* توثيق نمط العمران في الحرم الابراهيمي الشريف.

7- مصطلحات البحث:

1- التراث الشعبي: هو كل ما ينتقل من السلف الى الخلف في كل جوانب الحياة المادية والمعنوية والذي يمثل خلاصة المعارف والمشاعر والتجارب الحياتية الذي يعتبر جزء من الموروث الحضاري ويتطور مع تطور المجتمع.

2- الهوية الوطنية: «حالة وعي أفراد الجماعة بصفات مشتركة مشحونة بالمعاني والعواطف للانتماء للجماعة ويستمر هذا الشعور عبر الحاضر الى المستقبل ويعزز الانتماء اليه.»²

8- منهج البحث:

يعتمد البحث منهج تحليل المضمون-المحتوى- من خلال تحليل الوثائق والمستندات المتعلقة بموضوع البحث بالإعتماد على المادة المكتوبة من كتب وجرائد ورقوم ومخططات هندسية وخرائط وصور ورسومات وما كتب عن الموضوع³. والمهج الوصفي لواقع البناء في الحرم والمرافق والملحقات من خلال المشاهدة العينية ومخططات الكروي.

9- أدوات البحث:

الاطلاع والرجوع إلى السجلات والتقارير والوثائق والكتب والارشيف الخاص بالحرم وما صدر عن الحرم من كتب واصدارات ومطبوعات ونشرات وما كتب عنه في الصحف والمجلات وما نشر عنه على شبكة الانترنت والزيارة الميدانية.

10- مصادر البحث:

النشرات والكتب والتقارير والسجلات وأرشيف مراكز البحوث وما كتب عن الحرم في الصحافة المكتوبة والمقروءة والمرئية وشبكة الانترنت.

11- خطة البحث:

1- الإطار العام الذي يشمل المقدمة , مشكلة البحث, أهمية البحث, أهدافه, حدوده, مصادره وأدواته، ومصطلحاته.

2- الدراسات السابقة والأدب التربوي .

3- إجراءات الدراسة-العينة والمجتمع والأداة.

4- عرض النتائج وتحليلها.

5- مناقشة النتائج والتوصيات.

6- قائمة المراجع والمصادر.

ثانياً: عرض النتائج وتحليلها

وللإجابة على أسئلة البحث يمكن الإشارة إلى ما يلي:

مدينة خليل الرحمن⁴: موقعها وأهميتها:

تقع مدينة الخليل في أحضان الجبال المطلّة على البحر الأبيض المتوسط غرباً والبحر الميت شرقاً، وتبعد عن مدينة القدس حوالي 36 كم، وتقع على خط عرض 31 و31 درجة شمالاً وخط طول 8 و35 درجة شرقاً.

تُعتبرُ مدينةُ الخليلِ واحدةً من أقدمِ مدنِ فلسطين، بل من أقدمِ مدائنِ الدنيا في نشأتها الأولى، وأن سكانها الأوائل كانوا من العرب الكنعانيين الذين ينحدرون من الصُلب السامي العربي الذين هاجروا من الجزيرة العربية، ضمن موجات الهجرة الأولى عبر التاريخ 1500-1400 ق.م «وقد بنيت قبل مدينة صوعن المصرية بسبع سنوات⁵ التي بنيت منذ عهد الأسرة الفرعونية السادسة 2475-2625 ق.م أي أن هذه المدينة بنيت قبل حوالي 5500 سنة تقريباً». سكنها العنقاقيون الكنعانيون وسمّيت⁶:

1. قريات أربع: نسبة إلى أربع قبائل كنعانية سكنت تلالها الأربع، أو أربع العنقاقي الكنعاني.
2. حبرون: تعني في اللغة السامية (التجمّع والوحدة) أي أن هذه القبائل كانت تحترق، أي تجتمع، فشكّلت مُجتمعاً محلياً موحداً من خلال نظام حُكمٍ مُعيّن على جبل الرميده⁷.

سكنها إبراهيم الخليل (عليه السلام) داعية التوحيد، والذي جاء قبل ظهور الديانة اليهودية والنصرانية بمئات السنين حنيفاً مسلماً، قوله تعالى «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» بعد أن أكمل رحلته مهاجراً بديانة التوحيد من بلاد أور في العراق حوالي عام 1850 ق.م، ثم توفي هو وأبناؤه وزوجاتهم ودفنوا في المغارة التي تقع تحت المسجد الإبراهيمي الشريف حسب المعتقد الإسلامي، ومن هذا المنطلق فقد جاءت مكانة وقداسة هذه المدينة من كرامة وقداسة الأنبياء المدفونين في هذه المغارة.

وفيما يتعلق بسور المسجد الإبراهيمي "الشريف الحير"، فقد أشارت الأدلة العلمية والأثرية والتاريخية على أن الباني الحقيقي لهذا السور هو هيرودوس بن «أنتيبستار الأدومي» ملك الأدوميين⁸، والأدوميون عرب موطنهم على حدود الصحراء الشرقية على جنوب فلسطين، وهم من نسل عيسو⁹، والدته فلسطينية من عسقلان، وكان تابعاً للرومان، وكانت فترة حكمه ما بين عامي 37-4 ق.م وقد أحضرت حجارتها الضخمة التي يبلغ طول بعضها

سبعة أمتار ونصف وارتفاعها متر ونصف من أكتاف المدينة، (وقيل أنها نقلت من خلة النجاسة الواقعة بين سعير وبنو نعيم)، ونقلت بواسطة الزلاجات التي هي عبارة عن جذوع النخل والشجر المستدير، وبنيت على طريق بناء الأهرامات، أي أنهم كانوا يضعون الأتربة، ثم توضع الحجارة، إلى أن تم بناء ثلاثة عشر مدماكاً، وأغلق هذا الحير (السور)، ولم يسقف تكريماً للأنبياء المدفونين في المغارة الواقعة تحته¹⁰، أي أننا نستدل بهذا أن الباني لهذا المسجد قبل الإسلام هم العرب، ولا أدل على ذلك، التوفيق الإلهي في بناءه باتجاه القبلة لارتباطه بعقيدة التوحيد التي جاء بها إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وفي العهد الروماني أمرت الملكة هيلانه بسقف هذا السور، وهَدَمَهُ الفرسُ أثناء حربهم مع الرومان وأعيد سقفه إلى أن دخل الإسلام هذه البلاد.

نمط البناء المعماري في الحرم الإبراهيمي الشريف هوية عربية وإسلامية:

أولاً: الوصف الخارجي للمسجد الإبراهيمي الشريف:

1- قياسات المسجد الإبراهيمي:

تبلغ مساحة المسجد الإبراهيمي 2167 متراً مربعاً، أي أنه يأخذ شكلاً مستطيلاً مقاسه الخارجي (59.28 × 33.87) م² وسمك جداره 2.68 م وارتفاع جداره 16 م مبني بأحجار ضخمة على هيئة مداميك عددها خمسة عشر مدماكاً¹¹ يبلغ طول بعض أحجاره سبعة أمتار ونصف، وارتفاعها مترٌ ونصف. وبها من الخارج صفوف وأكتاف يتوجها كورنيش¹² وتعلو هذا المسجد مئذنتان مملوكيتان الأولى في الركن الشمالي الشرقي، والثانية في الركن الجنوبي الغربي، وهما مئذنتان مربعتان ترتفعان 15 م على سطح المسجد¹³.

2- أبواب المسجد الإبراهيمي الشريف:



صورة رقم 1 باب الحرم الإبراهيمي

أ-الباب الجنوبي: يقع جنوب المسجد، يسلكهُ الداخلُ ماراً بقنطرة حيث يصعد درجاً للدخول إلى المسجد بمحاذاة العين الحمراء شمالاً ومبنى السرايا جنوباً.

ب-الباب الشمالي: يقع في الجهة الشمالية للمسجد، يوصل إليه باثنتين وثلاثين درجة، وعلى يمين الداخل إلى المسجد مقام سيدنا يوسف (عليه السلام) حيث يقع فوقه مباشرة مشهد قبر سيدنا يوسف الصديق "عليه السلام" على مستوى مشاهد الأنبياء في الجهة الغربية للمسجد خارج السور.



صورة رقم 2 درج الحرم الابراهيمي الشريف

3-الباب الجديد: وهو الباب الواقع في الجهة الغربية للمسجد، الذي يتوصل إليه بالدرج الأبيض، ثم يأتي بعده مدرسة السلطان حسن ثم مصلى المالكية ثم يليه مقام سيدنا يوسف الصديق عليه السلام.

ثانياً: الوصف الداخلي للمسجد الإبراهيمي الشريف المصليات:



صورة رقم 3 أروقة الحرم الابراهيمي داخل المسجد

1 - الاسحاقية ومحتوياتها:

سميت بهذا الاسم نسبة لمقام سيدنا إسحق (عليه السلام) مساحتها (28.4×21.8)م² ولها أبواب تطل على مصليات أخرى، منها باب الإسحاقية المؤدي إلى الباب السليماني، الذي يفضي إلى ممر الجاولية الموصل إلى مدخلي المسجد من جهة الباب الجنوبي والشمال، والباب الذي يوصل إلى الحضرة الإبراهيمية وسط الإسحاقية من جهة الشمال، والباب الثالث الذي يقع غربي باب الحضرة الإبراهيمية الموصل إلى مصلى المالكية.

2 - الباب السليماني:

فتح الباب السليماني في عهد الخليفة العباسي المهدي سنة 158-169هـ/774-785م، وهو باب ضيق طوله (104×220)سم² عرضاً، يقع في السور الفاصل بين مصلى الجاولية وداخل المسجد، بُتت أعلاه لوحة رخامية بيضاء مكتوبٌ عليها خمسة عشر سطرًا تتكون من عبارتين على نسق الترتيب الشعري، وتمت الكتابة في عهد السلطان العثماني عبد العزيز الثاني، عام 1290هـ وفق 1873م. وينتهي بمدخل إلى الاسحاقية يمثل حجرة أبعادها 50 × 4م².

تبتت لوحة لهذا الرقم فوق مدخل السور الحير من الممر الفاصل بين الحير ومصلى الجاولية، هذا نصها: "لا إله إلا الله"

إسحق ويعقوب ويوسف نبي الله
وتبأشر الزوار فيها بالأجور
بعزیزنا وملیکنا هذا الشکور
وتهونت بکماله جل الأمور
بإدارة وصناعة لا تبور
يسمى بعزة نال إجلال الغفور
يدعى خلیلا صدره مملوء نور
ونور غار فيه أقمار بدور
من فخر قوم ملتجى نحو الغيور
وافتح عليهم بالخليل وبالصبور
مع صالح نالا سرورا في الدهور
لخليلها وعزیزها نجم الظهور
لمحمد وجميعهم ولمن يزور
سلطاننا عبد العزيز كتاب سرور

محمد رسول الله إبراهيم خليل الله
مقامات بها لاح السرور
وتعمرت بالنقش مع ضبط الرخام
وكل ما صار العمر متمما
ومدير وقف (خورشيد) نال الرضا
ولحاكم رأي سديد قد ظهر
وعليم عصر يا له مفتي فصيح
بحديث طه قد تسامى وارتقى
وغزير تقوى درسه فيه النجاح
وارحم إلهي حافظين مقامه
وفقير عفو للعفيفي انتسب
قد باشرا بمسرة فيها انقياد
وصلاة ربي بالسلام تحيته
يا عابد الرزاق صالح أرخن

كتبه الفقير قائم مقام الخليل محمد عزت سنة 1290 في 3 ذي الحجة.



صورة رقم 4 رواق داخلي في المسجد

3 - أروقة الإسحاقية الرواق الأوسط:

وهو أكبرها، أبعاده (21.8×13.4) متراً مربعاً، يشتمل هذا الرواق على مشهد سيدنا إسحق (عليه السلام) الكائن في الجانب الأيمن، ومشهد زوجه رفقه (عليها السلام) الكائن في الجانب الأيسر يتقدمهما المحراب في وسط المسجد باتجاه القبلة وعلى يمينه المنبر، ويقع في الجهة المقابلة له دكة المبلِّغ وبئر الغار الذي تقع فوقه القبة ذات الأربعة أعمدة. سقف هذا الرواق على مداميك قديمة ترتفع على أربعة أسوار مُحكَمَةٌ.

4 - الرواق الغربي:

يقع على يمين الإسحاقية، أبعاده (7.5×21.8) م²، حيث تقع في هذا الرواق من الجهة الجنوبية قبة درج باب بئر الغار الخضراء منصوبة على أربعة أعمدة رخامية بجوار المنبر من الجهة الغربية.

5 - الرواق الشرقي:

يقع في الجانب الشرقي من الرواق الأوسط، وتبلغ أبعاده (21.80×7.50) م²، وعلى حائطه الشرقي لوحتان مرقومتان مثبتتان على الجدار، كتب على الأولى باللغة العربية وعلى الثانية باللغة اللاتينية.

دهنت الأروقة بالطلاء الزيتي الملون في العهد العثماني، ثم قامت لجنة الإعمار بتجديد هذا الطلاء.



صورة رقم 5 رواق داخلي في المسجد-الثريا والزخرفة

6 - اللوحتان الملتصقتان بالجدار الشرقي للإسحاقية من الداخل :

هناك لوحتان ملتصقتان على الجدار الشرقي لمصلى الإسحاقية؛ كتب على اللوحة اليمنى بخط الثلث العربي في أربعة أسطر ما يلي (أمر بإنشاء هذا الرخام المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون بالإشارة العالية الأميرية السيفية تنكز الناصري كافل الممالك الشريفة الشامية أثابه الله الجنة في شهور سنة إثننتين وثلثين وسبعمائة). وكتب على اللوحة الثانية بالخط اللاتيني في ستة أسطر وترجمته بالعربية (أيها القديس إبراهيم لتسعف خادمك نيلون المريي الخطاء العابد كل يوم وامنحه هو وصحه أومافيس وثوماسيان وفلافا وأوفاستين أيان).

7 - نوافذ الاسحاقية:

للإسحاقية نوافذ جصية وأخرى من شرائح الزجاج الشفاف الملون بألوان الطيف، تقع في الجانب العلوي للمسجد، وتعتمد الإضاءة في المصلى الرئيسي على النوافذ العلوية. وفي الرواق الأوسط أربعة نوافذ جصية وأربعة من شرائح الزجاج الشفاف بالإضافة إلى نافذتين زجاجيتين شفافتين من الجهة الشمالية للإسحاقية.

8 - شرفات الإسحاقية:

تتدل من الأروقة شرفة ذات سياج معدني محمولة على قضبان من حديد، وعليها

لوحات ثمان علقت على الدربزين المعدني للشرفة المحيطة بأعلى رواق الإسحاقية موزعة على واجهات هذا الدربزين الأربع بحيث علقت لوحتان منها في كل واجهة، يلاحظ أن هذه اللوحات رتبت في مواضعها على الدربزين المذكور بترتيب اعتمد فيه على مضمون كل لوحة، فجعلت لوحة لفظ الجلالة ولوحة محمد في الجهة الجنوبية القبل وجعلت لوحات الخلفاء الأربعة في الواجهتين الغربية والشرقية، وجعلت لوحتا الحسن والحسين في الواجهة الشمالية، وقد طليت اللوحات بالطلاء الذهبي في حين طليت أرضيتها باللون الأسود.

9 - الإزار:

يلعو الجدار الداخلي لمصلى الإسحاقية الذي تمّ تليسه بالرخام الأحمر والأبيض والأسود في عهد الملك المنصور سيف الدين قلاوون عام 686هـ/1287م إزاراً نُقش عليه سورة يس بخط ثلث نافر متراكب، يرتفع حوالي مترين ونصف فوق أرضية المسجد، طوله حوالي مائة متر؛ وعرضه 50 سم؛ ابتداءً من سقف المحراب، حتى يلف الإسحاقية بكاملها، وينقطع الإزار في بعض المواقع كما هو الحال خلف المنبر ودكة المؤذن وبئر الغار، وقد استغلت هذه المواقع بالزخارف النباتية المذهبة القريبة من شكل الرقم والتي كتبها الخطاط إبراهيم السلفيتي في سنة 1313 هـ - 1895 م.

10 - مشاهد الإسحاقية:

في الإسحاقية مشهذان رُسمًا في العهد الأموي وجُزعا بالرخام في العهد المملوكي¹⁴

1- مشهد سيدنا إسحق (عليه السلام) يقع في الجهة اليمنى من الإسحاقية، مكسو من الداخل بالقماش المطرّز، وبه بيارق أعلام تعلوها كسوة خضراء من الخارج، أبعاده 3.2×5.15م طولاً، و2.45م ارتفاعاً، وللمشهد باب أبعاده 77سم×50سم وثلاث نوافذ، الشرقية والشمالية والغربية أبعاد كل منها 122سم×71سم.

2- مشهد زوجه رفقة (عليها السلام) يقع على يسار مشهد سيدنا إسحق، تبلغ أبعاده (3.27×5)م و2.45م ارتفاعاً. وللمشهد نافذتان الغربية والشمالية (72×120)سم، وباب واحد من جهة الغرب 150سم×45سم، ومما يذكر أن المشهدين السابقين يحتضنان المحراب والمنبر.

وتحت هذين المشهدين أحداث الأنبياء الذين دفنوا في المغارة الواقعة تحت المسجد الإبراهيمي الشريف، وبداخل كل منهما تركيبة مجسّم من الرخام للقبر الذي تحتها، وعلى التركيبة آيات من القرآن الكريم، واسم الأمر بكتابتها، وهو السلطان الناصر محمد بن



صورة رقم 6 دربين القبر

11 - المحراب:

هو صدر المسجد، يتوسط المحراب الجزء المتقدم من مصلى الإسحاقية، وقد حُفِر في جزء من السور في الجهة القبليّة صوب الكعبة المشرفة، واتخذ منه المسلمون مكانا للتوجه إلى الكعبة، وقد تم وضع ترتيب لهذا المحراب فتمّ تزيينه بالفسيفساء وحجر الرخام والأعمدة الرخامية والحجارة الملونة بأشكال هندسية رائعة، وأصبح تحت آيات سورة يس المملّقة على جدران المسجد وهو مطلي بالطلاء الأخضر، والكتابة باللون الذهبي، طُي من الداخل بالطلاء الأخضر ومن الخارج بالطلاء البني. أما سقف المحراب فإنه مرصّع بالفسيفساء الملوّنة بألوان مختلفة يصفو عليها اللون الذهبي، كأنها قطع ذهبية متراصة ومكتوب في أعلى المحراب قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا» سورة البقرة-الآية 144. أما عقد المحراب فمزّين بالرخام الأبيض والأسود على شكل دوائر متداخلة وأشُرطة، ويحيط به من أعلاه ومن جانبيه طراز من الرخام دقيق النقش مطعّم بالصدف، وعلى جانبي المحراب عمودان من الرخام يحملان عقده.



صورة رقم 7 المحراب

12 - المنبر¹⁵:

يقع منبر المسجد الإبراهيمي الشريف غربي المحراب، وقد صنع في العهد الفاطمي في زمن المستنصر بالله أبي تميم معد الفاطمي خليفة مصر، بأمر بدر الدين الجمالي مدبر دولته، لأجل مشهد عسقلان، الذي زعم الفاطميون أن به رأس الحسين بن علي بن أبي طالب "رضي الله عنه" سنة 484هـ/1091م وعليه تاريخ صنعه بالخط الكوفي. وقد نقله ووضع بمسجد الخليل (عليه السلام) السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب "رحمه الله". ويعد هذا المنبر من التحف النادرة وهو من أقدم منابر مساجد المسلمين، صنع من خشب السند وفق أسلوب الخرط والتعشيق، مما يعرف بالنقر واللسان وهو ما عرف بنظام المشربية في الصناعات الخشبية ويتكون من ثلاثة أجزاء.



صورة رقم 8 المنبر العاجي

13 - المدخل:

شكله مستطيل يقوم على دعائم خشبية، تمثل إطاراً للباب، حفرت فيها رقوم متداخلة بعناصر زخرفية، وطعم الباب بالصدف؛ وله دفتان طولهما 185سم، الدفة اليمنى 44.5سم

واليسرى 44.5سم، يعلوه تاج لوحة المنبر الرئيسة، محفور عليها بالخط الكوفي المذهب "بسم الله الرحمن الرحيم: نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الأكرمين صلاة باقية إلى يوم الدين، مما أمر بعمل هذا المنبر السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناظر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبي النجم بدر المستنصري عَضد الله بدر الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، أدام الله قدرته، وأعلى كلمته، للمشهد الشريف بثغر عسقلان، مسجد مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب، وفي شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة"، تعلوه المقرنصات ذات صفوف خشبية تتخذ شكل الزهور وهو ما يعرف بنظام الشرفات أو العرائس. طليت هي الأخرى بألوان من الطلاء عمادها اللون الذهبي.

14 - السلم:

ويتكون من تسع درجات؛ واجهاتها محلاة بأشكال زخرفية حلزونية محفورة في الخشب، تتخللها أوراق العنب المشكله، ويحف الدرج دربزينان خشبيان قوامهما قطع من الخشب المخروط بأشكال بيضاوية؛ عشقت القطعة العمودية بالأفقية، لتتخذ في النهاية شكل الشبكة، يحيط بها إطار خشبي حُلِّي بالرقوم في الجهات الأربع، وقد طلي السلم كله بالطلاء البني إلا الرقوم فقد طليت بطلاء ذهبي.

15 - المنصة:

جاءت على شكل مقصورة مسقوفة يقوم سقفها على أربع دعائم خشبية مربعة المقطع، مزخرفة بأشكال زخرفية مختلفة، طليت بألوان مختلفة من الطلاء أيضا، وتعلو السقف مقرنصات زُيِّت برسوم نباتية مختلفة الأشكال، طليت بألوان مختلفة من الطلاء، عمادها الطلاء الذهبي، وتعلو هذه المقرنصات شرفات عرائس نباتية مثل تلك التي فوق تاج المدخل، يحفها قبة لطيفة طليت بالطلاء الأخضر يعلوها هلال بديع المنظر، وقد زخرفت واجهة الصدر من المقصورة بزخارف هندسية متداخلة، طليت هي الأخرى بألوان مختلفة من الطلاء عمادها أيضا الطلاء الذهبي.

أما بدن المنبر الذي يحمل هذه الأقسام الثلاثة فيتألف من قطع خشبية حفرت وعشقت ببعضها البعض في أشكال هندسية خماسية وسداسية ونجمية، اعتمدت زخارفها على ما يعرف بطراز الأربسك الدقيق، فضلا عن الأشكال الحلزونية المعتمدة على فروع نباتية دقيقة، غالبا ما تنتهي بأوراق ذات ثلاثة أو خمسة أجزاء، تظهر بينها قطوف العنب، وأبرز

ما يبدو في هذه الزخارف الطبق النجمي في أشكال مغلقة أو دوائر متشابكة.

16 - قبة درج بئر الغار:

تقع على يمين المنبر قبة يُزينها الرخام الأخضر، تحملها أربعة أعمدة من الرخام، تحتها مدخل بئر الغار الذي يؤدي إلى البئر الكائنة في الجهة المقابلة للمنبر في الجانب الشمالي من الإسحاقية.

17 - بئر الغار¹⁶:

تقع في الجانب الشمالي من مصلى الإسحاقية مقابل المحراب والمنبر، ولهذه البئر فتحة تبعد عن الدرج المؤدي إلى بئر الغار مسافة بارتفاع متر ونصف. وعدد الدرجات خمس عشرة درجة تنتهي بسرداب منتظم أبعاده 70سم عرضاً و80سم ارتفاعاً و20 متراً طولاً، ويقع على جانبيه قاعات الغار السفلية.

حجرة بئر الغار: وتقع في اتجاه الشمال، تنتهي بانحناء شديد إلى الغرفة التي تقع تحت فتحة باب الغار السفلية. حيث تسرج فيه القناديل. وتبلغ أبعاد هذه الغرفة (5×3)م²، ويغطي أرضيتها بلاط حجري، وجدرانها مطلية بالجير الأبيض وارتفاع جدرانها متر ونصف تقريباً بشكل مستقيم، وتبدأ بعد ذلك بالتحذب حتى نهاية الخمسة امتار، ويوجد جداران طويلان بني عليهما قوس من الحجارة، وفي أعلى السقف توجد الفتحة التي تسرج فيها القناديل.

18 - محراب الغار الشريف:

يقع في الجهة القبلية من غرفة بئر الغار محراب مملوكي يحتوي على مقرنصات، تعلوه لوحة مساحتها (60×120) سم² مكتوب عليها «لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» {255} سورة البقرة، وقد تسلل المستوطنون اليهود إلى هذه البئر بتاريخ 1981/10/01م، وحطموا الآية القرآنية الكريمة.

وفي السرداب المؤدي إلى الغار فرزتان مغلقتان، وقد دخل المستوطنون اليهود هذا المكان عام 1976م وفتحوا مغارة الأنبياء الكبيرة وأعادوا إغلاقها، ويحتمل أنهم وضعوا أو رفعوا منها بعض الأشياء، وهناك بلاطه رخامية على بئر الغار خرقت من وسطها وأغلقت بباب من النحاس الأصفر، وثقبت بثقوب متعددة صغيرة لتفسيح المجال لدخول الهواء إلى قناديل الزيت كي لا تنطفئ. وترتفع هذه البلاطة عن الأرض حوالي 30سم، حيث يبلغ قطرها 77سم،

ومتوسط عرضها 20سم. مكتوب عليها هذا النص «صاحب الخيرات ... السيد ... سليمان مراد عفي عنه سنة 1208 ...» في خمسة أسطر. وتعلو البئر قبة تقوم على أربعة أعمدة رخامية كتب عليها رقم حجري نصه: (اللهم يا عالم بما يكون أيّد بنصرك مولانا السلطان محمد بن قلاوون، أمر بإنشاء هذه القبة المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون الصالحي عزّ نصره) وقد ورد هذا النص حول إزار قبة بئر الغار.



صورة رقم 9 أعلى المحراب

19 - السدة (دكة المبلّغ): تقع السدة (الدكة):

في الجهة المقابلة للمحراب في نهاية مصلى الإسحاقية من الجهة الشمالية، وهي مقصورة تقوم على ستة أعمدة رخامية، ولها حاجز (درازين) وسلّم حديد، حلزوني الشكل عدد درجاته 18 درجة طوله 6م و75 و150 متراً عرضاً، ويشاهد صاعد المقصورة من الجهة اليسرى أشكالاً هندسية رائعة مطعّمة بالحجارة الكريمة، يعلوها مجسمات ثلاث نوافذ صغيرة، وقد عمّر هذه المقصورة نائب الشام الأمير تنكر (732هـ/1331م).

20 - فتحات المغارة الواقعة تحت المسجد:

هناك ثلاث فتحات مغلقة تؤدي للمغارة الواقعة تحت المسجد:

الفتحة الأولى: تقع في الجانب الغربي من مصلى الإسحاقية، مغطاة ببلاطة أزاحها الاحتلال الإسرائيلي حيث دخل اليهود إلى المغارة الواقعة تحت المسجد عام 1976م وأعيد وضعها، بيد أنها لم تأخذ مكانها السابق، ووضعت بشكل معكوس وثبتت بالإسمنت، أبعادها 100سم طولاً و60سم عرضاً،

الفتحة الثانية: تقع تحت قبة درج بئر الغار، وهي مغلقة ببلاطة محكمة. والأصل أنها تؤدي إلى الدرج الموصل إلى بئر الغار بواسطة خمس عشرة درجة، وتبلغ مساحة هذه الفتحة

(90×160)سم² وقد فتحها المستوطنون اليهود بتاريخ (1981/10/1)م.

الفتحة الثالثة: تقع بين مشهدي سيدنا إسحق وزوجه رفقته (عليهما السلام) وهي فتحة كبيرة مغلقة ببلاطة كبيرة محكمة، مساحتها (1.9 × 2.5)م².

ثالثاً: مصلى الإبراهيمية:

سمى هذا المكان بهذه التسمية نسبة إلى مشهد سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) يقع وسط المسجد الإبراهيمي الشريف يمكن الوصول إليه من جهتي الإسحاقية ورواق الصحن المؤدي إلى اليعقوبية، وهناك قبتان لمشهدي سيدنا إبراهيم الخليل وزوجه سارة (عليهما السلام)، تفصلهما ردهة مستطيلة الشكل.



صورة رقم 11 مشهد القبر

1 - قبة مشهد سيدنا إبراهيم الخليل "عليه السلام":

قاعدتها مثمثة الشكل، مبنية من الحجر، جدرانها الداخلية مؤزرة بالرخام، يعلوها طراز مكتوب عليه آيات من ثلاث سور، البقرة والنحل والنساء، يتوسط القبة تركيبة خشبية رمزية للمشهد، والقبة مكسوة بالستائر المطرزة في قماش حريري أخضر بخيوط ذهبية موشاة بالآيات القرآنية في شرائط متعرجة وعددها ثمانية شرائط ستة منها في الواجهتين الشرقية والغربية، ثلاثة في كل واجهة، واثنان في الواجهتين الشمالية والجنوبية وتتكرر الشرائط ثلاث مرات في كل واجهة في نسخ طبق الأصل، وقد أحيط كل شريط بإطار دقيق، طرز بخيوط ذهبية، وعرضه عشرة سنتمترات ونصف، وبها نافذة مستطيلة تطل على الصحن، ونافذتان أخريان مستطيلتان الشمالية 5,194سم و113سم عرضاً والجنوبية 194سم طولاً و115سم عرضاً، تطلان على مصلى المالكية.



صورة رقم 12 أعلى السقف

2- مشهد سيدتنا سارة "عليها السلام":

يقابل مشهد سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام)، ويتوسطه تركيبة رمزية مغطاة بالستائر المطرزة في قماش حريري أخضر في خيوط ذهبية، وهو بطول الضريح وعرض 10 سم بشكل متعرج وهذا نصه بدءاً «بسم الله الرحمن الرحيم، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء...» إلى نهاية النص القرآني الكريم، تعلوه قبة سداسية الشكل مرقومة بآيات من القرآن الكريم، وبهذا المشهد نافذة تطل على المدخل الرئيس للمسجد مقابل الباب السليماني. رقم رئيسي في الواجهة الأمامية ورقم في الواجهة السفلية وقد حفر في لوحة من الرخام الأبيض النقي وطول الرقم الرئيسي 150 سم والرقم السفلي 48 سم وهذا هو نص الواجهة الأمامية للعتبة.

أنوار غار لائحة
جمع الصفات الصالحة
يا ذا العقول الراجحة
والأحمد فاتحة

من طاق سارة أشقرت
فتح لأحمد بك من
قال المؤرخ للورى
تاريخه، أدعوه واقر



صورة رقم 16 أعلى المنبر

4 - الردهة الإبراهيمية:

تقع هذه الردهة بين مقامي إبراهيم وساره، وهي ذات جدران مؤزرة بالرخام الذي يعلوه طراز رخامي دقيق مطعم بالصدف. وهناك نص آيات من سورة النحل يعلو جدار قبة سارة، وعمودان رخاميان على الركنين المؤديين للصحن، يعلو هذا الطراز آيات من سورة ص، كما يعلو الباب المفضي إلى الإسحاقية نقش وقف أراضي دورا وكفر بريك (بني نعيم) على مصالح المسجد الإبراهيمي الشريف. وهذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أمر بعمله مولانا السلطان الملك المعظم، شرف الدنيا والدين، أبو العزائم عيسى ابن مولانا الملك العادل سيف الدين ابي بكر ابن أيوب، خليل أمير المؤمنين أدام الله دولتهما، وأعلى كلمتهما، مضافا إلى ما وقفه وحبسه وتصدق به على المقام الشريف المشتمل على ضريح الأنبياء عليهم السلام وذلك جميع القريتين المعروفتين بدورا وكفر بريك بحدهما وحدودهما المشتمل عليها كتاب الوقف، بعمارة المشهد المذكور وأرزاق خدامه وبر ضيافة زائريه وكسوته ووفوده وقفا مؤيدا وحبسا محرما، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. تقبل الله منه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وذلك في غرة المحرم سنة اثنتي عشرة وستمائه.

يرتفع هذا الرقم عن الأرض 473 سم، طوله 86 سم، وعرضه 45 سم في أحد عشر سطراً، إذ أنه يعتبر من أهم أوقاف المسجد الإبراهيمي الشريف.

يقع تحت هذا الرقم، رقم وقفية القرى الموقوفة على المسجد الإبراهيمي طوله 138 سم وعرضه 43 سم وقد جاء هذا الرقم في خمسة أسطر.

كما يوجد حجر رخامي فوق الباب الواصل بين الحضرة الإبراهيمية والمصلى الرئيس أسفل وقفية دورا وكفر بريك (بني نعيم) يفصله عن العتبة العليا للباب شريط الرقم القرآني يرتفع عن الأرض 430 سم، وقد حفر في هذه اللوحة بخط نافر في خمسة أسطر وطلي بطلاء ذهبي، قياساتها 138 سم طولا و 43 سم عرضاً. وهذا نص الوقف على هذا الحجر.

”بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما وقفه وحبسه وأبده وتصدق به، ابتغاء وجه الله تعالى، ورجاء ثوابه ما ولي المسلمين، نغمده الله بالرحمة، ما يذكر من ضياع الوقف، بجميع حدودهم على المقام الشريف، المشتمل على ضريح سيدنا الخليل، والأنبياء عليهم السلام، وهي قرية دورا، وكفر بريك، ودير صفوان، وخرسا، وإذنا، وحلحول، بكما لهم، ومن قرية

طيبة الاسم وخارجها دير عسفين من ساحل قاقون، ثمانية أسهم وخمسي سهم من أربعة وعشرين قيراطا، ونصف قرية زكريا من عمل القدس الشريف، على مصالح الحرم الشريف. وأرزاق خدامه، وسماطه، وضيافة زواره، وكسوته، ووقوده. وعمارته وعمارة مشاهد لوط، ويونس، واليقين، عليهم السلام، ووقودهم، وأرزاق خدامهم، وكذلك قرية إرطاس من عمل القدس، وقرية الأنقر، وقفا على المقام الشريف ورباطه وبيمارستانه وطهارته، وقفا مؤبدا، وحبسا محرما، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، تقبل الله منهم رحمة”.

5 - الرواق الإبراهيمي:

يتقدم قبتي سيدنا إبراهيم الخليل وسارة رواق ذو سقف معقود، يفصله عن الصحن دعامات وعقود من الحجر، ويوجد في الرواق ثلاث دعامات: اثنتان متساويتان، والثالثة أصغر منهما.

رابعا: مصلى اليعقوبية:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى مشهد سيدنا يعقوب (عليه السلام)، بها مشهد يعقوب وزوجه لائقة (عليهم السلام)، وهما متقابلان، تفصلهما ردهة يلتقي بابهما فيها.

1 - القبة اليعقوبية :

شكلها مثنى، جدرانها مؤزرة بالرخام الأبيض والملون، يعلوها شريط يلتف حول حجرة النبي يعقوب (عليه السلام) على هيئة إزار يرتفع عن الأرض مترين ونصف، مكتوب بالآيات القرآنية من سورة البقرة قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) {127} سورة البقرة وقد أقيمت هذه القبة على مشهد سيدنا يعقوب (عليه السلام)؛ حيث يتوسطها تركيبة رمزية للمشهد. وللقبة نافذتان مستطيلتان. إحدهما تطل على مصلى المالكية، والثانية تطل على الفناء المكشوف مماثلة للقبة اليعقوبية، إلا أن قاعدتها سداسية، يتوسطها مجسم رخامي لمشهد سيدتنا لائقة (عليها السلام)

2 - الردهة اليعقوبية :

تقع بين قبتي يعقوب ولائقة عليهما السلام وهي مستطيلة الشكل، ذات سقف معقود. وفي هذه الردهة بابان له مصرعان يؤدي الأول منهما إلى قبة يعقوب، والثاني إلى قبة لائقة

3 - الصحن:

وهو المساحة المكشوفة التي تقع بين الرواق الإبراهيمي ومصلى يعقوبية، تطلّ منه الشمس والأنوار لتوزع على أجزاء المسجد .

4 - غرفة رئيس السدنة:

تقع في الجهة الشمالية من المسجد الإبراهيمي على امتداد يعقوبية، وهي مكتب لرئيس السدنة حيث يدير أعمال الموظفين العاملين في المسجد.

5 - المكتبة¹⁷:

تقع غرفة المكتبة الإبراهيمية في الجهة الشمالية الغربية للمسجد الإبراهيمي الشريف وتعلو غرفة رئيس القيمين حيث يصعد إليها بدرج بسيط وتحتوي هذه المكتبة على عدة دوايب خشبية تضم العديد من المخطوطات النفيسة والكتب القيمة.

لقد اهتم قادة المسلمين بالناحية العلمية ورصدوا لهذه الغاية العديد من كتب المعرفة والدين والآداب، وقد تم تأسيس هذه المكتبة في العصور الإسلامية المتلاحقة، فأصبحت نواة لمكتبة كبيره تضم مئات الكتب التي ما زالت موضعاً لاستفادة طلاب العلم من مثقفين ورجال دين، وتعتبر الكتب التي في هذه المكتبة مراجع لطلاب الجامعات، حيث يستفيدون منها حتى وقتنا الحاضر.

حظيت هذه المكتبة بال العناية اللازمة لها في العصور المتتالية، وقد أعاد تنظيمها المرحوم حلمي باشا مراقب الأوقاف الإسلامية، وأوجد لها غرفة خاصة وأحضر لها الخزائن وعيّن لها موظفاً.

تضم هذه المكتبة 299 كتاباً بموجب كشف الموجودات الموثق لدى تصنيفها وهي:

القرآن الكريم وتفسيره 28 كتاباً

الحديث الشريف وشروحه 60 كتاباً

الفقه وأصوله 53 كتاباً

التوحيد والتصوف 03 كتاباً

اللغة العربية وعلومها 24 كتاباً

وهناك 55 كتاباً باللغة التركية والفارسية. وفي هذه المكتبة 84 مخطوطاً 10 منها

أخذت اسم مجموع. أما الموضوعات العلمية من زيج وفلك وحساب بلغت 35 مخطوطاً والموضوعات الأدبية والبلاغة والصرف والنحو والعروض 17 مخطوطاً. وباقي المواضيع في علوم التصوف والسير وعلم الكلام والمنطق بلغت 20 مخطوطاً.

6 - المسقاة:

سبيل ماء يقع بمحاذاة الركن الجنوبي الغربي من الصحن المكشوف بين مقام سيدنا إبراهيم ومقام سيدنا يعقوب (عليهم السلام) في نهاية الرواق، وضع في هذا المكان من اجل سقاية المصلين داخل المسجد، وهو نوع من الحجر الطباشيري ويظهر من لوحة ترتفع 220 سم عن سطح المسجد لوحة طولها 40 سم وعرضها 32 سم في خمسة اسطر متأكلة، نقش عليها أن بانيه رجل أسمه عثمان عام 1103هـ وفق 1691م.

هذا سبيل حسن بانيه من أوفى الوفا
وفيه تاريخ حلا سبيل عثمان الشفا

7 - مصلى المالكية:

سمي بهذا الاسم نسبة إلى المذهب المالكي حيث كان أتباع هذا المذهب يؤدون صلواتهم في هذا الجزء من المسجد وأصله رواق مستطيل الشكل، يتصدره محراب موشى بالقاشاني، عمّره الأمير شهاب الدين اليعموري ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة في دولة الملك الظاهر برقوق، وكان هذا في شهر رمضان سنة ست وتسعين وسبعمائة للهجرة

8 - القدم:

وسمي بهذا الاسم لأن في هذه الكوة شكل مداس قدم يعتقد الوافدون إلى هذا المكان بأنه موضع قدم سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) وهو عبارة عن كوة صغيرة تقع على يمين الداخل إلى رواق مصلى المالكية يضاف إليها عطورا، ويتبرك بها الزوار للمسجد الإبراهيمي الشريف، أي أن هذه الكوة تقع بجوار مقام سيدنا إبراهيم الخليل وهي ترتفع مقدار القامة .

9 - أبواب رواق المالكية:

لرواق المالكية خمسة أبواب تفضي منه وإليه؛ فهناك الباب الموصل إلى الصحن، وباب الإسحاقية، وثالث يقود إلى مدرسة السلطان حسن، والرابع يفضي إلى غرفة الأذان، أما الباب الخامس، فهو باب مقام سيدنا يوسف عليه السلام.



صورة المدخل الخارجي للحرم المحاط ببوابات حديدية وكاميرات مراقبة واجراءات أمنية مشددة

خامسا: الملحقات بالحرم والمرافق

1 - حجرة مشهد سيدنا يوسف عليه السلام :

تقع خارج سور المسجد الإبراهيمي من جهة الغرب، فوق حجرة محاذية للمدخل الرئيسي لدرج المسجد الإبراهيمي الشمالي. وتتخذ حجرة مشهد سيدنا يوسف شكلاً مستطيلاً، يؤزرها الرخام، تتوسطها رمزية للمشهد المغطى بستائر حريرية موشاة بعبارة "صبر جميل"، ترجع فكرة تعليق هذه الستائر على الأضرحة الشريفة إلى عهد السلطان فرج بن برقوق 791-815هـ 1389-1412م. ومما يذكر أن الحجرتين خاصتين بمشهد يوسف عليه السلام. لكن الأولى أقدم من التي تعلوها، أما الثانية فقد أقيمت لتجعل من هذا المشهد موازياً لمشهد الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. وبداخل هذه الحجرة صندوق العمل.

2 - صندوق العمل¹⁸:

صندوق حديدي موجود داخل الحجرة اليوسفية العليا الواقعة خارج السور القديم، وبه جميع وثائق وكتب أوقاف المسجد الإبراهيمي المبارك، وهذا الصندوق مغلق لا يفتح إلا بحضور لجنة من الأوقاف والعائلات العشر، التي لها شرف السدانة في المسجد الإبراهيمي الشريف. وتم فتح هذا الصندوق في 15/7/1956م بحضور مراقب الأوقاف وفضيلة قاضي الخليل الشرعي والشيخ يوسف طهبوب والتقط 42 صورة منه ثم أعيد فتحه في 10/02/1958م والتقط 41 صورة، علماً بأن مفتاح هذا الصندوق كان مع المرحوم

الشيخ يوسف طهوب.

3 - مدرسة السلطان حسن:

تنسب هي ووقفها للسلطان الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد 748 752-هـ 1348-1351م، جعلها مدرسة مستطيلة الشكل...؟ معقودة السقف، وهي خارج سور المسجد، محاذية له، بها باب يوصل إلى الدرج الأبيض الذي يؤدي إلى الساحات الخارجية من جهة الغرب

4 - مصلى الجاولية :

يتكون مصلى الجاولية من ثلاثة أروقة معقودة، تحملها دعائم حجرية مربعة الشكل، تعلوه قبة حجرية لها نوافذ زجاجية، وتبدو جدران القبة الخارجية من الصخر الطبيعي، أما محراب الجاولية فمنحوت من الصخر الكلسي وتجويفه معقود بالرخام الملون بثلاثة ألوان الأبيض والأسود والأحمر، يقابل المحراب مرتفع يصعد إليه بثلاث درجات حيث خصص مُصلىً للنساء، تمكّن منه مشاهدة مدخل المسجد الإبراهيمي المؤزر برخام يعلوه آيات قرآنية، يتخلل هذا السور باب يؤدي إلى غرفة صغيرة تفضي إلى باب مصلى الجاولية من جهة القبلة وهما الباب الخارجي الكبير وأبعاده، 50 و3م طولاً و50 و1م عرضاً وله دفتان أما الباب القبلي الداخلي فأبعاده 50 و4م طولاً و217 سم عرضاً يرفده شباك 265×60 سم؛ بعد تجاوز الباب السليماني الذي يؤدي إلى باحات المسجد الإبراهيمي الداخلية. والذي عمر هذا المسجد الأمير أبو سعيد الجاولي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة، وأطوال هذا المسجد من القبلة بشام ثلاثة وأربعون ذراعاً وعرضه شرقاً بغرب خمسة وعشرون ذراعاً بذراع العمل وكان الابتداء في عمارة هذا المسجد في ربيع الآخر سنة ثمانين عشرة وانتهت في ربيع الآخرة سنة عشرين وسبعمئة في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون وقد عمره سنجر من ماله الخالص.

قبة الجاولية: تقع قبة الجاولية في منتصف هذا المسجد، وهي قبة حجرية، بها شبابيك زجاجية ومقرنصات حجرية، جدرانها الخارجية من الصخر الطبيعي .

5 - الآيات القرآنية والنصوص التاريخية:

يقع بين الجاولية وبين الإسحاقية، شريط مؤزر برخام يعلوه آيات قرآنية ينتهي إلى دهليز يفضي على المدخل القبلي على المسجد والثاني يفضي على مطلع الدرج الشمالي المفضي إلى الباب الشمالي المؤدي إلى الدرج الخارج غرباً.

الآيات القرآنية والنصوص التاريخية داخل المسجد الإبراهيمي¹⁹ «يوشح المسجد الإبراهيمي الشريف بالعديد من الآيات القرآنية في جميع أنحاءه الداخلية كإزار المسجد بسورة يس التي تلفه من على المحراب إلى جميع أرجاءه، كما ذكر سابقاً، كما أن هناك العديد من النصوص التاريخية الموثقة على جدرانه من الداخل والتي تدل على الأشخاص الذين قاموا بالإصلاحات خلال العصور الإسلامية المتتالية التي ذكرت، علاوة على عدد من النقوش الأثرية والرسوم الشجرية والرقوم الحجرية على جدرانه والخشبية من العهد العثماني الموجودة داخل غرف المشاهد، ولم تخلُ البيارق والتيجان والجلود الأثرية والستائر الحريرية والمقرنصات والثريات والقناديل والدلايات من الكتابات وأشكال الفنون الإسلامية الرائعة التي تشكل مثلاً رائعاً يتحدث عن تاريخ وحضارة الأمة الإسلامية.

6 - حلقات أبواب المسجد الإبراهيمي²⁰:

للمسجد الإبراهيمي الشريف العديد من الأبواب المعدنية والخشبية بها حلقات نحاسية وأشرطة أثرية مكتوب عليها كتابات تاريخية ونقوش، هذا ويحف بجدران المسجد من الأعلى نوافذ متعددة الأنواع ذات زجاج بديع مجزّع بالألوان تدل على عراقة أهل الخليل في هذه الصناعة، ويمنح هذا الطراز من النوافذ المسجد تهوية وإنارة تضيء عليه أشكالاً جمالية من جميع شرفاته. أما بلاط هذا المسجد فهو من الترابيع الحجرية المنوعة المدقوقة من الرخام الأبيض والحجر المرّي.

سادساً: نتائج الدراسة:

سعت الدراسة لبيان نمط البناء العمراني في الحرم الإبراهيمي الشريف الذي يتعرض لعمليات طمس وتهويد من الجانب الإسرائيلي بهدف حفظ وتوثيق وصيانة وأرشفة التراث المعماري وإبراز الهوية الوطنية من خلال اختيار الحرم الإبراهيمي الشريف كنموذج، واستخدمت الدراسة منهج تحليل المضمون بالاستناد إلى الوثائق، وما كتب عن الحرم في الكتب والمراجع وشبكة الانترنت والمنهج الوصفي من خلال الزيارات الميدانية، وهدفت الدراسة إلى:

1 - دراسة مسيرة الحرم في ظل الظروف الصعبة التي يمر بها أبناء شعبنا من انتفاضة والحصار والجدار الفاصل.

2 - التعرف على واقع ممارسات الاحتلال لطمس معالم الحرم ذات البعدين العربي والإسلامي.

3 - التأريخ لنمط البناء العمراني في المسجد الإبراهيمي الشريف.

وحاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما مراحل البناء التي مر بها الحرم من حيث النشأة والتأسيس .

السؤال الرابع: ما واقع الممارسات الفعلية من فعاليات وانشطة في تكريس الهوية الوطنية؟

وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1. الوصف الداخلي للمسجد: الإسحاقية وما تحويه من مشاهد قبر إسحق وزوجه رفقه عليهما السلام وأبعاد وأروقته والمنبر وأوصافه والمحراب والآيات القرآنية التي تحيط بالإزار وبئر الغار والفن المعماري والهندسي الذي تحويه جنباته والبلاط المرخم بالألوان المختلفة والذي تم تركيبه في العهد المملوكي .

2. الحضرة الإبراهيمية وما تحويه من مشاهدي سيدنا إبراهيم الخليل وزوجه ساره عليهما السلام وما تعلقوا هذه الردهة من رقوم حجرية وآيات قرآنية والرواق الإبراهيمي وما فيه من مسقاة وأروقة.

3. اليوسفية وما تحويه من مشهد سيدنا يوسف الصديق عليه السلام وما تحويه من صندوق العمل الذي يحوي الوقفيات عبر العصور الإسلامية على هذا المسجد المالكية ومحرابها وباب غرفة الأذان والقدم ومدرسة السلطان حسن والعنبر

4. اليعقوبية وما تحويه من مشهدي سيدنا يعقوب وزوجه ليقا، والرواق الذي يحوي غرفة رئيس السدنة والمكتبة التي تحوي عشرات الكتب الدينية.

ومجمل الحديث عن هذا المسجد وتوابعه كاليقوبية وما تحوية من محراب وكتابات وقواعد ونبذه عن تاريخ بناء هذا القسم الواقع بجوار السور القديم وأن الباني لهذا القسم هو سنجر الجاولي في العهد المملوكي

هذا هو المسجد الإبراهيمي الشريف، فلم نجد أي أثر لغير العرب والمسلمين فيه وأن أي إدعاء للدخول إليه لغير المسلمين هو إدعاء باطل لا أساس له من الصحة، فالحضارات الإسلامية منذ فجر الدعوة الإسلامية هي التي كانت على الدوام ذات الصلة والعلاقة والإعمار لهذا المسجد. فهو مسجد إسلامي وأن الإدعاءات اليهودية بأن لهم إرثا تاريخيا فيه باطل جملة وتفصيلا .

ثامنا: مقترحات الدراسة:

من الملاحظ بأن الحرم الابراهيمي الشريف هو مسجد إسلامي ولا لغير المسلمين فيه أي أثر وذلك بحكم الواقع وعبر العصور المتلاحقة ومن هذا المنطلق فإنه يجدر بنا أن نضع التوصيات الآتية للحفاظ على إسلامية هذا المكان الإسلامي المقدس.

1- الالتفاف العربي والإسلامي حول هذا المسجد وأن أي اعتداء عليه يعتبر اعتداء على مقدسات المسلمين بعمامة في مشارق الأرض ومغاربها .

2- التركيز على إقامة الصلوات الجمع والجماعات والتوجه إلى هذا المسجد في كل الأوقات سيما أبناء هذه المدينة.

3- العمل على إدخال خطة منهجية دراسية في مناهج التربية والتعليم للطلاب في المدارس وطلاب الجامعات عن إسلامية هذا المسجد وأنه مسجد إسلامي ولا يجوز لغير المسلمين التدخل في شؤونه .

4- الوقوف في وجه الاحتلال بكل صرامة وقوة وعدم التمكن له من العبث بمقدساتنا والنيل منها ورفع الشكاوى إلى المؤسسات الدولية عن أي اعتداء يقع على هذا المسجد.

5- الحفاظ على عروبية وإسلامية هذا المسجد وعدم التقصير في أي مجال يحتاج إليه من خدمة وترميم وإصلاح وعدم إعطاء مجال لليهود بالعبث فيه وتدخلهم في شؤونه.

تأسيساً على ما سبق فإن الأمر جد خطير بالنسبة لهذا المسجد وأن يد العبث الصهيوني تسعى جاهدة لإضفاء نوع من الهيمنة عليه واعتباره مكانا تابعا للإرث اليهودي كما يدعون.

هوامش البحث:

2 - د. شريف كناعنه: دراسات في الثقافة والتراث والهوية، مؤسسة مواطن-رام الله 2011م.

3 . محمد عبيدات، وآخرون: منهجية البحث العلمي-القواعد والمراحل والتطبيقات، مقرر دراسي في جامعة القدس المفتوحة، ط1، دار وائل للنشر، 1997م، صفحة:80.

4 . المعلومات من الباحث محمد ذياب أبو صالح.-الباحث المتقاعد في وزارة الأوقاف الفلسطينية.

5 . محمد ذياب أبو صالح :الخليل عربية إسلامية، ط1، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، 2000، صفحة:8.

6 . يونس عمرو، الخليل مدينة لها تاريخ، منشورات جامعة الخليل، 1985، صفحة:32.

7 . محمود العابدي، مجلة الفيصل، عدد 4، سنة أولى، صفحة:123.

8 . أحمد سوسه، اليهود والعرب في التاريخ، صفحة:587.

9 . الموسوعة الفلسطينية، صفحة:91.

- 10 . مجير الدين الحنبلي، الأندلس الجليل في تاريخ القدس والخليل، 1972، صفحة:60.
 - 11 . يونس عمرو، نجاح أبو ساره، رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة الخليل ، ط1، 1988، صفحة:178.
 - 12 . المرجع السابق، صفحة:600.
 - 13 . محمد أحمد جاد المولى، أحمد العوامري، مهذب رحلة بن بطوطه، الناشر وزارة المعارف المصرية، المطبعة الأموية، ببولاق، سنة 1358هـ/1939م، صفحة:44-45.
 - 14 - عبد الرحمن عباد:المعالم الاسلامية المنوي الحاقها بالتراث اليهودي، اصدار هيئة العلماء والدعاة-القدس 2012م صفحة 170
 - 15 . ملف المسجد الإبراهيمي الشريف، دائرة اوقاف الخليل.**
 - 16 . د.عبد الرحمن عباد:المعالم الاسلامية المنوي الحاقها بالتراث اليهودي ،اصدار هيئة العلماء والدعاة في فلسطين، 2012م صفحة 159-194.
 - 17 . يونس عمرو، نجاح أبو ساره، المصدر السابق، صفحة:454.
 - 18 . مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج5، ق 2، صفحة:76.
 - 19 . محمد ذياب أبو صالح، المرجع السابق،،انظر د.عبد الرحمن عباد:المعالم الاسلامية المنوي الحاقها بالتراث اليهودي ،اصدار هيئة العلماء والدعاة في فلسطين، 2012م صفحة 159-194.
 - 20 .. د.عبد الرحمن عباد:المعالم الاسلامية المنوي الحاقها بالتراث اليهودي ،اصدار هيئة العلماء والدعاة في فلسطين، 2012م صفحة 159-194.
 - 18- د. شريف كناعنه: دراسات في الثقافة والتراث والهوية، مؤسسة مواطن-رام الله 2011م.
- ملحوظة: قدم البحث ورقة عمل في مؤتمر المعالم الإسلامية المنوي إلحاقها بالتراث اليهودي المنعقد في القدس.2012م
- أحد عشر :ملحق بعض أعضاء سدة الحرم الابراهيمى الشريف
- يظهر في وسط الصورة سماحة الشيخ المرحوم محمد علي الجعبري،سماحة الشيخ المرحوم عبد الحي عرفه



صورة رقم 18 مشيخة الحرم الابراهيمى :أئمة ووعاظ-رحمهم اله جميعا

ثالث عشر: ملحق دلالة حروف الحرم الابراهيمي كما يراها الباحث د. ادريس جرادات
كلمة الحرم:

ا-انتماء

ل-لمة

ح-حركة

ر:رحمة

م-محبة

كلمة الابراهيمي

ا-اطمئنان

ل-لطافة

إ-إذكاء

ب-بقعة مقدسة

ر-رزق-التكية

ا-أمان

هـ_هدوء وهيبة

ي-يقين

م-مبارك

ي-يسير

كلمة الخليل

ا-أصالة

ل-لباقه

خ-خير

ل-لياقة

ي-يعمل بصمت

ل-لمة

« دراسة التعديات البشرية وإعادة تأهيل العمائر الدينية الأثرية بمدينة القاهرة تطبيقاً على مدرسة أزبك اليوسفي»

ربيع راضي عبد القادر سيد

مدير عام ترميم قصور ومتاحف رئاسة الجمهورية - وزارة الآثار - مصر.

شيماء سيد محمد السيد

أخصائية ترميم وصيانة الآثار بالفيوم - وزارة الآثار - مصر.

ملخص البحث :

تعرض العمائر الدينية الإسلامية بمدينة القاهرة للعديد من التعديات البشرية التي لا تتناسب مع حرمة الأثر بل مع حرمة هذه العمائر الدينية العريقة مثل بناء المنازل ملاصقة لهذه العمائر الدينية كذلك وجود المحال التجارية والورش بالإضافة للإهمال البشري ونقص الوعي الأثري لدى المواطنين مما يستدعي إزالة هذه التعديات البشرية وإعادة التأهيل لهذه العمائر الدينية الأثرية بإعتبارها تراث ثقافي عريق مع التطبيق على مدرسة أزبك اليوسفي بمدينة القاهرة، منشئ هذه المدرسة هو الأمير أزبك اليوسفي من أمراء المماليك في مصر (900 هجريه - 1494 ميلاديه) وقد أنشئت بحي السيدة زينب - مدينة القاهرة، وقد تألفت المدرسة من العديد من العناصر المعمارية كالمسجد بأيواناته الأربعة، المئذنة، كتاب ذو قاعات سكنية لطلاب العلم بالإضافة إلى السبيل. وفي هذه الدراسة سيتم التركيز على تأهيل هذا المبنى الأثري بما يتناسب مع طبيعته وعلاقته بالوسط المحيط كذلك الطابع العمراني وشبكات الطرق والخدمات ودراسة حالته وموقعه بالنسبة للمدينة لكيفية تأهيله مع المحافظة على أثريته وأصالته.

الكلمات المفتاحية : التعديات البشرية- إعادة تأهيل - مدرسة أزبك اليوسفي - الطابع العمراني - العناصر المعمارية .

Abstract:

The Islamic religious buildings in Cairo exposed to many human-trespasses which are not suitable to the monuments campus like buildings construction closed to the religious buildings, also the existence of shops and workshops beside the man-made deterioration and the lack of the

archaeological awareness , these things need to be removed to save and the rehabilitation of these buildings with an application on Azabk El- Youssefi Madrasa in Sayeda Zeinab street in Cairo , the madrasa consists of the mosque, minaret , Kuttab , Sabil and residential halls for the students.

The research concentrates on the rehabilitation of this archaeological building and its incorporation with the society.

1 - مقدمة عن منشئ المدرسة (الأمير أزيك اليوسفي):

منشئ هذه المدرسة هو الأمير (أزيك اليوسفي) الذي جاء إلى مصر مع تجار المماليك سنة 841هجرية /1437 م) فأشتره الملك عبد العزيز بن برسباي الذي عرف بالعزيز يوسف فقيل له أزيك اليوسفي ثم لم يلبث أن أنتقل من بعده إلى مماليك الظاهر جقمق سنة 842 هجرية وظل في خدمته حتى أعتقه سنة 857 هجرية وولاه نظارة الخزانة فعرف بأزيك الخازندار وفي عهد الأشرف قايتباي من سنة 872 900- هجرية، أنعم عليه السلطان بالتقدمة وأرسله أميراً للمحمل سنة 868 هجرية ثم كرره في نيابة عيذاب وأشركه نظراً لشجاعته وفروسيته في معاركه الحربية ولا سيما في محاربة العثمانيين تأديب دويلات أخو الأمير سوار فأبلى أزيك اليوسفي فيهما بلاء حسناً وكأفاه السلطان عليه بأن جعله رأس نوبة، ولم يلبث أن رقاها بعدما أظهر من الحنكة السياسية وبعد النظر إلى أمير سلاح وفي عهد الناصر (محمد بن قايتباي) من سنة (900 902- هجرية) بعدما أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وجعله أمير مجلس وعاش أزيك اليوسفي بعد ذلك حتى توفي على عهد السلطان الغوري سنة 904 هجرية ودفن بتربة مدرسته التي بين أيدينا مع زوجته وأبنائها والتي تحمل رقم تسجيل : أثر - 211¹.

2 - طريقة العمل بالمدرسة :

دلت الوثائق علي طريقة العمل بالمدرسة فقد جاء وثيقة السلطان برقوق بالنسبة لمدرسته بين القصرين أن الإيوانات الأربعة بجانب تخصيصها للصلاة، فإن الإيوان الشرقي يجتمع فيه طلبة المذهب الحنفي كل يوم مع مدرسهم من بعد طلوع الشمس لمدة ثلاث ساعات ونصف.

أما الإيوان الغربي فيجلس فيه طلبة المذهب الشافعي ومعهم مدرسهم من وقت الظهر حتي صلاة العصر وفي نفس الوقت تقام الدراسة للمذهب الحنبلي في الإيوان الشمالي والمالكي

في الجنوب وبجانب دراسة المذاهب تدرس مادة الحديث والتفسير والقراءات السبع في يومي الثلاثاء والجمعة².

3 - ملحقات مدرسة الأمير أزيك اليوسفي :

ملحق بالمدرسة كتاب، قاعات سكنية للطلاب وسبيل³ بجانب المدرسة المكونة من المدخل، الصحن، الأيونات الأربعة والمئذنة⁴.

4 - أهم مظاهر التعديلات البشرية :

أ- إقامة المحال والورش التجارية.

ب- نقص الوعي الأثري لدى المواطنين متمثلا في :

- 1- بناء المساكن ملاصقة لهذه العمائر وعدم المحافظة على الطابع الأثري .
- 2- هدم جزء من هذه العمائر بدون وعي كالقاعات السكنية الملحقة بالمدرسة .
- 3- الإهمال البشري متمثلا في إلقاء القمامة والكتابات على أسطح هذه العمائر .
- 4- حركة النقل والمواصلات وما ينتج عنها من إهتزازات وتلوث جوي
- 5- تلف شبكات الصرف الصحي بالمنطقة وما ينتج عنها من مياة أرضية مدمرة لتربة المبنى الأثري وأساساته، كما يتضح من الصور التالية (1-4).

5 - عمليات إعادة التأهيل والتوظيف للعمائر الدينية:

أ- مفهوم إعادة التأهيل : Rehabilitation

تطبق عملية التأهيل على المناطق التاريخية المتدهورة أو التي في طريق التدهور وتهدف عملية إعادة التأهيل لرفع مستوى المنطقة عن طريق تحسين مستوى المباني الموجودة بالمنطقة سواء كانت أثرية أو قديمة أو حديثة كذلك تحسين المرافق العامة والخدمات الأساسية بالمنطقة⁵.

ب- طرق إعادة التأهيل Rehabilitation methods :

1- الترميم :

ترتبط بالمباني ذات الطابع المميز والتاريخي أو الأثري وترتبط بشكل أكبر بتعامل الأثرين دون المعماريين لأنها تختص بأعمال الواجهات والتشطيبات الخارجية لتلك المباني التي تحتاج لترميم لتعاد إلى شكلها الأصلي وهي وسيلة من وسائل التعامل مع حالات فردية من المباني

الواقعة داخل المنطقة التاريخية، وفي حالة إذا كان الهيكل الإنشائي لتلك المباني هو الذي يحتاج لتعديلات لإعادته لحالته الأولى فيأتي هنا دور عملية الترميم المعماري.

2 - الحماية :

عندما لا تكون هناك قدرة على القيام بأعمال الترميم فلا بد من التأكيد على عدم حدوث تدهور للوضع القائم ولا تكفي الحماية القانونية فقط للمنطقة التاريخية والمبنى الأثري، بل يجب أن تكون هناك حماية من المجتمع والوسط المحيط للحفاظ على المنطقة التاريخية والمبنى الأثري .

3 - إعادة الإستعمال :

وتختص بإعادة توظيف المباني ذات القيمة الأثرية في إستعمالات جديدة تلائم التطور الحالي وفي نفس الوقت تضمن إستمرارية حياة تلك المباني والحفاظ عليها بصورة علمية، على أنه في سبيل ذلك لا بد أن تكون هناك خسارة ما سواء في قيمة المبنى أو تكوينه أو وظيفته الأولى لكن هذا التوظيف مع أقل تغيير ممكن في هيكل المباني هو الحل العملي الوحيد للحفاظ على أهمية المباني التاريخية والثقافية في ضوء الموارد المتاحة.

4 - الحفاظ :

يكون الحفاظ لمباني معينة أو للنسيج العمراني والطابع الخاص للمنطقة التاريخية وقد تتسع أحيانا لتشمل حماية الهيكل الإجتماعي والإقتصادي جنباً إلى جنب مع الهيكل العمراني⁶.

ج- إعادة توظيف المباني الأثرية:

- أهداف إعادة التوظيف للمباني الأثرية :

إن إعادة التوظيف للمبنى الأثري تزيد من أهميته وتضعه في مكانه لائقه به وذلك يمكن أن يتحقق من خلال أهداف عديدة كما يلي :

1 - أهداف خاصة بالمبنى الأثري :

أ- إيجاد نوع من الإشراف الدائم على هذه المباني الأثرية عن طريق مستخدميها والمتخصصين بها، مما يؤدي إلى الحيلولة دون إهمال هذه المباني وهجرها وكذلك منع التعدي عليها وإتلافها بشكل متعمد .

ب- الحماية والحفاظ والإحياء للمباني الأثرية وضمان إستمرارية أعمال الصيانة لهذا

التراث المعماري وخاصة الأعمال قصيرة الأجل كأعمال النظافة والتي يصعب ضمان إستمرارها دون إعادة توظيف المبنى .

ج- هذا وتعتبر إجراءات الصيانة لمثل هذه المباني الأثرية غير منتهية لإستمرارية إتصالها بالظروف المحيطة والوسيلة الوحيدة للحفاظ عليها وهي وجود الصيانة المستخدمة ويمكن تسمية تلك العملية بالصيانة الذاتية Auto Conservation.

د- رفع القيمة الجمالية للمبنى الأثري مما يؤدي إلى إظهار وتدعيم قيمته الفنية والتاريخية .

2 - أهداف عمرانية تخص المحيط العمراني للمبنى الأثري :

أ - تنمية المجتمع المحيط بالمبنى الأثري مما يساعد على الحفاظ على الطابع العمراني الأثري للمنطقة حيث أن إهمال أحد المباني الأثرية هو فقدان لأحد عناصر المنطقة الأثرية.

2 - عمل إسترجاع متلائم بين النسيج الحضري القديم والجديد لذلك فإن توظيف وإحياء وإعادة تأهيل المباني الأثرية التي توقف إستخدامها تعتبر إجراء ضروريا يتناسب مع المكان بقيمته الحضارية .

3 - العمل على إستمرارية بقاء الأماط التقليدية الإسلامية .

3 - أهداف اقتصادية :

إستثمار هذه المباني الأثرية وجعلها ذات نفع اقتصادي، ويري البعض إن إعادة إستخدام المبنى الأثري تعمل على توفير عائد مناسب يغطي تكاليف صيانة هذه المباني الأثرية ويساعد على رفع مستوى الصيانة المتاحة لها، كما يرى البعض الآخر إن من أبرز مشاكل المباني الأثرية أو التاريخية إعتبارها ضمن قطاع الخدمات وبالتالي فرعايتها بالصيانة والترميم والحماية تعتبر مستهلكا للموارد المالية ومن ثم يفضل عند التعامل مع مثل هذه المباني وتحويلها إلى قطاع للإستثمار في مشروعات لها عائد مادي مع ضرورة وضع ضوابط لهذا الإستغلال بحيث لا يضر بالمبنى الأثري.

4 - أهداف إجتماعية :

أ- إيجاد نوع من التعاطف الجماهيري بين المبنى الأثري وجمهور المتعاملين معه من خلال الوظيفة التي يفرضها المبنى للمجتمع المحيط هذا وقد أضيف أن الأسلوب الأمثل

لتحقيق هذا الهدف هو إنتشار جمعيات وجماعات أهلية للصيانة والمحافظة من جمهور مستعملي المبني الأثري وذلك للإشراف المحلي على إعادة التوظيف وتنمية موارد ذلك المبني الأثري وإعداد مشاريع إعادة التوظيف لمباني أثرية أخرى .

ب- تدخل المبني مع البيئة المحيطة القديمة والمتدهورة وذلك في صورة خدمات إجتماعية مثل الخدمات الثقافية والتعليمية .

د- شروط التوظيف الملائم للمباني الأثرية في ضوء المعايير والمواثيق الدولية:

- 1 - تشابه الوظيفة المقترحة مع الوظيفة الأصلية بقدر الإمكان .
- 2 - عدم تعارض الوظيفة المقترحة مع التكوين المعماري للأثر أو زخارفه فيما عدا المستلزمات الضرورية جدا كدورات المياه، شبكة الكهرباء والمياه والصرف الصحي على أن تكون غير مشوهة للمبني وإذا تطلبت الوظيفة شيئاً من التجهيزات الداخلية فيجب أن تتسم بالبساطة وتكون في أضيق الحدود وكذلك سهلة الإستبعاد وقت اللزوم.
- 3 - أن تضمن تلك الوظيفة المقترحة إستمرار عمليات الصيانة والمحافظة الدورية علي المبني الأثري.
- 4 - ينبغي عند إحداث إضافات إنشائية تتطلبها الوظيفة الجديدة أن تكون بشكل متوافق ومنسجم مع طابع المبني القديم وفي نفس الوقت تكون حاملة لطابع العصر الذي أنشئت فيه وبصفة عامة يجب إختيار الوظيفة المناسبة للمبني من حيث فراغاته وموقعه دون اللجوء بقدر الإمكان إلى إحداث مثل هذه الإضافات.
- 4 - يجب ألا تتعارض تلك الوظيفة المقترحة مع التكوين الوظيفي العام للمنطقة.
- 6 - أن تكون المدينة القديمة في حاجة إلى هذه الوظيفة سواء لتأكيد هويتها وطابعها أو لتلبية رغبات سكانها ومن ثم الترغيب في البقاء فيها .
- 7 - أن لا يترتب على الوظيفة الجديدة للمبني الأثري تواجد عدد كبير من المستخدمين بصفة دائمة، كما هو الحال إذا ما أستخدم المبني مدرسة وما ترتب على ذلك من توابع إستهلاك المياه بكثرة أو عبث بعناصر المبني .
- 8 - أن لا تكون تلك الوظائف ذات متطلبات خاصة لا تتلائم مع الواقع المادي والأثري للمجموعة المعمارية .

9 - أن لا يترتب على تقادم الوظيفة الجديدة مع مرور الوقت تعديلات بالمبنى الأثري، وتكون بدايتها قليلة ثم يؤدي تكرارها إلى تغيير محسوس بذلك المبنى⁷.

10 - يقصد بكلمة « الحفاظ » أي أعمال تتم بالتدخل المباشر للعمل الفني أو غير المباشر كعملية إعادة التوظيف بهدف إمتداد صلاحية الأثر مستقبلاً⁸.

هـ - إعادة التأهيل والتوظيف للعمائر الدينية مع التطبيق على مدرسة أزيك اليوسفي :
إن الوظيفة الأساسية لمدرسة أزيك اليوسفي هي كونها منارة لتدريس العلم لكافة الطلاب من جميع أنحاء العالم، لذا توفر بالمدرسة كتاب بجانب المسجد وقاعات سكنية للطلاب بالإضافة إلى السبيل والمئذنة، وقد تعرضت هذه المدرسة للعديد من التعديات البشرية كما سبق ذكره بالإضافة إلى العديد من عوامل التلف بالبيئة المحيطة وخصوصا المياة الأرضية مما أدى إلى وجود تلف شديد بالإساسات والتربة وإنفصال بالحوائط، مما استدعى ضرورة إغلاق هذه المدرسة وعدم فتحها إلا نادرا للصلاة نظرا لخطورة وضعها القائم على المصلين وبالتالي فقدت وظيفتها نتيجة عوامل التلف بالبيئة المحيطة، كذلك التعديات البشرية لذا يقترح الآتي لإعادة تأهيل هذه المدرسة في ضوء ما ورد ذكره سابقا :

1 - القيام بعمليات الترميم الإنشائي والمعماري والدقيق لهذه المدرسة .

2 - إزالة التعديات البشرية بكافة مظاهرها وصورها .

3 - إندماج المدرسة مع المحيط العمراني المحيط بها عن طريق تقديمها لخدمة هامة ألا وهي التعليم .

7 - النتائج والتوصيات :

من خلال ما تم سرده من مظاهر التعديات البشرية المختلفة التي تتعرض لها العمائر الدينية الأثرية الإسلامية بمدينة القاهرة تطبيقا على مدرسة الأمير أزيك اليوسفي كان لابد من إزالة مظاهر هذه التعديات بل وإعادة تأهيل هذه المباني الأثرية الإسلامية كنوع من الحفاظ عليها عن طريق إندماجها مع الوسط المحيط وحمايتها، ويتطلب ذلك التعاون بين العديد من المؤسسات كوزارة الآثار ووزارة الأوقاف وشرطة السياحة والآثار التابعة لوزارة الداخلية ولا يقتصر هذا الدور فقط على مؤسسة دون غيرها بل تعاون متكامل من أجل الحفاظ على هذه الآثار الإسلامية التي سجلت حقبات تاريخية مختلفة .



صورة (1): توضح الإهمال البشري المتمثل في لصق

الدعاية والإعلانات على سطح المدرسة



صورة (2): توضح هدم القاعات السكنية المخصصة

لطلاب العلم والملحقه بالمدرسة



صورة (3): توضح إلقاء القمامة على سطح المدرسة



صورة (4): توضح إقامة ورش تصليح السيارات أمام المدرسة

هوامش البحث:

- 1 - حسني محمد نوصير، العمارة الإسلامية في عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص250.
- 2 - محمد الكحلوي، آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994، ص77.
- 3 - عاصم محمد رزق، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة، الجزء الثالث (آثار دولة المماليك البرجية)، القسم الثاني، القاهرة، ص1478.
- 4 - سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، الجزء الرابع، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، 1980، ص292.
- 5 - علاء ياسين، المحافظة والتجديد في المناطق التاريخية، رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، القاهرة، ص84.
- 6 - مصطفى كمال مدبولي، إعادة تأهيل المناطق المركزية ذات القيمة السياحية التاريخية في الدول النامية - دراسة حالة القاهرة - منطقة الدرب الأحمر، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، القاهرة، ص26.
- 7 - السيد محمود البنا، أحمد شعيب، بعض معايير إعادة الاستخدام أو التأهيل للمباني الأثرية التي توقف إستخدامها، مجلة كلية الآداب، العدد الثامن، 1997، ص29.
- 8 - علياء عبد العزيز محمود عبد الدايم، دراسة ترميم وصيانة المنازل الأثرية بمدينة القاهرة وإعادة توظيفها تطبيقاً على سراي المسافر خانه « العصر العثماني»، رسالة ماجستير، قسم الترميم، كلية الآثار، جامعة القاهرة، القاهرة، 2001، ص38.

مدرسة مازونة ومسجدها العتيق، دراسة أثرية.

د. بلجوزي بوعبدالله (قسم الآثار – جامعة تلمسان)

ملخص:

كانت المدارس من بين أهم المؤسسات الدينية الثقافية والعلمية بالجزائر في العهد العثماني، ولم تكن موجودة إلا في بعض المدن الرئيسية كقسنطينة والجزائر ووهران ومازونة ومعسكر، ومن بين المدارس التي نجحت في تقلد أحد أهم المراكز الدينية في العهد العثماني هي مدرسة مازونة الشهيرة، والتي تطرّق لوصفها الكثير من مؤرخي وشعراء تلك الفترة مبرزين دورها الهام في الحياة العلمية والثقافية، وبالنظر الى انها لا تزال قائمة الى اليوم تمارس مهامها، ارتأينا ان نسلط الضوء عليها، وعلى مسجدها العتيق الذي بني بجانبها من زاوية أثرية.

Abstract:

Archeological study of Mazouna school and its old Mosque.

The schools are among the most important religious cultural and scientific institutions in Algeria during the Ottoman era, it did not exist except in some major cities as Constantine Algiers, Oran, Mazouna and Mascara

Among these schools which was famous in the most important religious center in the ottoman era ;Mazouna school which touched to be described by lot of historians and poets of this period.

This is the reason that push me to make an archeological research and study on this school and its old mosque .

مقدمة:

على الرغم من أن مازونة ومدرستها فقدت الزعامة الدينية والسياسية في بايلك الغرب بانتقال عاصمة البايك من مازونة إلى معسكر في بداية القرن 12هـ / 18م، إلا أن المدرسة بقيت تمارس دورا كبيرا في الحياة الدينية والثقافية، والذي استمر حتى في الفترة الاستعمارية، ولا تزال تمارس دورها إلى اليوم، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على هذه المدرسة ومسجدها العتيق من الناحية الاثرية.

1 - لمحة تاريخية عن مدينة مازونة في العهد العثماني:

كانت بداية نشأة مازونة على ما تذكر المصادر التاريخية على شكل قرية صغيرة، ثم تطورت مع مرور الزمن إلى مدينة كبيرة، وأصبحت فيما بعد عاصمة سياسية وإدارية لإحدى مقاطعات الجزائر في العهد العثماني.

لقد اختار حاكم الجزائر حسن بن خير الدين سنة 971هـ/1563م مدينة مازونة لتكون أول عاصمة لبابلك الغرب، وعين عليها الباي ابن خديجة لتوليها، عمل هذا الأخير على إقامة التنظيم الإداري في المنطقة الغربية، وعين القواد على مختلف القبائل التي يشرف عليها

وتجدر الإشارة هنا إلى أن جميع المصادر التي تطرقت إلى بايات الغرب الجزائري تفتقر إلى معلومات عن البايات الذين تولوا الحكم في مازونة، بدءاً من الباي الرابع إلى غاية الباي محمد بن عيسى وهو السادس عشر من باياتها، حيث يؤكد محمد بن يوسف الزباني أنه بحث عن أسمائهم وتاريخهم إلا أنه لم يجد ذلك، لا منصوصاً في كتاب، ولا مشى به تواتر بين الناس.

وبعد الباي محمد عيسى جاء الباي شعبان الزناقي الذي تولى سنة 1090هـ/1679م، وأخذ يشن الغارات ضد الإسبان بصفة دورية، إلى أن استشهد في المعركة التي خاضها ضد الأسبان في وهران سنة 1098هـ/1686م من طرف أحد عملاء قبيلة بني عامر المتعاونة مع الإسبان، ومقتله رفع الحصار عن وهران.

تولى بعده الباي مصطفى بو شلاغم، وفي عهده تم نقل مقر بابلك الغرب من مازونة إلى معسكر سنة 1113هـ/1701م، ثم تفرغ لأمر وهران، وأخذ يعد العدة لاسترجاعها واستطاع بفضل المساندة القوية التي تلقها من الداوي محمد بكداش أن يفتحها سنة 1120هـ/1708م، وبعدها نقل مقر بابلك الغرب من معسكر إلى وهران.

ويبدو أن انتقال عاصمة بابلك الغرب من مازونة إلى معسكر قد أثر سلباً على مكانة ودور مازونة في الأحداث التاريخية بعد أن فقدت الزعامة السياسية في المنطقة، لكن هذا لم يمنع من أن تتبوأ مدرستها مكانة مرموقة، حيث اختصت بتدريس الفقه المالكي وكانت معروفة بكثرة طلبتها، وشهرة علمائها وإلى هذا يشير أبوراس الناصر في معرض حديثه عن مازونة حيث يقول: «ولما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها ونجابتها طلبتها وقريحة أشياخها سافرت إليها...».

2 - موقع المدرسة والمسجد العتيق:

تقع هذه المدرسة ومسجدها بالجهة الشمالية من حي القصبة العتيق (المخطط رقم: 01) بمدينة مازونة (ولاية غليزان)، وتطل واجهتها الرئيسية على نهج بوعلوفة.

3 - المؤسس وتاريخ التأسيس:

يرجع تأسيس هذه المدرسة ومسجدها إلى أحد المهاجرين الأندلسيين المعروف باسم الشيخ امحمد بن الشارف في نهاية القرن 10هـ/16م، وإلى هذا يذهب جل الذين كتبوا عن تاريخها ، ولا يزال ضريحه موجودا في إحدى غرف المدرسة إلى الآن.

وتعتبر هذه المدرسة من أقدم المدارس التي أُسست في العهد العثماني، وظلت محافظة على سمعتها حتى بعد انتقال كرسي الحكم من مازونة إلى معسكر، وكان لها نظام جيد وتقاليد متينة استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، وقد اشتهرت بالخصوص بتدريس الفقه والحديث وعلم الكلام.

وهذا ما جعلها مقصدا للطلاب من مختلف النواحي، وبالخصوص في القطاع الغربي الجزائري، وقطاع شرق المغرب الأقصى كبلاد الريف ونواحي تازة ووجدة.

وقد تخرّج من هذه المدرسة علماء أجلة كان من أبرزهم أبو راس الناصر في أواخر العهد العثماني، والذي أقام بها ثلاث سنوات كطالب علم، وقد أفادنا في كتابه (فتح الإله) بشهادة تقديرية عن دور مازونة العلمي، في تلك الفترة وذلك في قوله: « ولما ذكر لي الطلبة « مازونة » وكثرة مجالسها ونجابتها طلبتها وقريحة أشياخها سافرت إليها، ومررت في طريقي على الشيخ الرباني، والهيكل الرحماني السيد محمد بن لبنة، فسكنت لما وصلت « قرية الغيران»، إحدى جهات « أبي علوفة » فكنت أقرأ النهار وأصرف ما آكل في الليل، فأول ما بدأت على الشيخ مصطفى بن هني...».

وبعدما ذكر أبو راس مشايخ أبي علوفة قال: «...ثم إني انتقلت من قراءة شيوخ « أبي علوفة » المذكورين - وهم أربعة- كما مر بنا - إلى القراءة على شيوخ مازونة...».

وقول أبو راس هنا يدل على المكانة العلمية التي كانت تحتلها مازونة، والتي استمرت إلى غاية الاحتلال الفرنسي وبعده، حيث يذكر المهدي البوعبدلي بقاء مدرسة مازونة محط رحال طلبة المغرب الأقصى إلى الحرب العالمية الثانية، أين قلّ بريقها وفقدت شهرتها السابقة ويذكر بوسكي (Bousquet) أنها كانت قبل الحرب العالمية الثانية تستقبل من 40 إلى 60

طالباً، وأثناء مروره بها لم ير بها سوى 10 طلاب، مما يدل على تقهقر وتراجع دور المدرسة بعد الحرب العالمية الثانية .

4-التغيرات والتجديدات التي طرأت على لمدرسة ومسجدها:

لقد طرأ على هذه المدرسة ومسجدها عدة تغيرات كان أولها إعادة ترميمها عدة مرات من طرف بايات الغرب الجزائري، وفي زمن الاحتلال الفرنسي لمازونة أعادت السلطات العسكرية ترميم المسجد سنة 1269هـ/1852م، ومر بها هاينريش فون مالتسان وذكر بأنه وجدها نصف مهدمة.

ولكن رغم التغيرات التي طرأت عليها أثناء الاحتلال الفرنسي إلا أنها مازالت تحتفظ ببيوت طلبتها ومسجدها الذي ما يزال يتوافد عليه الطلبة من نواحي مختلفة من البلاد لحفظ القرآن .

5 - الدراسة الوصفية:

5 - 1 المخطط العام :

يتكون هذا المبنى من قسمين، قسم أول في الجهة الغربية ويمثله المسجد ومئذنته وجاء مربع الشكل طول ضلعه 12م، وقسم ثاني في الجهة الشرقية انتظم وفق مخطط غير منتظم الشكل يتوسطه تقريبا صحن تتوزع عليه غرف الطلبة من الجهة الشمالية، والغرف الضريحية من الجهة الجنوبية، ويمثل هذا القسم المدرسة.(المخطط رقم:02)

5 - 2 الوصف الخارجي:

يمتد المبنى الذي يضم المدرسة ومسجدها من الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي على أرض منحدره مما جعل المسجد في مستوى منخفض عن المدرسة .

جاءت واجهات هذا المبنى ككل ملاصقة لبعض المساكن من الجهة الشمالية الشرقية والجهة الجنوبية، وأما الواجهة الجنوبية الغربية فتطل على زقاق ضيق يؤدي إلى داخل حي القصبة، وتبقى الواجهة الرئيسية في الجهة الشمالية تطل على الشارع الرئيسي.

يسبق المدخل الرئيسي للمسجد (الصورة رقم:01) والمدرسة فناء صغير على شكل صحن نلج من خلاله إلى بيت الوضوء الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية للمسجد، وكذلك إلى المسجد والمدرسة. (الصورة رقم: 02)

ويعلو المبنى ككل ثمان قباب، خمسة تتوزع على سقف المسجد وثلاثة منها تعلو الغرف الضريحية. (المخطط رقم: 03)

5 - 3 الوصف الداخلي:

يتم الدخول إلى المدرسة بالصعود عبر درج مكون من ثمان درجات، يفضي مباشرة إلى صحن المدرسة والذي جاء شكله مستطيلا طوله 16م وعرضه 06م. (الصورة رقم: 03)

يحيط بالصحن من جميع جهاته غرف باستثناء الجهة الغربية التي تمثل الجدار الشرقي لبيت الصلاة، وأما الغرف فمنها ما هو مخصص لمبيت الطلبة، ومنها ما يمثل غرف ضريحية لأئمة تداولوا على التدريس في هذه المدرسة.

ونبدوها بالجهة الشمالية أين نجد خمس غرف صغيرة بأحجام متساوية تقريبا وبسيطة، أربعة منها مخصصة للطلبة وواحدة تعلوها قبة مزلعة صغيرة يوجد بداخلها قبر سيدي أبي راس المازوني .

وأما في الجهة الشمالية الشرقية فهي الأخرى تحتوي على غرف للطلبة ولكنها أكبر حجما من الأولى، وحسب المكلف بالتدريس في المدرسة فإنها كانت بنفس حجم الغرف السابقة الذكر، فتحت على بعضها البعض أثناء الترميم ليتسع المكان لتحفيظ القرآن الكريم لأكثر عدد من الطلبة.

وفي الجهة الجنوبية نلاحظ غرفتان تعلوهما قبتان متفاوتتان في الحجم، إحداهما تمثل حجرة ضريحية لسيدي محمد أبي طالب وهي الأكبر، وأما الحجرة الثانية فتعود إلى الشيخ سيدي امحمد بن الشارف، وهو الذي ينسب إليه تأسيس المدرسة.

وقد أصبح دفن المؤسس بمدرسته من الأشياء المعمول بها، وهي ظاهرة جلبها معهم العثمانيون إلى المغرب.

إن التخطيط الذي تقوم عليه هذه المدرسة وإن كان جزء كبير منها قد طرأت عليه تغيرات عبر المراحل التاريخية التي مرت بها، إلا أن الفضاء المعماري الأصلي لها يبدو أنه بقي محافظا تقريبا على نفس التصميم الأول، المتمثل في صحن أوسط تتوزع عليه بيوت الطلبة، ولهذا التصميم ميزة نجدها في أغلب المدارس المغربية إن لم نقل جميعها

وقد خضعت المدرسة لنفس التصميم في المشرق كما في المغرب، بحيث أصبحت تضم بيتا للصلاة وضحنا مركزيا مكشوفاً وبيوتا للطلبة وأحياناً نجد بها محراب ومئذنة ، وبمرور الوقت أصبحت العديد من المدارس تضم ضريحاً أو أكثر، كما هو الحال في هذه المدرسة، وكذلك مدرسة خنق النطاح بوهران.

واستمر العمل بهذا الطراز خلال العهد العثماني ومن أمثله بالجزائر مدرسة الجامع الأخضر ومدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة ومدرسة مازونة.

-المسجد:

نلج إلى بيت الصلاة عبر بابين أحدهما رئيسي ارتفاعه 2.90م وعرضه 1.60م يحده من الخارج إطار من الحجر الرملي مُشكلاً فتحة على هيئة عقد حدوي يتوسط هذا الباب جدار مؤخره بيت الصلاة ويقع على محور المحراب، وأما الباب الثاني فجاء ضيقاً ومفتوحاً في جدار القبلة على يسار المحراب، وكان استخدامه على ما يبدو من طرف الإمام للذهاب عبره إلى المكتبة المقابلة لجدار القبلة من الخارج، والوصول عبر درج صاعد إلى صحن المدرسة .

وأما بيت الصلاة فجاء تخطيطه على شكل مربع طول ضلعه 12م، تحده ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة وأخرى موازية له تشكلها بوائك من 16 دعامة، اثنا عشرة منها مدمجة بالجدران الأربعة المحيطة ببيت الصلاة، والأربعة الباقية منها تتوسط بيت الصلاة. (الصورة رقم:04)

يقوم بيت الصلاة على قبة مركزية مثمثة ترتفع على أربعة عقود نصف دائرية محمولة على أربعة دعامات مربعة من الحجر الرملي وشغلت منطقة الانتقال بحنايا ركنية وغطي وسط كل رواق بقبو أسطواني (الصورة رقم: 05)، في حين شغلت سقف بيت الصلاة في أركانه الأربعة قباب صغيرة مثمثة.

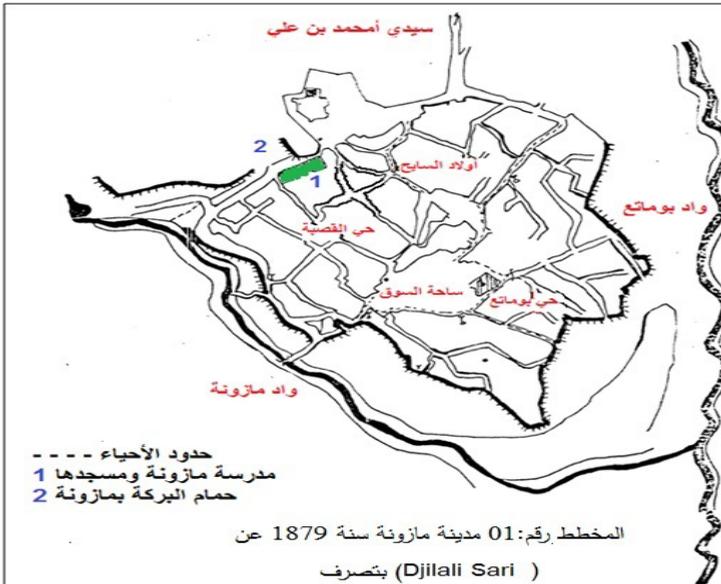
وتسقيف المساجد بهذه الكيفية نجد له مثيلاً في الكثير من المساجد التي ترجع إلى الفترة العثمانية على غرار جامع المبايعة بمعسكر وجامع الباشا بوهران، وهو بهذا ينتمي إلى النمط الجديد القائم على بيت الصلاة ذو القبة المركزية الذي حملته الأتراك معهم من تركيا وطبق تقريباً على أغلب المساجد الجزائرية.

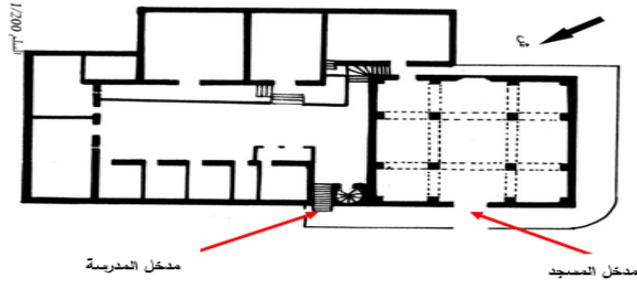
-خاتمة:

لقد خلصنا في بحثنا هذا حول مدرسة مازونة ومسجدها العتيق، إلى أن هذه المدرسة اكتسبت أهمية كبيرة أثناء الوجود العثماني بالجزائر، وظلت محافظة على سمعتها حتى بعد انتقال كرسي الحكم من مازونة إلى معسكر، وأما من الناحية الأثرية فالملاحظ أن المدرسة طرأت عليها الكثير من التعديلات بالزيادة والنقصان حتى تتماشى وعدد الطلبة الوافدين إليها من جميع النواحي، والذي استمر إلى اليوم، وأما عن تخطيطها فجاء استمرارا للنظام التخطيطي للمدرسة المغربية القائم على صحن تحيط به بيوت الطلبة وقاعة الدرس، وقد ساد هذا الطراز في بلاد المغرب أكثر من غيرها من مناطق العالم الإسلامي واستمر هذا الطراز في العهد العثماني.

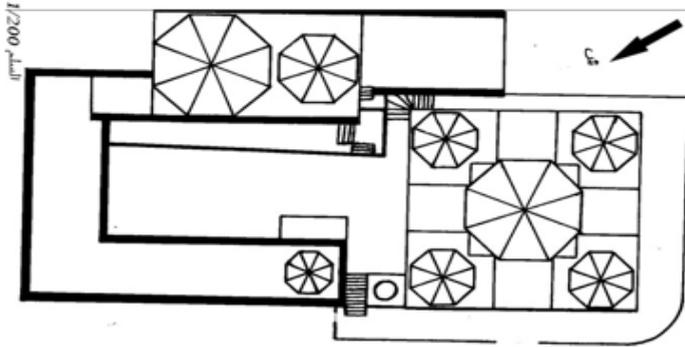
وأما بخصوص المسجد فيبدو أنه حافظ على المخطط الأصلي له ولم تمسه تغييرات كثيرة باستثناء بعض الإضافات التي لم تؤثر على الهيكل العام للمسجد، والذي جاء تخطيطه متأثرا بالنظام التخطيطي العام للمساجد العثمانية القائم على قبة كبيرة تتوسط بيت الصلاة تحيط بها قباب وأقبية أصغر حجما منها.

المخططات:





المخطط رقم: 02 مدرسة ومسجد مازونة
(من عمل الدارس)

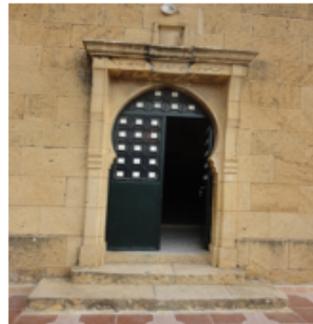


المخطط رقم: 03 سطح مدرسة ومسجد مازونة
(من عمل الدارس)

الصور:



الصورة 02: الواجهة الخارجية لمدرسة
مازونة ومسجدها



الصورة 01 : المدخل الرئيسي لمسجد
مدرسة مازونة



الصورة 04: منظر داخلي لبيت صلاة مسجد مدرسة مازونة



الصورة 03: صحن مدرسة مازونة



الصورة 05: قباب بيت الصلاة بمسجد مدرسة مازونة

هوامش البحث:

- لمزيد من التفاصيل ينظر المصادر والمراجع التالية:
- الشريف الإدريسي، كتاب زهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج.01، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994، ص.(271-272).
- عبد الرحمن ابن خلدون تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج.07، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2001، ص.(87-88).
- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ط.02، ج.02، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب

- الإسلامي بيروت - لبنان، 1983، ص.36.
- مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، ج.02، دار النشر المعرفة، الرباط-المغرب، 1988، ص.359.
- محمد أبي راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ج.01، تقديم وتحقيق: محمد غانم، منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005، ص.93.
- بوعبدالله بلجوزي، آثار عمران حواضر بايلك الغرب في العهد العثماني مازونة ومعسكر ووهران ومستغانم أهودجا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2012-2013.
- BELHAMISSI Moulay, Histoire de Mazouna (des origines nos jours), Société Nationale d'édition et de diffusion, d'Alger, 1981, p. (3536-).
- KADDACHE Mahfoud, l'Algérie durant la période Ottomane, office des publications universitaire, Alger, 2002. p.138.
- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص.192.
- الأغا بن عودة المزاربي، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، ج.01، ط.01، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1990، ص.(229-230).
- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص. (192-193).
- محمد ابوراس الجزائري، فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حياة أبي راس الذاتية والعلمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص.43.
- BERQUE Jacques, le monde méditerranée, retour à Mazouna, Annales économies sociétés civilisations, 27 Année, N°: 01, Janvier- Février, 1972, p.155.
- BELHAMISSI Moulay, op.cit , p.49
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط.01، ج.01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص.183.
- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج.01، ص.285.
- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ج.04، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص.197.
- محمد أبو راس الجزائري، المصدر السابق، ص.43.
- المصدر نفسه، ص.43.
- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص.198.

- BOUSQUET, promenade sociologique, une Médersa déchue, Mazouna, Revue Africaine, N° : 91, 1947, p.305.
- SARI Djilali, les villes précoloniales de l'Algérie occidentale, Nedroma , Mazouna, Kalâa , 2em , Société Nationale d'édition et de diffusion , 1978, Alger, p.47
- Bousquet, op.cit, p.305.
- هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ج.01، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص.234.
- محمد الباجي بن مامي، مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني القرن السابع إلى القرن الثالث عشر الهجري، المعهد الوطني للتراث، تونس، 2006، ص.123.
- MARÇAIS .Georges, , L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphique, Paris, 1954.p.285.
- GOLVIN Lucien, Architecture Musulmane La Madrasa médiévale, Edisud, France, 1995, p.173305-.
- MARÇAIS Georges., op.cit, p.285.
- أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج.02، العصر الأيوبي، دار المعارف، مصر، 1969، ص.121.
- MARÇAIS Georges., L'Art en Algérie, Imprimerie algérienne, Alger, 1906. P.132
- عبد العزيز لعرج، «مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر» المؤتمر الخامس لجمعية الآثار بين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي3، الندوة العلمية الرابعة، القاهرة، 2002، ص.(531-530).

قصر موغل بولاية بشار مقارنة تاريخية وأثرية.

د. لبترقادة (قسم الاثار – جامعة تلمسان)

ملخص:

القصور بصحراء الجزائر إرث مادي خلفته الأجيال، دال على قدرة إنسان الصحراء على التأقلم مع المكان، رغم صعوبة المناخ، قدم لنا الأخير عمارة أثرية غاية في الروعة والتناسق، مستغلا كل ما توفر له من مواد محلية مرتبطة أساسا بجيولوجية المنطقة، لكن ما يعيق الباحثين في مجال عمارة القصور الصحراوية هو تحديد وضبط تواريخ إنشائها وتأسيسها، سواء كان في الفترات قبل وصول الإسلام أو بعد الفتح، لما استغلت كمحطات للرحلات التجارية المتوغلة جنوبا، من بين القصور الصحراوية المشيدة بصحراء الجزائر وتحديدا شمال منطقة بشار، قصر موغل الذي يعتبر أحد قصور شمال الساورة والذي يشوبه لبس وغموض في تحديد تاريخ تشييده وأهم التغيرات التي طرأت عليه عبر الأجيال المتعاقبة، من خلال هذه الدراسة وقفنا على قدم هذا القصر استنادا لما توفر من دلائل مادية وإشارات توحى على أن القصر ضارب في القدم .

Abstract:

EL Ksors' in the Algerian desert are considered a materialistic heritage passed on through different generations. These "Ksors" are vivid proofs about man's adaptation with its harsh climatic environment. We have to mention that these marvelous archeological buildings made of local existing material is congruent with the geological nature of the area. However, what bothers the researchers in the domain is their inability to know whether these "ksors" had been built before or after the spread of Islam when they used to be used as stationary places for trade caravans moving in the deep south of the country. This study is concerned by one of the "Ksors" located in the region of "Bechar" called "MAOUGHEL". This "Ksar" is actually still not really well known as far as its date of construction is concerned as well as the modifications that touched it throughout the succeeding generations.

The historical approach followed in this study has proved that this “Ksar” is very old and this conclusion was drawn thanks to the materialistic proofs found on the spot

مقدمة:

من البديهي أن يرتبط التراث المادي بمختلف أنواعه بما يتركه الإنسان من بصمات، كما يبرز قدرة الأخير على التكيف والانسجام مع البيئة التي يعيش فيها، فينتج لنا مخلفات تعبر عن ما جادت به قريحته وأبدعته أفكاره ويترك لنا مجالا خصبا للبحث والتصور والإخراج بقراءات ومقاربات تبنى على أسس ومرجعيات سواء كانت مكتوبة أو متوارثة بفعل التراتب والتواتر بين الأجيال، ومما أنتجه لنا إنسان الصحراء مجموع القصور المترامية في ربوع صحراءنا رغم شساعة رقعتها الجغرافية الكبيرة، لكن الإشكال الذي طرحته دراسته دراسة هذا النوع من العمارة التقليدية ومن بينها قصر موغل الواقع بشمال ولاية بشار، أو قصور شمال الساورة، هو تحديد وضبط تاريخ تشييدها والتغيرات التي طرأت عليها وذلك من أجل وضع قواعد تأسيسية لحمايتها.

1- مفهوم القصر:

ضمت الصحراء¹ مجموعة من القصور، حيث استعمل مصطلح القصر للدلالة على أنه تجمعات سكنية أهلة بالسكان أو هجرت من طرف أصحابها، وهو مدينة محصنة بموقعها أو بواحاتها غالبا ما تكون محاطة بأسوار، يشد إليها الرحل والمقيمون الباحثون عن الكلاء لقطعانهم². أي أن القصر هيكل عمراني لمجموعة من الناس في موضع يتوفر على متطلباتهم المتجانسة والمترابطة في الدم والعقيدة والثقافة، اجتمعت حول مواد أساسية، للقيام بمهمة حضارية متبادلة بين أجناس ليس بالضرورة أن يكونوا من نفس طينتهم ولكن لتوسيع الأمر النفعي الشامل لحياتهم³.

كما ان القصر هو المنزل، وقيل كل بيت من حجر قرشية، سمي بذلك لأنه تقصر فيه الحرم أي تحبس، وجمعه قصور⁴، وجاء أيضا: القصر هو ما شيد من المنازل وعلا⁵، كما ورد أن القصر بناء ضخم محصن، خاص بسكان الصحراء له شكل معماري مقيد في هذه المناطق، تعرف المناطق التي يبنى فيها أو يجاورها بالواحات⁶. أما عن مورفولوجيا القصر، فهو عبارة عن كتلة بنائية تمتد أفقيا ذات علاقة مباشرة بواحة، مرتبطة بتوفر المصادر المائية، لا يختلف مفهوم القصر في الجزائر عما سبق، وبالتالي فمضمون كلمة قصر، لا تعني مسكن الأمير أو

مسكن الملك كما هو معروف بل تعني حياة المدينة أو حياة الاستقرار، وكثيرا ما يطلق أهل البادية على أهل الحضرة: « القصورى أو المدينى » والتي مازالت شائعة الاستعمال فى صحرائنا إلى يومنا هذا.

يتباين مفهوم القصر والمدينة التاريخية، فهى فى مجموعها ما تحويه من منشآت أثرية، فى وحدة متكاملة تمثل مجتمعا واحدا به مؤسساته ووسائل خدماته وكافة احتياجاته على نمط وأسلوب يتصف به هذا المجتمع⁷. وإذا تفحصنا المباني المتخلفة عن مختلف الحضارات القديمة والعصور التاريخية نجدها قد وصلت إلينا على أشكال وأحوال متباينة.

أ- المباني الحية.

ب- الأطلال والبقايا.

ج- المدن والمباني الميتة والدارسة.

أما المبنى التاريخى يقصد به كل ما تخلف عن العصور الماضية من آثار العمران والعمارة، كالمدينة القديمة وأطلال هذه المدن، أو بعض أحيائها وأسواقها، تؤلف هذه الآثار والمخلفات جانبا هاما من جوانب التراث الحضارى، ويعتبر هذا التراث صلة الوصل بين الأمة وماضيها وموطن فخرها واعتزازها، فضلا عن أهميته وفوائده من النواحي السياسية والثقافية والعلمية⁸.

2- القصور بالجنوب الجزائرى:

غالبا ما يحيط بقصور الجنوب مجموعة من الجبال يطلق عليها جبال القصور، ففي الجزائر مثلا تمتد القصور من منطقة فقيق غربا إلى مدينة البيض وغرداية ثم ورقلة شرقا، وهى جبال متفاوتة الارتفاع، كل مرتفع له تسميته الخاصة، سميت بجبال القصور بسبب وجود قصور محاذية لها أو فى سفحها، تسمى أيضا جبال الأطلس الصحراوى لأنها تشكل حاجزا بين السهوب والصحراء الكبرى⁹، إلا أن تواريخ تشييد القصور بالجنوب الجزائرى اختلفت بين المؤرخين والمختصين، مما أدى إلى كثرة الآراء، فمثلا يصنف المؤرخ مارتان قصور الجنوب الغربى إلى ثلاثة أممات، حيث ينسب قصور الغرب الجزائرى إلى القصور التى شيدت بداية من القرن السابع ميلادى.

تتشارك القصور فى نمط بنائها المعماري، وهذا من خلال المخلفات المادية رغم تباعد المسافات بين هذه القصور، حيث أن القصر وفر لقاطنيه ومرتابه ظروف العيش الكريمة

التي يحتاجون إليها من عدة جوانب ومتعلقة أساسا بارتباطاتهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية وأخيرا الأمنية بما يوفره القصر من عوامل استقرار.

كما تشترك القصور في نظام الحكم السائد بداخلها أو بما جاورها سواء في فترات تأسيسها أو في فترات حديثة عن ذلك، إذ يسود النظام المعتمد على القبلية وكلمة الشيوخ فيها، إضافة إلى مجلس الجماعة، الذي شكل نظاما وظيفيا متكاملًا داخل القصر، سواء كان بين ساكنة القصر أو عمارة القصر بحد ذاته، من باب الانتفاع الوظيفي الذي حددته الحكمة الإلهية.

وتوفر القصور محطات آمنة للحركات التجارية سواء قبل أو بعد الفتح الإسلامي، المثل على ذلك ما ذكره البكري: «ثم نشطت حركة هذه القوافل عبر هذه المسالك والطرق، مستفيدة من الآبار التي فتحها الفاتح العربي المسلم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع»¹⁰. ويقصد بالآبار في هذا الموضوع أماكن الراحة والتجمع التي أصبحت فيما بعد نواة لالتقاء القوافل والتنقل أو مقصدا في طريق طلب الرزق والرعي للماشية، وأحيانا كانت الانطلاقة من هذه النقاط إلى الشمال حيث يتوفر المطر والكلاء، وهذا ما يفسر ظاهرة البداوة القائمة على الترحال والحركة المستمرة وراء العشب والكلاء.

3- موقع ولاية بشار:

تقع ولاية بشار في الجنوب الغربي من التراب الوطني تبعد حوالي 980 كلم عن الجزائر العاصمة، تعد بوابة الصحراء باعتبارها همزة وصل بين الشمال والجنوب، يحدها شمالا كل من ولايتي البيض والنعامه وغربا المملكة المغربية، أما جنوبا ولاية تندوف وشرقا ولاية أدرار، وتبعد حوالي 600 كلم عن البحر الأبيض المتوسط، تبلغ مساحتها حوالي 161400 كلم²، أي 6.8 % من التراب الوطني حيث إن أكثر من 200 هكتار منها أراضي فلاحية، البلدية الأقرب الى مقر الولاية هي بلدية القنادسة، أما البلدية الأبعد عنها هي بلدية لقصابي ب 404 كلم المتواجدة قرب الحدود مع ولاية أدرار¹¹.

4- قصر موغل:

1.4. الموقع:

تقع بلدية موغل في شمال ولاية بشار باتجاه الحدود المغربية إذ تبعد عن مقر ولاية بشار ب 50 كلم، ويعتبر كآخر قصر لقصور شمال الساورة¹²، وهو يتوغل ما بين سلسلتين جبليتين الاطلس التلى والصحراوي وهذا ما يرجح أخذ تسميته من موقعه الجغرافي¹³، فقصر موغل يقع جنوب شرق مقر البلدية والتجمع السكني، فلكيا يقع على خط طول 01°30 شمالا ودائرة عرض 13°2 ويرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي 1170م.

2.4- جيولوجية المنطقة:

منطقة شبكة موغل أو الثنية الزرقية عبارة عن نتوءات من الدولمييت شكلت رواسب بركانية، وهي نفس المكونات والمركبات المعدنية لصخور جبال الألب وجبال شرق أمريكا¹⁴، تقع على بعد 2 كلم شرق بقايا بوكايس نتوءات مساحتها 200300م² تعود إلى تشكيلات ما قبل الكامبري¹⁵.

3.4- مناخ منطقة موغل:

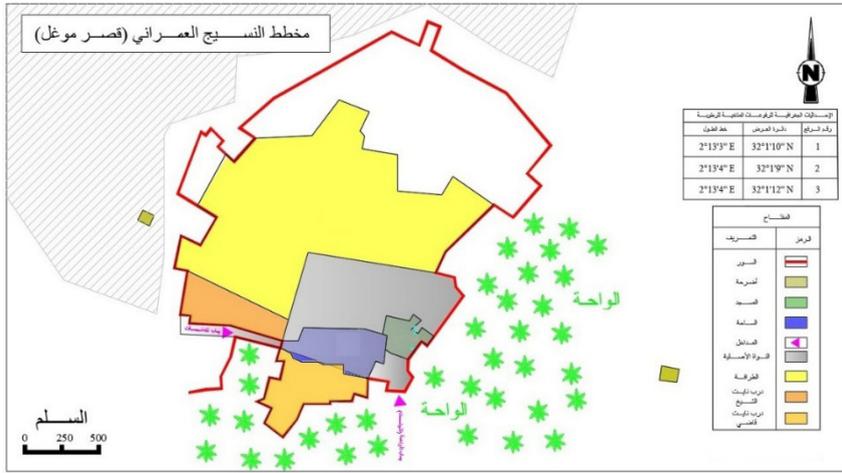
يشابه مناخ المنطقة تقريبا مناخ ولاية بشار بصفة عامة إلا من حيث التساقط، نظرا لارتفاع المنطقة عن سطح البحر، الشهر الأكثر جفافا هو شهر يوليو، حيث يشهد 2 ملم من هطول الأمطار، أما أكبر كمية من هطول الأمطار فتأتي في شهر نوفمبر بمعدل قدره 20 ملم. أما أكثر الشهور حرارة فهو شهر يوليو بمتوسط 30.9° ، في حين يمثل شهر جانفي أكثر الشهور برودة بدرجات حرارة دنيا تصل إلى 08.0° ، مع تسجيل بعض الاستثناءات حيث تصل درجة الحرارة إلى الصفر أو أقل. ويتراوح معدل هطول الأمطار 18 ملم بين أكثر الشهور جفافا وأكثرها تساقطا، أما متوسط درجات الحرارة على مدار العام فهو 22.9° ¹⁶.

4.4- سكان القصر:

قصر موغل هو تسمية تالفة للقصر بعد تسميتين سابقتين الأولى هي آيت إيلو والثانية هي أغرم المنبهين، وحسب الرواية الشعبية كلا التسميتين لقبائل هاجرت من المغرب الأقصى اشتهرت بتجارة قصب السكر، ثم أطلق على القصر أت موغيل من طرف أحد الأئمة. بالقصر سبعة دروب أصلية، حيث السكان الأصليون هم أولاد سيدي سعيد الذين تفرع منهم أولاد عبيد وأولاد قاضي، هجر القصر من طرف ساكنته نهائيا سنة 1979.

5.4- الوصف المعماري لقصر موغل:

شيد القصر في أعلى الواحة لعدة أغراض أهمها تسهيل إيصال الماء والاستغلال الأمثل لمواد الواحة والمراقبة الجيدة، يضم القصر أربعة أبراج للمراقبة في الجهات الأربع يربط بينها سور عريض مسقف آدراس لضمان التواصل بين الأبراج، لتكون في حالة استعداد لأي هجوم يتعرض له القصر في حالة الحروب بين القبائل، هذه الحروب جسدتها الرواية الشعبية من خلال بعض القصائد والأشعار المتوارثة في حالتها الدفاعية والهجومية.



أ- الأسوار والأبواب:

يعتبر السور من المعايير الحضارية¹⁷، سور المدينة هو البناء المحيط بها والجمع أسوار، وهو جدار ضخم عال يحيط به لحماية¹⁸، استعمل السور في القصور للتحكم في الدخول والخروج منه والتسهيل لمراقبه والدفاع عن القصر. كما أن الأسوار تعد رسماً لتحديد حدود المدينة أو الفضاء العمراني والمعماري، لها صلة خاصة بالمجتمع الإسلامي، حيث تتفاعل مباشرة مع مفهوم الحرمة والحرم، فهي كمدلول تشكل الحامي للفراغ¹⁹.

يحيط بقصر موغل سور مبني بالحجارة والطوب غير منتظم في شكله العام الحالي، إلا أنه كان على غير ذلك في بداية النواة الأولى للقصر التي كانت مربعة الشكل حسب آثار السور، ثم توافدت على القصر الهجرات ومجموعة من القبائل سميت بالطرافة²⁰، موجهة أبوابها إلى الخارج حتى صار الشكل العام يميل إلى الدائرة، ثم في فترات لاحقة سكن الطرافة النواة المركزية بسبب النزوح، يتراوح سمك جدار السور ما بين 40 و60 سم، أما ارتفاعه ما بين 2.5 و3م، يعلوه في بعض نقاطه ممر للحراسة. يمكن الدخول إلى القصر من خلال بابين، الأول هو باب نتماسغت يقع في الجهة الشمالية، لحقت به عدة تغييرات، مقاساته ما بين 2.90 و3.20 م الصورة رقم 01.

أما الباب الثاني: هو باب نتيجت أو باب الواحة الصورة رقم 02، يقع في الجهة الجنوبية يفتح مباشرة على الواحة، مقابل الباب الأول توجد ساحة القصر أو الساحة العمومية المسماة بساحة تماسغت، تسمى أيضاً ساحة السوق.



الصورة رقم 02



الصورة رقم 01

ب - ساحات القصر:

بالقصر مجموعة من الساحات أهمها ساحة **تماسغت** يحيط بها مجموعة من المحلات أو الفضاءات تعددت وظائفها (الراحة والانتظار والاجتماعات والمحادثات، البيع، تخزين السلع...)، كما يوجد بالساحة أيضا فضاء يسمى محليا **بتماسغت**، عبارة عن غرفة موجودة في ركن الساحة مقاساتها 3x3.50 م تتوسطها دعامة 50x50 سم استعملت للجماعة الصورة رقم 03، 04.



الصورة رقم 04



الصورة رقم 03

كانت توجد قنطرة بوسط الساحة تغطي كهفا انحداره المائل يصل إلى 3.50 م تحوي فرنا وقد تتسع لـ 50 شخصا، تم ردمها في التسعينيات من طرف أحد المسؤولين بمادة التيف، والدليل على هذا الكلام هو أن ساحة القصر في وسطها غير ثابتة. هناك ساحة ثانية أقل حجما هي حارة **حمو الصالح** متواجدة داخل القصر، إضافة إلى مجموعة من الساحات الصغيرة مستعملة كمساحات خضراء.

ج-المسالك والدروب:

كل الدروب لها صلة مباشرة بالساحة العامة (سته 06 دروب) كل درب يضم مجموعة إثنية واحدة هي العرش مما يعني وجود ستة أعراش بموغل، جاءت هذه الدروب ضيقة بحيث لا تسمح بمرور أكثر من شخصين في اتجاهين متعاكسين عرضها ما بين 0,90 و1,5م، مغطاة في أغلبها إلا قليلا ما نجدها غير مغطاة، استعملت في التغطية جذوع النخيل المشكلة لسقف الطابق الأول للمنازل، مع ترك بعض الثقوب والمساحات التي تساعد على الإضاءة والتهوية. تتشعب الدروب الستة إلى دروب صغيرة حيث لا يمكن الذهاب معها إلا لأصحاب المنازل الواقعة بها وهي العائلة الواحدة التي تنتمي إلى نفس العرش، تنطلق كلها من الساحة العمومية، قمنا بتحديدتها حسب الرواية الشعبية إلى:

ج1. ناحية الشمال

درب نايت عمارة، وينقسم إلى شارعين مغلقين هما آيت عمارة وآيت النمر.
درب نايت بارة وهو عبارة عن شارع واحد يتخلله ثلاث أزقة مغلقة.
درب نايت عسول متوسط الطول.
درب نايت بوسعيد ينقسم إلى ثلاث شوارع مغلقة هي شارع نايت عبيد، شارع نايت عبة، شارع نايت بوسعيد.

ج2. ناحية الغرب:

نجد دربا واحدا هو درب نايت الشيخ، حيث تتوضع المساكن بشكل منتظم على اليمين ويقابلها على اليسار صور القصر.

ج3. ناحية الجنوب:

نجد درب نايت قاضي الذي يخترقه شارعان.
كل درب يحتوي عدة سكنات وصلت ما بين 60 و80 سكن أواخر 1800، في نهاية كل درب نجد ساحة للاجتماع خاصة بكل عرش، يكتنف القصر من الجهة الغربية ضريح سيدي عيسى ومن الشرق مقام سيدي بن عمران يحرضان القصر ويحميان سكانه من الشر.

د -مسجد القصر:

مسجد القصر محاذي لساحة نتامسغيت يضم أيضا مدرسة قرآنية، بسيط في شكله، حسب رواية كبار المنطقة ضم المسجد الزاوية القديمة للقصر. في قراءة لتواجد المركب

الديني (المسجد، المدرسة، الزاوية) بجانب الساحة العمومية والواحة، وذلك من أجل إضفاء الطابع الشرعي على المعاملات بين مالكي الواحة وتجار السوق على أساس أن الرقابة موجودة أمامهم.



الصورة رقم 06



الصورة رقم 05

هناك بعض العناصر العمومية المشيدة في القصر وذلك للحاجة الملحة مثل البئر الموجود بدرب نايت الساحلي، كما سبق ذكره مسجد القصر لا يتجاوز 20 م² الصورة رقم 05 و06، إضافة إلى صحن حديث مساحته 6 م² يقع في ركنه الشرقي بئر ويفتح على الساحة العمومية المسماة تماسغت التي تفتح هي الأخرى على الواحة أو الجنان عن طريق الباب الثاني للقصر نوسمار. وضع أمام المسجد ساعة شمسية لمعرفة أوقات الصلاة تسمى عند أهل المنطقة الحق، كما تستعمل لتنظيم توزيع الماء وهي موجهة نحو الشرق أساس هذه الساعة الشمسية دائرة قطرها 80 سم مقسمة إلى ثمن مساحات بواسطة بقايا عظمية. الصورة رقم 07، 08.



الصورة رقم 08



الصورة رقم 07

حيث يحصل كل صاحب حقل على نصيبه من الماء بعد دوران الظل على علامتين عظيمتين بمحيط الساعة، لكن في حالة غياب أشعة الشمس، يعتمد سكان القصر على وسائل أخرى مثل تيغرت باللغة المحلية وهي عبارة عن نصف صحن نحاسي مقعر يوضع عند بداية منبع الماء، كما احتوى المسجد على دار الضياف، واستعمل سطح المسجد لقراءة القرآن أيام الاحتفال بالأعياد الدينية كالمولد النبوي أو الاحتفالات الخاصة بأهل المنطقة من أعياد بربرية، وأعراس.

هـ- المساكن:

بנית المساكن بالطوب ذو الحجم الكبير المصنوع محليا من الطين والرمل شكلها على العموم مستطيل بمقاسات تتراوح من 0,10 م و 0,15 م سمكا و 0,20 م عرضا و 0,40 م طولاً، يبنى محليا الطين يصنع منه أساسا الجدران الخارجية التي تسمى محليا بالحوط الصورة رقم 10، سمك هذه الجدران غالبا ما يتراوح بين 0,40 إلى 0,60 م، أما عن أساسات هذه الجدران ففي الغالب من الحجارة المتوسطة الحجم يتم الربط بينها بواسطة ملاط طيني حيث أن ارتفاعها لا يتعدى الواحد متر.



الصورة رقم 10



الصورة رقم 09

ما لاحظناه ميدانيا أن جل المنازل منخفضة في مستواها الأول حيث من النادر أن يتجاوز ارتفاع الأسقف 2.40 م من الداخل، أما عن المساحة الداخلية لفضاءات المسكن فغالبا ما تكون مربعة بقياس 3.2 x 3.3 م (المتوسط).

وهذا راجع في أغلب الظن إلى ضعف مواد البناء من حيث المتانة لأنها لا يمكن أن تتحمل أثقالا على ارتفاعات كبيرة إضافة أنها لا يمكن أن تتماسك لمسافات تتجاوز 3.50 م، أما عن التسقيف فالمواد المستعملة أساسا هي النخيل (الجريد والجذوع)، ملاحظة أخرى حول

حجم الفضاءات داخل المسكن راجع للسقف الذي هو من جذع النخيل. وأغلب المنازل تتكون من طابق أرضي وسطح²¹، يمكن الصعود إليه من خلال درج في ركن المسكن.

احتوت كل المنازل في قصر موغل على دورات للمياه أو الكنيف الذي يسمى محليا تيفيرين، يتشكل معماريا من جزئين، الجزء الأسفل أو الحفرة تسمى أداي، والجزء الأعلى يسمى أنج، حيث تستعمل الفضلات المتراكمة والرماد كسماد لبساتين الواحة، نادرا ما نجد أكثر من كنيف واحد في المنزل الا في بعض الحالات للمنازل الكبيرة، ندخل إلى الغرف المكونة للمنزل عبر أبواب مصنوعة من خشب النخيل لكل باب مفتاح تقليدي يسمى محليا بـ تاغلبت.

توجد بعض الحالات لمسكن من طابقين مثل الدار المسماة دار نايت عسول، نجد مباشرة في المدخل فضاء محفور في الأرضية يسمى تامطمورت، عبارة عن وسيلة دفاع وراءه مباشرة فناء يسمى باللهجة المحلية أسواريس أو تاسيريت، تتوسطه دعامة كبيرة مربعة طول ضلعها 0,80 م، من خلاله نستطيع الدخول إلى ملاحق المنزل الأخرى وهي لبيوت، قاعة الضيوف تاماسريت المعزولة عن بقية الغرف أو في الطابق.

أما عن تيوخوزان أي المخزن فهي قاعة في الطابق.

كما تحتوي المنازل على الفرن التقليدي الكوشت، في أحد أركان البيت، غالبا ما يكون في أحد أركان الصحن، نصدع إلى الطابق الثاني من خلال درج، في منتصفه استراحة تحتها مباشرة مكان وقود النار تاحفريت مفتوح إلى الخارج عن طريق فتحة صغيرة، معظم الجدران في القصر تحوي على فتحات متناسقة في وضعها مما يشكل نوعا من الزخرفة. - نجد أسفل الجدران أماكن الراحة تدوكانت، ولها دور آخر هو ضمان تماسك الجدار من الجهة السفلية وحسب بعض مشايخ المنطقة استعمل التدوكانت أيضا في فصل الصيف للنوم.

و- الآبار:

أحصى لنا بعض سكان المنطقة أكثر من 15 بئر بكامل قصر موغل أغلبها تقع داخل المنازل الكبيرة لوجهاء القبائل، وهناك بعض الآبار المشيدة للحاجة العمومية الملحة مثل البئر الموجود بدرب نايت الساحلي إضافة إلى البئر المركزية الموجودة بساحة القصر كما ذكر نفس المصدر أن متوسط عمق البئر هو 10 أمتار.

استعمل لاستخراج الماء من الآبار نظام متكامل يعتمد على الحبال تصنع من شعر الماعز،

حيث يرفع الماء من البئر بأداة تسمى محليا تسابلالت هي البكرة أو الخطارة، أما الدلو فيسمى أغرور الذي يصنع من الخشب أو جلد الماعز.

5- النتائج:

هناك غياب كبير للمصادر المكتوبة لعدد من القصور مجهولة التاريخ، لكن معظمها مشيد ما بين القرنين 13 و14 ميلادي، بالاعتماد على المعطيات الأثرية والعادات والتقاليد غير المؤكدة، التي لا يمكن من خلالها إعادة تصور نمط الحياة وإثنيات ساكنة هذه القصور. محاولاتنا لتحديد مقاربة تاريخية لقصر موغل بقيت مجرد فرضيات نظرا للصعوبات، أساسها غياب المصادر التاريخية المكتوبة أو بالأحرى عدم توصلنا إليها، ما وقفنا عنده أيضا غياب الإشارات الدالة على وجوده أو على معلومات ومعطيات مقربة منه، إلا ذكره في الرحلة العياشية لأبي سالم العياشي أثناء عودته من رحلة الحج باسمين متقاربين هما مرغل وموغل دون ذكر أي تفاصيل أخرى.

حيث يقول: «...وذهبنا نحن مع أهل مكناسة وفاس باحد عشر خباء، وأخذنا عن يمين جبل عنتر، وهو أعظم جبل في تلك الناحية، وسلطنا طريقا حرشة هنالك بين جبلين أحدهما جبل عنتر وهو عن يسارنا الى أن خرجنا عند الثوميات، وفي الغد وصلنا الى مرغل قبل الظهر وتجاوزناه، فلما وصلنا الى قرية المنابهة تفقدنا صاحبنا لنا نام في وادي قبل أن نصل الى موغل، فوقفنا ساعة ننتظره الى أن وصلنا فسرنا وبتنا، وفي الغد جئنا لبوكايس ضحى ووجدنى واديهم ليس فيه إلا قليل ماء، وكان عهدنا به ذا ما كثير وأخبرنا أهل البلد أنه كان بأعلى الوادي غار في الجبل فيه بركة ماء طاف على شكل بركة مستديرة، لا يعلمون من أين جاء ولا الى أين يذهب...»²²،

كما أفادنا أحد أهل المنطقة بأن أصل كلمة موغل من موغيل بالأمازيغية، التي معناها المرأة صاحبة الذراع أو أم الذراع، وتفسيرها حسب ساكنة المنطقة أن المرأة كانت تعمل في البساتين والواحة المحيطة بالقصر²³.

اعتمدنا في ذلك على محاورة بعض المؤرخين العصاميين أو مشايخ المنطقة في سرد بعض الروايات والقصص عن القصر التي تصب في غالبها في خانة الأسطورة، حيث بعد جمع هذه المعلومات استنتجنا أن القصر قديم من حيث تأسيسه وهناك اختلاف بين هذه الروايات منها من يرجع تاريخ تشييده إلى 7 قرون و10 قرون حسب روايات أخرى.

أما بعض الباحثين²⁴ فذهب إلى حد 15 قرنا قبل الحاضر لكنها تبقى كلها فرضيات غير مؤسسة إلى غاية الوصول إلى التاريخ الأصلي، وبدلائل ملموسة ليس فقط من خلال التوارث والتراتب، ما يمكن إثباته أن تشييد القصر يعود إلى فترات قديمة حسب مجموعة من الدلائل المادية طرحها الباحث شياب اسماعيل²⁵، أهمها:

- عدد المقابر المنتشرة حول القصر والتي يصل عددها إلى 05 مقابر²⁶، الملاحظ عليها كثرة القبور، هذا يدل على عدد السكان الكبير الذي مر على تعمير القصر وعلى عدة أجيال، إضافة إلى استقرار تعمير القصر إلى غابة هجرانه في سنوات متأخرة، والانتقال إلى مقر البلدية الحديث إبان فترة الاستعمار الفرنسي.

- عدد الأضرحة والأولياء التابع للقصر المسمى عند أهل المنطقة بالولية، الذي يصل إلى 11 ضريحا وهم سيدي عيسى، سيدي علي بن عمران، سيدي المخفي، سيدي موسى، سيدي عبد الرحمن، سيدي محمد بن سعيد، سيدي أحمد بن براهيم، سيدي بلقاسم، سيدي السعيد، لالة مبروكة، سيدي بوشقيفين.

- تعامل أهل المنطقة بالأمازيغية يمكن أن يفهم على أن هؤلاء ترجع جذورهم إلى ما قبل الفتح الإسلامي.

- إشارة بعض المشايخ أن أهل القصر شملوا على عدة قبائل جاءت من قصور أخرى أصبحت غير موجودة مثل القصر المسمى: قصر نايت يلمو²⁷.

- قرب موقع القصر من غابة نخيلية كبيرة، والتي تتربع على مساحة شاسعة تقدر بـ 2000 هكتار على مسافة 2,5 كلم²⁸، موجودة بها أشجار نخيل معمرة، يسمى هذا النخيل بتازدايت.

- آثار الحبال الموجودة على حجارة البئر تدل على كثرة العروش بالقصر، كل جهة كانت يسقى منها عرش حسب مشايخ المنطقة.

- آثار الحرق داخل جدران بعض المنازل وكذا سمك هذا الكربون الذي يمكن استعماله في عملية التأريخ، ويمكن أن يستشف منه أيضا أنه مر على شغل هذه المنازل عدد كبير من الأشخاص أو العائلات أو الأسر.

- عبقرية تنفيذ البناءات داخل قصر موغل وكذا تقسيم الوظائف والمهام بمختلف

أنواعها مثل: أنظمة تقسيم مياه السيل والبئر باستعمال التقسيم الشمسي تاعويضاس الحق، ونظم التقييس الأخرى مثل تيغرت. هذه المهارات تدل على تعاقب عدة أجيال على القصر والتي تركت بصماتها من أجل تسهيل وسائل العيش داخله.

- وجود منازل ذات طابقين في القصر يدل على نقص مساحات التشييد داخل أسوار القصر، مما أدى إلى استعمال الطوابق في المنزل الواحد رغم هشاشة مواد البناء، هذا دليل آخر على وجود أعداد كبيرة من الساكنة عبر فترات زمنية وهذا ما نلمسه من خلال حجم الاتقان الداخلي.

- التوسعة التي شهدها القصر من الجهة الشمالية الغربية تدل على زيادة عدد السكان بداخله.

- التنظيم الداخلي للقصر، ما يستشف من تطبيق أنظمة البناء والتعايش مع كفالة حق الجار لمبدأ لا ضرر ولا ضرار عن طريق هيئة خاصة تسهر على هذه الوظيفة (المحتسب)²⁹ وخاصة من حيث مساحة الدرب الواحد، وتنظيم مجموع الدروب فيما بينها.

هوامش البحث:

1 .الصحراء هي أرض فضاء واسعة فقيرة الماء، جمعها صحاري ويقال أصَحَر المكان أي اتسع، وصَحِرَ أو صَحَرَ الشيء إذا أشرب الشيء لونه حمرة خفيفة. وهي تلك الأقاليم التي تتميز بندرة المياه وقلة النباتات، حيث يقل المتوسط السنوي للأمطار فيها، حسب بعض العلماء كلمة الصحراء تطلق عالميا على المناطق الجافة وشبه الجافة، أما البعض الآخر فيذهب إلى أخذ مفهوم الصحراء من نوع التربة وأصناف النباتات كأساس للتعريف، وهناك جمع يردفون أن مفهوم الصحراء مأخوذ من الجفاف ونوع التربة وأصناف النباتات، وللصحاري عدة أنواع وفقا للظروف المناخية فهناك الحارة والصحراء المعتدلة والباردة. ينظر

- قبالة مبارك، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009-2010، ص 11.

وينظر أيضا :

- فاروق العمري، مبادئ علم الجيولوجيا، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2001، ص 250، ص 260.
2 . COLOMIEU ,v, Voyage dans le Sahara Algerien de Géryville à Ouargla. Le tour du monde، 1862,p 162.

3 - محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة الأثري، دراسة معمارية وأثرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 21-20.

- 4- ابن منظور ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد 11، طبعة جديدة، دار الهلال، بيروت، لبنان، 1994، ص 186.
5. علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، ص 30.
- 6 . Le Grand Dictionnaire Encyclopédique ، La Rousse، T7، 1984، p7905.
7. السيد محمود البنا، المدن التاريخية خطط ترميمها وصيانتها، جامعة القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2003م، ص15.
- 8- عبد القادر الرياحوي، المباني التاريخية حمايتها وطرق صيانتها، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق سوريا، 1972، ص 8.
- 9- ميمية بن صغير حاضري، القصور الصحراوية بالجزائر صورة للإبداع الهندسي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، غرداية، 2011، ص138.
- 10- أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، طبعة الجزائر. 1911، ص 158.
- 11
12. ما يصطلح عليها قصور الشمال وهي قصر لحرمر قصر بوكايس، الصفيصيفة والقصر محل الدراسة.
13. إذا رجعنا إلى أصل كلمة موغل فهي من الفعل توغل.
- 14 . Gérard Duec et al, les Boutonnieres Pau-africaines du haut Atlas Algérien, aspects structuraux et sédimentaires, compte-rendu académique scientifique ; T314 série II, Paris, 1992, p 1478.
15. Ibid. p1480.
16. ينظر: موقع المعطيات المناخية <http://ar.climate-data.org>؛
- 17 - زكريا ابن محمد القرويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت 1960، ص 87.
- 18 - عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، مكتبة مدبولي، 2000، ص 153.
- 19 - إبراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي ط 1 مطبعة أبو داود الجزائر 1992 ، ص 84-85.
20. الطرافة نسبة إلى قبائل مهاجرة إلى القصر، سكنت أطرافه أو في جوانبه، ثم في مرحلة لاحقة أصبحوا من السكان الأصليين بتصاهرهم معهم ومشاركتهم الميراث.
21. تساضحت هو السطح استعمله الموغليون للنشر وخاصة المحاصيل.
22. أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، الامارات، 2006، ص51.
23. مقابلة مع السيد: محمد أو عبيد، بتاريخ 12 جوان 2014 على الساعة الثانية والنصف داخل قصر موغل، وهو أحد المهتمين العصاميين بتاريخ المنطقة، كما يملك منزلا داخل القصر جعل منه متحفا مصغرا لمقتنيات جمعها من أهل القصر.

24 . الباحث شياب اسماعيل المختص في مواد البناء الترابية حسب الدراسة التي قام بها حول منطقة بشار وقصر موغل.

25 . CHIEB Smail, L'Architecture de Terre : Techniques et formes, cas d'étude : Ksar de Mougheul, Thèse de Magistère, Centre universitaire de Béchar, 2005, p143

26 . Ibid. p.143

27 . قصر نايت يلمو، أو عشيرة يلمو، إحدى القبائل البربرية التي سكنت القصر

28 . Smail Chieb, Op. Cit., p144.

29 . المحتسب من أعيان المدينة أو القصر، له مهمة ضابط يسير أمور المجتمع، وخاصة البناء وحق الجوار، إضافة إلى تنظيم الأسواق ومراقبة قوالب البناء والمهنة الحرة داخل المدينة وفرض العقوبات على المخالفين. ينظر:

PETERSON Andrew, Dictionary of Islamic Architecture, Routledge, London, 1996, p206.

الحمامات العثمانية في مدينة تلمسان حمام سيدي سليمان أنموذجا.

د. محمد بن حمو (قسم علم الآثار- جامعة تلمسان)

ملخص:

في هذا المقال أن نتطرق إلى الحمامات العثمانية بمدينة تلمسان، وسنركز على حمام سيدي سليمان باعتباره النموذج الوحيد الذي تمكنا من دراسته، وعلى هذا سنتكلم على دخول العثمانيين إلى تلمسان، ثم نشير إلى تخطيط الحمامات العثمانية بالجزائر، وأخيرا نتطرق إلى مختلف العناصر المعمارية المكونة لحمام سيدي سليمان.

Abstract :

In this article we deal with the Ottoman baths in Tlemcen. Our focus is about Sidi Slimane's bath as the only model that we were able to study .

In our study we developed the following points : Firstly the entrance of the ottomans to the city of tlemcen, and then we refer to the Ottoman baths planning in Algeria finally we deals with the various components of the sidi sliman's bath and it's architectural elements .

مقدمة:

نريد في هذا المقال معرفة تخطيط الحمامات العثمانية بتلمسان، ورغم أننا لم نجد حماما عثمانيا لا يزال يستعمل إلى الآن، إلا أنه يمكننا معرفة ذلك التخطيط بمقارنة الحمامات العثمانية التي اشتهرت في الجزائر في ذلك الوقت بحمام سيدي سليمان والذي يعود لفترة متأخرة عن العثمانيين، والذي يمكن اعتباره نموذجا للحمامات العثمانية التلمسانية، وعلى هذا سنتطرق في هذا المقال إلى تاريخ دخول العثمانيين لتلمسان باختصار، ثم نعرض على أهمية الحمام الاجتماعية والصحية، ونحاول معرفة تخطيط الحمامات العثمانية وعمارتها، ثم نفضل الكلام على حمام سيدي سليمان.

بعد أن استقر عروج ومن معه في الجزائر ووطد أركان الدولة عزم على إخراج الإسبان من المغرب الإسلامي، وكان الإسبان في كل من تونس وبجاية شرقا ووهران وضواحيها غربا

إلى بعض سواحل المغرب الأقصى يقاسمهم هناك البرتغاليون، وأدرك عروج أن الجهة الغربية أكثر خطرا ليس من طرف الإسبان فقط، ولكن أيضا من بني زيان الذين والى حكامهم الإسبان.

اتجه عروج إلى تلمسان فدخلها عنوة وولى عليها أبا زيان الثالث، ثم جال في نواحي المغرب الأوسط لإخضاعها، غير أن أبا زيان نبذ تبعيته للعثمانيين ووالى الإسبان، فعاد عروج إلى تلمسان وقتل أبا زيان وبعض مناصريه وكان ذلك في سنة 1517م⁽¹⁾.

في العام الموالي اتجه جيش مكون من عشرة آلاف رجل من إسبان وأعراب بقيادة أبي حمو واتجهوا إلى تلمسان وحاصروها، فاستبسل عروج وأهل المدينة في الدفاع عنها مدة ستة أشهر كاملة، وبعد أن هدمت المدافع أسوار تلمسان ودخل القوم المدينة وتقاتلوا في الأسواق والشوارع اضطر عروج إلى أن يتحصن بقلعة المشور الموجودة داخل تلمسان مع خمسمائة (500) من العثمانيين، وبقي على ذلك مدة، ثم قرر أن يخرج بمن معه وأن يشقوا طريقهم بالسلاح إلى ناحية البحر حيث يمكن لأخيه خير الدين أن يمهده بالجيش والمؤونة، وبالفعل نفذ خطته، غير أن فرقة كبيرة من الإسبان لاحقته، وكان عدد من خرج معه عشرة رجال، وبعد أن تقاتل الفريقان في زاوية سيدي موسى أو قرب واد المالح Rio Salado على اختلاف الروايات ومات جنود عروج، وتقاتل عروج مع قائد الإسبان كارسيا لابلازا فقتل كل منهما صاحبه، وقطع رأسه وأرسل إلى وهران ثم إلى إسبانيا وطيف به في أوروبا، يقول وليم سبنسر ثم أعيد إلى دير القديس جيروخ في قرطبة حيث زين به حائط بهو التعبد والذي ظل يعرف لزمان طويل ببهو بربروسا لعبادة المسيح، أما جثته فينقل أحمد توفيق المدني عن عبد الرحمن الجيلالي أنه مدفون جوار ضريح سيدي رمضان بالجزائر على يمين الداخل، وكانت هذه الأحداث في شهر ماي عام 1518م⁽²⁾.

بقيت تلمسان على هذه الحال، ثم في عام 1541م نجح خير الدين في إخضاع تلمسان إلا أنه في عام 1543م استرجعها الإسبان، ثم أعاد العثمانيون عليها الكرة مع حليفهم الزياني أبي زيان أحمد وفرّ محمد السابع حليف الإسبان مع بعض خواصه إلى بلاد أنكاد يريد المدد إلا أن قبائلها قتلوه⁽³⁾.

بقيت الأمور على حالها لبعض الوقت ثم ما لبث أبو زيان أن اتصل بالإسبان أعدائه بالأمس في سنة 1547م، غير أنه هزم أمام العثمانيين عام 1550م وهذا في عهد حسان باشا

حاكم الجزائر آنذاك، وفي عام 1554م اجتمع مجلس العلماء بتلمسان وقرر خلع هذا الأمير وأعلن صالح رايس نهاية دولة بني زيان وانضمام تلمسان نهائيا إلى الدولة الجزائرية، ومن المؤرخين من يرى أن الانضمام التام إنما كان عام 966هـ/1558م⁽⁴⁾.

وبقيت الحال بتلمسان للعثمانيين وظهر عنصر الكول اغلي (الكراغلة) وهم المولدون من الأتراك والأمهات الجزائريات، والظاهر من كلام الأمير عبد القادر للجنرال بيجو أثناء معاهدة التافنة التي عقدت بينهما أنه أوصاه بكراغلة تلمسان خيرا، إذ كانت فرنسا قد استولت على تلمسان، فالظاهر من قوله أن حكم تلمسان قد رجع لهذا العنصر بعدما لم يكن لهم أي حق في المناصب الإدارية فضلا عن الحكم⁽⁵⁾.

يظهر من هذا أن العثمانيين بقوا في تلمسان قرابة ثلاثة قرون، ولكن الظاهر أنهم لم يختلطوا مع سكان المدينة إذ بقوا ذلك العنصر الغريب الذي جاء في زي عسكري وبقي كذلك رغم أن بعضا منهم تزوج في تلمسان وأنجبوا الجيل الجديد للمولدين أو من يسمون بالكراغلة، ورغم طول هذه المدة التي قضاها بالمدينة إلا أن آثارهم بها قليلة مقارنة بمن سبقهم يقول محمد عمرو الطمار: «وذلك لأن السياسة التركية كانت قائمة على التخوف من السكان الجزائريين وعلى حرمان هؤلاء من مناصب الإدارة والحكم كما فعلت روما من قبل وفرنسا من بعد، فإن خطتهم كانت خطة استعمارية محضة، بقوا طويلا بتلمسان ومع ذلك طالما بحثنا عن آثارات تركية بالمدينة فلم نعثر على شيء إلا ما كان من بعض الأسماء»⁽⁶⁾.

و على كل حال فلسنا مع محمد بن عمرو الطمار أن هدفهم استعماري بحت، لأنه لو كان كذلك لدخلوا إلى تلمسان بالقوة ولفعلوا ذلك أيضا كلما عادوا إليها لطرد الإسبان، ولكنهم والحق يقال فمنذ عهد عروج وأهل تلمسان هم الذين استنصروا بهم ضد ملوكهم الذين والو الإسبان واستجابوا لنداء الجهاد في كل مرة، وإن كانت لهم أخطاء فهي مغمورة في بحر حسناتهم، إلا أننا نوافقهم إلى حد بعيد في قوله أن آثارهم في تلمسان قليلة.

1 - الأهمية الاجتماعية والصحية للحمام:

بالإضافة على دورها في النظافة كما هو الأصل الذي وجدت من أجله، إلا أنه كان لها دور اجتماعي أيضا حيث يلتقي فيه الرجال مع بعضهم والنساء كذلك مع بعضهن وفيه يتفق على الزواج أو بدايته أو مبادرته الأولى، وهذا ما يزال منتشرا إلى حد ما في وقتنا الحالي وفيه يتحدث على مراسيم الدفن، وفيه أيضا يتفق على الأعمال التجارية، كما تحكي

فيه الحوادث العائلية⁽⁷⁾، وإلى جانب دورها الاجتماعي هذا فإنها كانت تعالج فيها بعض الأمراض أو تتسبب في عدم وقوعها، ومن الأمراض التي تداوى فيه التهاب اللوزتين، وقد حضر فيلهم شيمبر الأمانى كما نقل ذلك دودو طريقة معالجتها قال: «دخل إلى الحمام شاب انتفخت لوزتاه عند فكه الأسفل واستحم ثم اتجه إلى رجل كبير السن كان جالسا في الرواق، ومع أنه لم يكن طبيبا فقد اضطلع الشاب أمامه فوضع يديه فوق لوزتيه وضغط عليها بشدة رافعا إياه من الأرض لمدة طويلة، ثم أعاده إلى مكانه وقد اعوج وجه الشاب الذي فتح عينيه برهة ثم أغمضهما وقد بدا عليه أنه فقد وعيه تماما وعندما استيقظ ثانية ونظر حوله مستغربا كرر الشيخ العملية معه مرة ثانية وثالثة إلى أن غاب الشاب عما حوله مدة طويلة، وبالتالي فتح عينيه وتنفس بقوة واستحم من جديد ثم غادر الحمام وقد شفي من مرضه⁽⁸⁾»، وبالإضافة إلى علاج التهاب اللوزتين نذكر أن الحمامات نافعة للأمراض الباطنية وذلك إذا شرب ماؤها، وهذا يختص بالحمامات الطبيعية التي يجري ماؤها على معادن معينة وهو إنما يُعلم نفعه بالتجربة، وهي أيضا نافعة لاختلال العقل بسبب سوء مزاج بارد أو يابس وبالتالي تعالج بالرطوبة، ومنها ما هو نافع لبعض حالات العقم التي مردها إلى سوء مزاج يابس، كما أن الحمامات نافعة للأمراض الظاهرة مثل علة تولد القمل في الرأس وعلّة البرص وأيضا لبعض الحميات⁽⁹⁾.

2 - الحمامات العثمانية:

هذا بصفة عامة لأهمية الحمامات الاجتماعية والدينية والصحية، ولكي نعطي فكرة عن الحمامات العثمانية في الجزائر فإن ما توفر عندنا من المراجع هو وصف لبعض حمامات العاصمة، يقول وليم سبنسر: «لقد بنيت حمامات واسعة من طرف حسن باشا ومحمد بن صالح رايس قائد البحرية الجزائرية الكبير وجهزت بالماء الساخن والبارد، وكانت تضاهي أحسن الحمامات في القسطنطينية»⁽¹⁰⁾.

ومن خلال هذا الوصف يتضح أن حمامات الجزائر في فترة العثمانيين أصبحت على نسق حمامات العاصمة العثمانية وبالتالي فإن النمط المعماري قد انتقل إلى الجزائر، ومما يدل على أن الحمامات في هذه الفترة قد كثرت قول وليم سبنسر نقلا عن نيكولاي Nicolay في وصف الجزائر: «توجد من وراء البلاط الملكي بيوت رائعة تعود ملكيتها للخوادم من الرجال وإلى جانبها عدد كبير من الحمامات» ونقل هايدو أنها بلغت الستين حماما⁽¹¹⁾، وهذا أمر مسلم به إذ أن بقاء العثمانيين لمدة تجاوزت الثلاثة قرون لا شك وأنه نتج عنه العديد

من العمائر العسكرية والدينية والمدنية، ونحاول فيما يلي إعطاء صورة نظرية لما كانت عليه هذه الحمامات.

أما بالنسبة لعمارتها وهو ما نحن بصدد الكلام عنه هنا، فلدينا وصفين أحدها لكاثكارت الأمريكي الذي كان أسيرا في قصر الداوي والآخر لوليم سبنسر الذي قضى مدة في الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي، يقول كاثكارت أن حمام قصر الداوي يشبه الحمامات الموجودة بالمدينة إلا أنه أصغر حجما منها، والحمامات التركية مبنية على طراز واحد فنجد أولا غرفة صغيرة مؤثثة مخصصة لنزع الملابس، ثم غرفة أخرى دافئة يجلس فيها المستحم حتى يتصبب عرقا ومنها يدخل إلى الغرفة الساخنة أين ينظف جيدا ويدلك ثم يعود أدراجه إلى الغرفة الدافئة ثم إلى القاعة الأولى، وحمام الداوي مفروش بالمرمر ومزين بالأجر المستورد من جنوة، وتعلوه قبة فيها نوافذ صغيرة وثقوب تسمح بتسرب ضوء النهار والهواء ويضيف قائلا: «بأن جميع الحمامات في هذه الأيالة بل وفي جميع بلاد المغرب بنيت على أساس نفس القواعد والمبادئ وهي كلها مزخرفة بدرجات متفاوتة»⁽¹²⁾.

أما سبنسر فيقول: «كانت بناياتها واسعة ونظيفة مضاءة من السقف ومجهزة بالماء البارد والمسخن، يدخل المستحم فيدفع أجره بورقتين اثنتين، ثم يضع ثيابه في غرفة خارجية واسعة، ومنها يمر عاريا** إلى حجرة أخرى عريضة قد قسمت إلى مكعبات تتسع كل منها أشخاص يتراوح عددهم بين 10 و12 وفي كل مكعب يمر الماء المسخن عبر أنابيب البرونز المقامة على الحيطان والمعممة لسحابات البخار الساخن المعبأ بالرائحة الذكية، ... وبعد استراحته في هذه الوضعية الباعثة على النوم ولعدة دقائق يظهر اثنان من الهزيميتسز Hizmetcis (أي الخدم أو المدلكين) الأقوياء فيمططون في جنباته حتى تتطرق جميع مفاصله، ويقلبونه كالخبز الناعم، ثم يحكون على جسمه بقفازات لا ظفر لها فيخرجون أكثر من الرطل⁽¹⁵⁾، وبعد أن يتم كل هذا يعود المستحم إلى غرفة الملابس على الطريق الذي دخل منه، فيتناول كوبا من الشربت*** يمهده بها عون آخر، وبعد أن يبيخ عليه عون ثالث بماء الزهر يلبس ثيابه ثم يغادر المكان ودمه يسير في دورة غير عادية من الحيوية، ويحيط به شعور عام من النشاط يسري في كل جسمه المنبعث بحيوية جديدة ونشاط».

وبضيف قائلا: «ولقد كانت حمامات النساء تشبه حمامات الرجال، ولكن الإجراءات كانت أكثر طراوة والزبائن كان أمامهن وقت كثير ومناسبات أقل للتجمع مع الأصدقاء، فبعد أن تنجز السيدات مختلف مراحل البخار في الحمام ذاته يقوم الرجال الخدم****

الهزيميتسز Hizmetcis بغسلهم من الرأس إلى القدم مستعملين ماء الزهر ويبخون عليهم بالمسك والعطور الأخرى، وبعد هذا تصبغ حواجبهن ثم يلبسن ثيابهن التي تكون قد علقت من البداية في معالق تحتوي على أريج عود القمار المشتعل، وتنتظرهن في غرفة الملابس ليس فقط الشربت ولكن الفاكهة والجوز وحلويات أخرى تشمل الحلوة المفضلة لدى الأتراك (الحلقوم Lukum) ونوع من حلوة أصابع العروس كما تقوم المؤسسة أيضا بتهيئة جو موسيقي وتحضير فتيات للرقص وفي هذا الجو المبهج تقضي الجزائريات يوما من أيام الأسبوع⁽¹⁸⁾.

3 - حمامات تلمسان:

خلال جولتنا الميدانية وسؤالنا لبعض أهل تلمسان أخبرنا أن مركزهم الذي أقاموا به كان يقابل جامع سيدي اليدون وأن هذا المسجد كان مسجدهم، إلا أن محل إقامتهم الآن قد سُكن من طرف بعض التلمسانيين مما يصعب معه دراسة هذه المنطقة، أما عن وجود الحمامات التي نحن بصدد البحث فيها فلا توجد أصلا، وإنما يوجد بالقرب من هذه المنطقة إلى الجهة الجنوبية حمام قديم حسب محدثنا⁽¹⁹⁾، وقد توفي صاحب الحمام والحمام الآن محل نزاع بين الورثة وبعد اتصالنا بهم قيل لنا أنه أقدم من العثمانيين ومنعنا من الدخول إليه ودراسته، وألحنا في السؤال على محدثنا فقال بوجود حمام تركي وحيد في تلمسان يوجد بالقرب من مسجد الشرفاء، ولما ذهبنا إليه وجدنا بأن الدرب المؤدي إلى الحمام مقفل من الجهتين ومفتاح أحد مداخل الدرب عند صاحب حانوت، فما كان منه بعد الإلحاح الشديد إلا أن فتح لنا الباب وذكر بأن مجموعة من ذوي الهوى والنفوس الضعيفة اتخذوا هذا المكان مقرا للفساد والإفساد فغلق الدرب بسببهم، وأما الحمام الموجود به فهو مغلق الآن وهو أيضا محل نزاع بين الورثة، وأن مالك مفتاح الحمام لا يأتي إلا نادرا، وخلال المعاينة الميدانية ظهر لنا أن الحمام في حالة يرثى لها ذلك أن الفسحة التي تسبق المدخل بها قاذورات وماء راكد كأنه مكان تجمع مياه المراحيض، ثم إن صاحب الحانوت المذكور ذكر أنه رآه مرة من الداخل وقال أنه مهدم ومملوء بمثل هذه المياه وقد عششت فيه الجرذان حيث يخشى على الداخل إليه، غير أننا استطعنا أن نلاحظ أن النصف الأعلى من المدخل يحيط به من جانبيه وأعلى زليج عبارة شريط واحد باللون الأزرق الفاتح ومزخرف بزخارف نباتية، أما باب المدخل فهو من الخشب يظهر أنه حديث نسبيا.

4 - حمام سليمان: (أنظر المخطط)

وهناك حمام بعيد نوعا ما على المنطقة التي سكنها العثمانيون وهو يشبه حماماتهم التي وصفها بعض الرحالة الغربيين، يقع هذا الحمام بدرج سيدي حامد، ولا يزال يستعمل إلى الآن وهو مبنى قديم، أما مدخله فهو مسبوق برواق (سقيفة)، ثم نزل بدرجتين حيث نجد المدخل على اليسار (أنظر الصورتين رقم 1-2) وهو ببوابتين خشبيتين مزودة بدبابيس تملأ الوجهتين الخارجية والداخلية، ثم نفضي مباشرة إلى القاعة الباردة.

4 - 1 القاعة الباردة: (أنظر الصورة رقم 3) وهي قاعة مستطيلة نستطيع أن نقول أنها عبارة عن غرفتين، الأولى وهي التي تلي المدخل مباشرة وهي مربعة الشكل في وسطها نافورة ماء (أنظر الصورة 4) وحوضها مزين ببلاطات خزفية، وعلى يسارها بنيت عين-فسقية- بحوض صغير يصب فيه الماء من حنفية في الأعلى (أنظر الصورة 5)، والعين مزدانة ببلاطات خزفية مزخرفة تشبه في شكلها تلك العين التي تقابل مدخل قصر خداج العمياء بالعاصمة (متحف الفنون والتقاليد الشعبية حاليا) وغيرها من العيون التي وجدت في كثير من القصور العثمانية، وهذه الغرفة تعلوها قبة مزلعة ترتفع على أربعة أعمدة تعلوها عقود حدوية، وشُغل مكان ارتكاز القبة بحنايا ركنية تفصل بينها نوافذ مغلقة بالزجاج للإضاءة (أنظر الصورة 6)، أما الجزء الآخر من هذه القاعة فهو يقابل الداخل وأن أرضيته أعلى من مستوى أرضية الغرفة الأولى، وهو عبارة عن قاعة مستطيلة فصل وسطها بسورين فأصبحت على شكل ثلاثة غرف مستطيلة وهي مخصصة لنزع الملابس وقد وضع في مداخلها قضبان حديدية، وسُفّف هذا الجزء بأقبية نصف أسطوانية وشُغل الجزء السفلي لهذه القاعات ببلاطات خزفية منها ما هو قديم أصلي ومنها ما هو حديث (أنظر الصور 7-8-9)، ونجد على يسار المدخل الرئيسي مكان الشخص المكلف بالحمام (الحمامي)، أما أرضية هذه القاعة فهي مبلطة ببلاطات حديثة، وقد غُطي سقفها بمزيج من الأقبية نصف أسطوانية التي ذكرناها قبل قليل وأخرى متقاطعة والتي نجدها تكتنف القبة التي تتوسط هذه الحجرة، كما تجدر الإشارة إلى أن الجهة السفلية من جدران هذه الحجرة قد كُسيت بالزليج معظمه حديث، وفي هذه الجهة أيضا أي على يسار الداخل نجد باب يفضي إلى القاعة الدافئة ويقع يسار العين المذكورة أعلاه.

4 - 2 القاعة الدافئة: مستطيلة الشكل عرضها حوالي مترين ونصف أما طولها فحوالي ستة أمتار، وقد فُتح على يسار الداخل إليها مرحاضين متلاصقين كما كُسيت هذه الجهة من

الجدار بزليج يظهر أنه حديث(أنظر الصورتين10-11)، كما نجد على يمين الداخل حوض مائي يظهر أنه حديث، وقد فُصل جزء من هذه الحجرة -في الجهة المقابلة للمرحاضين- وهو على شكل حوض مائي وقد بُني جزء منه إلى ارتفاع يقارب السقف، وأرضية هذه الغرفة على شكل الغرفة السابقة قد بلُطت ببلاطات حديثة، أما تسقيفها فهو بقبو نصف أسطواني به فتحات للإضاءة، ومن هذه القاعة نلج إلى القاعة الساخنة عبر مدخل مفتوح في الحائط الأيسر وقد أُحدث فوق هذا المدخل فتحة على شكل مدخنة هرمية الشكل (كما هو موضح في الصورة10) وظيفتها إخراج البخار المنبعث من القاعة الساخنة إلى الخارج حتى لا يبقى في الغرفة الدافئة.

4 - 3 القاعة الساخنة: على شاكلة القاعة الدافئة إلا أنها أعرض منها فتبلغ حوالي خمسة أمتار، وقد فصلت هذه القاعة إلى ثلاثة أجزاء بواسطة أعمدة يظهر أنها أصلية تحمل عقوداً حدوية، بحيث نجد عمود في وسط القاعة في كل جهة وعمودين آخرين مدمجين في الحائط في كل جهة أيضاً(أنظر الصورتين12-13)، وقد أضيف إلى هذه القاعة غرفتين صغيرتين في أقصى الجهة اليسرى وأربعة قاعات في الجهة اليمنى، وهذه من خصائص الحمامات العثمانية لأن الحمامات القديمة لا نجد هذا العدد الكبير من الغرف، كما يمكن أيضاً أن نميز أحواض مائية منها ما هو مخصص للماء الساخن وهو الموجود قريباً من الركن الأيسر والذي يقابل الداخل إلى هذه القاعة، أما الحوض الخاص بالماء البارد فهو الذي نجده على يمين الداخل مباشرة، أما عن أرضية هذه القاعة فمعظمها ببلاطات حجرية يظهر من خلال شكلها أنها أصلية، أما التسقيف فهو بقبو نصف أسطواني وقد فتحت فيه فتحات مغلقة بالزجاج من أجل الإضاءة.

وأما ملحقات الحمام التي نجد من ضمنها الفرن ومكان وضع مواد إشعال النار وكذا خزان المياه، فنجدها في حمام سيدي سليمان على يسار المتجه إلى الحمام قبل السقيفة كما واضح في المخطط، ولها فضاء خاص.

بداية بالفرن فكما جرت العادة في كل الحمامات العتيقة فإننا نجد مستواه منخفض عن مستوى الحمام، ويكون ملاصقاً للغرفة الساخنة لأنه يمدّها بالحرارة التي تمر أسفل هذه القاعة عبر فتحات خصصت لهذا الغرض مسبقاً وفي جدرانها عبر قنوات التي بدورها تخرج الدخان عبر مداخن الحمام، كما أن موقع الفرن يسهل عملية إيصال الماء الحار إلى الغرفة الساخنة عن قرب دون الحاجة إلى عدد كبير من القنوات، ويزود الفرن بقدر من

النحاس (البرمة) التي يسخن فيها الماء ومن هذه الأخيرة يُصرف إلى الأحواض المخصصة للماء الساخن داخل الغرفة الساخنة.

ومن جهة أخرى نجد بجانب موقع الفرن (غرفة الحرق) فراغ واسع خصص لاستقبال المواد القابلة للاشتعال التي تستعمل في إذكاء النار كالحطب والقش وفضلات الحيوانات.

كما نجد أيضاً العنصر الحيوي والمهم في وجود الحمام وهو الماء، فقد اختلف تزويد الحمامات بالماء في القديم فنجد إما أحواض مائية أو آبار، أما في وقتنا الحالي وفقد استبدل هذا النظام بنظام توصيل الماء بالأنابيب.

يمكن اعتبار هذا الحمام نموذجاً للحمامات العثمانية بتلمسان لأن له تخطيطاً مشابهاً لها من حيث بعض العناصر المعمارية كنافورة الماء بوسط هذه الغرفة، بالإضافة إلى استعمال البلاطات الخزفية المتنوعة، دون أن ننسى العين (الفسقية) التي اختصت بها جل القصور العثمانية.

خاتمة:

وعلى كل حال فمجمّل القول أن الحمام الذي يجب دراسته هو ذلك الحمام الذي لا يزال محل نزاع بين أصحابه وهو الوحيد الذي يمكن من خلاله أن نعطي صورة سليمة وصادقة عن الحمامات العثمانية التي بناها العثمانيون بتلمسان، ولكن في غياب الأدلة التاريخية والشواهد الأثرية، فإن العمل في مثل هذه الظروف لا يسعف الباحث لأن يقوم بعمل تام، وعلى كل نأمل أن يأتي اليوم الذي نستطيع فيه دراسة هذا الحمام إذا ما سوي المشكل بين الورثة.



السقيفة

الصورتين 1-2:

ومدخل الحمام.



الصورة 4: النافورة بالغرفة الباردة.



الصورة 3: الغرفة الباردة.



الصورة 6: القبة بالغرفة الباردة.



الصورة 5: العين مع مدخل الغرفة الدافئة.



الصور 7-8-9: بلاطات
خزفية بالغرفة الباردة.



الصورتين 10-11:
الغرفة الدافئة.



الصورتين 12-13:
الغرفة الساكنة.



هوامش البحث:

- 1 - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، ص186-189؛ محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، ص229-230؛ كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510-1541م، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، ص102.
- 2 - ينظر عن هذه الحوادث عند: أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص189-192؛ محمد على الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1427هـ/2006م، ص236؛ محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص230-231؛ وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص34؛ عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية العصر الحديث، دار الفكر العربي-القاهرة، 1998م، ص67؛ كورين شوفاليه، مرجع سابق، ص36.
- 3 - أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص247-248؛ محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص229-230؛ علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص255.
- 4 - أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص321-329، 343، 371-376؛ محمد على الصلابي، مرجع سابق، ص270؛ محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص233-234؛ عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص68-69؛ ستانلي لين بول، الدول الإسلامية يبحث عن 181 دولة إسلامية مع إضافات بار تولد و خليل أدهم، نقله من التركية إلى العربية محمد صبيحي فرزات، أشرف على ترجمته وعلق عليه محمد أحمد دهمان، 1393هـ/1973م، ص104؛ صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع-الجزائر، 2005م، ص114.
- 5 - أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1855م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر، 1975م، ص51؛ محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص238.
- 6 - محمد بن عمرو الطمار، مرجع سابق، ص238 .
- 7 - وليم سبنسر، مرجع سابق، ص95.
- 8 - أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص14 .
- 9 - ينظر: فضيلة بو عمران، طرق علاج الأمراض في مخطوطات الطب العربي الأندلسي قراءة في كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" لأبي مروان ابن زهر الإيادي الإشبيلي، المخطوطات العلمية أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب

الأوسط (الجزائر)، 2007م، الصفحات(110-131)، ص120-121؛ بن عمر حمدادو، قراءة في رسالة مخطوطة في الطب "التداوي بالحمامات السخنة المعدنية، حمام الأنف المعروف بالديار التونسية نموذجاً" للشيخ محمد بن حسين بيرم التونسي (1130-1214هـ/1718-1800م)، المخطوطات العلمية أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)، 2007م، الصفحات(152-164)، ص157-158.

10 - وليم سبنسر، مرجع سابق، ص45 .

11 - DE HAEDO Diego, **TOPOGRAPHIE ET HISTOIRE GENERALE D'ALGER**, Traduit de l'espagnol par Monnereau et A.berbrugge, présentation de Jocelyne Dakhli, Editions Bouchene, 1998, p225 .

- وليم سبنسر، مرجع سابق ، ص44 .

12 - جمس ليندر كاثكارت، مذكرات أسير الداوي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها عن الإنجليزية وعلق عليها وقدم لها إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، 1982م، ص93-94.

* - هي فيما يظهر عملة ورقية.

** - ليس للمسلم أن يكون عاريا فلعله بإيزار كما هو الحال عند عامة المسلمين فذكره هنا على سبيل التخليب لما يرى عامة جسده عاريا.

15 - لعل هذا الكلام مبالغ فيه إلا إذا كان الذي دخل إلى الحمام من الجند الذين كانوا في جهاد وطال عليهم الزمان لدخول الحمام، وإلا فالمشاهدة تنفي ذلك خاصة إذا كان دخول الحمام مرة في الأسبوع.

*** - هو الشاي على ما يبدو.

**** - هذا الذي ذكره هنا غريب جدا وحتى لو كان هؤلاء الخدم مخصيين أو مخنثين فلم نسمع في الإسلام بمثل هذا، كما أن وصف الحمام يشك أنه خاص بالطبقة الراقية إذ كما قال بن خلدون يجب أن نقيس الشاهد بالغائب وليسوا بعبيدين عنا جدا في التاريخ، وحتى لو كان هذا الأمر خاص بالطبقة البرجوازية فلا يسمح الرجال لحريمهم أن يغسلهن الخدم اللهم إلا الخاديات.

18 - وليم سبنسر، مرجع سابق، ص95-96.

19 - الشيخ بن سنان شيخ كبير السن إمام مسجد سيدي اليدون بتمسان، المقابلة كانت في نوفمبر 2007م بالجامع الذي يدرس فيه.

حصن الكبريت (اللسي) العثماني بدمار اليمنية (1026هـ / 1616م) «دراسة أثرية معمارية»

د. مبروك محمد الذماري (قسم الآثار والمتاحف - جامعة ذمار - اليمن)

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة أثرية معمارية لأحد أنواع التراث المادي الثابت في محافظة ذمار باليمن، ويتمثل في حصن الكبريت (اللسي)، الذي أمر ببنائه الوالي العثماني محمد باشا عام (1026هـ / 1616م)، في الفترة الأخيرة من حكم العثمانيين الأول لليمن. واهتم البحث بتتبع الدور السياسي والحربي للحصن، ثم ركز على الوصف الأثري التفصيلي لجميع منشأته، من أجل إبراز المكونات المعمارية التي يتألف منها (السور، البوابة، الأبراج، ثكنات الجند، البركة)، في محاولة لتوثيقه قبل أن يندثر نهائياً. وإضافة إلى ذلك تمت عملية مقارنة الوحدات المعمارية للحصن مع حصون أخرى باليمن. وذلك للتعرف على أوجه الشبه والاختلاف في عمارة الاستحكامات الدفاعية اليمنية الإسلامية، بهدف الوصول إلى معرفة الاستراتيجية الدفاعية المتبعة في بناء الحصن، التي تعبر عن الفكر العسكري خلال القرن الحادي عشر الهجري في اليمن.

كلمات مفتاح: (حصن الكبريت (اللسي) - ذمار اليمنية - الاستراتيجية الدفاعية في القرن 11هـ / 17م) - التراث المعماري الثابت).

Abstract :

Ottomani Hessn El- Kabreet (Allesy) in Yemeni Dhamar (1026 A.H -1616 .D) an archaeological and architectural study

This paper presents an archaeological and architectural study for one of the immovable physical heritage in Yemeni Dhamar city, which is well known as Hessn El-kabreet (Allesy) and was erected by the order of Mohammed Basha in (1026H-1616 Ad) in the late period of the first ottomani era in Yemen.

This paper interests either to follow the political and military role of the

fortress, then focusing on the detailed archeological description for all its elements in order to clear the architectural components (enclosure wall, the gate, the Towers ,soldiers barracks ,and cistern) for documentation purposes before fully disappearing ,Beside a comparison study between Hessn El-kabreet architectural units and others Yemeni fortresses, aiming to determine the defensive strategy used in the construction process of that fortresses, which showing the military thought during the eleventh century (A.H) in Yemen.

Key words: (Hessn El-Kabreet (Allesy) - Yemeni Dhamar city –defensive strategy (11th A.H-17th A.D) - immovable architectural heritage).

المقدمة:

تبرز أهمية دراسة العمارة الدفاعية بشكل عام كونها تقدم لنا معلومات متعددة، ولعل أهمها التعرف على الاستراتيجية المتبعة في اختيار المواقع، وكذا التقنيات الإنشائية التي تم تنفيذها في البناء. كما أن الأشكال البنائية للوحدات الدفاعية في الاستحكامات الحربية ارتبطت بشكل وثيق بتطور الأسلحة والوسائل المستخدمة في الحروب من جهة، وتعكس مستوى الابداع الذي وصلت إليه فنون العمارة العسكرية المحلية من جهة أخرى.

وقد انتشرت ظاهرة تشييد الاستحكامات الدفاعية بشكل كبير خلال فترات تاريخ اليمن الإسلامي، ويرجع ذلك إلى كثرة الصراعات السياسية التي نتجت عنها الحروب المتكررة. ونجد أن معظم المدن أو المواقع الاستراتيجية أو قمم الجبال العالية في ربوع اليمن - ومحافظة ذمار¹ بالتحديد - ما تزال تضم حصناً دفاعياً أو قلعة.

ومما لا شك فيه أن المعالم العمرانية التراثية تمثل إنتاجاً معمارياً وفنياً صادقاً يعبر عن المراحل الحضارية التي مرت بها منطقة ما؛ وحصن الكبريت (اللّسي) أحد المآثر التي تجسد مرحلة تاريخية هامة مرّت بها منطقة ذمار خلال فترة الحكم العثماني، إذ أنه ما يزال يقاوم عوادي الزمن، برغم تعرض كثير من أجزائه للتهدم.

الموقع والتسمية: (لوحة : 1)

يقع حصن الكبريت (اللّسي) في أعلى قمة جبل اللسي الذي يبعد عن مدينة ذمار بحوالي

(13كم)². وتقع إحدائياته بين دائرتي عرض (N14 32.631) شمالاً، وخطي طول (E44 32.072) شرقاً، ويرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي (2834م)³. ويحد الحصن والجبل من الجهة الشرقية قاع مرام، ومن الجهة الغربية قاع الغرفة التابع لقرية اللسي يليه قرية ورقه، أما الجهة الشمالية قرية الجرشه العليا، ومن الجهة الجنوبية تقع قرية اللسي - بسفح الجبل نفسه - التي تتبع إدارياً مديرية ميفعة عنس بمحافظة ذمار.

سمى هذا الحصن بالكبريت نسبة إلى الجبل الذي تتوافر فيه مادة الكبريت بشكل كبير، وفي الوقت الراهن يطلق عليهما - أي الحصن والجبل - بـ (اللّسي)، بلام التعريف مع لام مكسورة وبقية الحروف كالأول⁴.

وقد ذُكر اللّسي في نقوش المسند اليمنية التي يرجع تاريخها إلى فترة ما قبل الإسلام بلفظ (أساي)⁵. ثم نجد تسميته بدون أُل التعريف عند لسان اليمن المؤرخ الهمداني (ت: بعد 350هـ) في كتابه الموسوعي صفة جزيرة العرب⁶، حيث سمّاه (أسي) بفتح الهمزة وكسر السين المهملة، وآخره ياء مثناة من تحت⁷. أما البكري (ت: 487هـ) فقال: «أسي بضم أوله وكسر ثانيه وتشديده بعده ياء مشددة...»⁸. بينما الرحالة ابن المجاور الذي كان في اليمن بين عامي (-619 625هـ) فقد أطلق على الجبل اسم (لشي)⁹.

ومن الجدير ذكره أن جبل اللسي (الكبريت) أحد الجبال البركانية الهامة التي تضم العديد من المعادن¹⁰، فبالإضافة إلى معدن الكبريت الذي كان يعد أحد أهم المصادر الرئيسية لتغطية حاجة بلاد اليمن من هذه المادة المستخدمة في إعداد ذخيرة الأسلحة الحربية¹¹، يوجد فيه بعض الخامات الفلزية أيضاً كالرصاص والزنك والفضة، واللافلزية كالشِب¹²، وكذلك معدني الفحم والمغنسيوم¹³.

كما تنتشر الحمامات الطبيعية في بعض جوانب الجبل، وهي عبارة عن كهوف واسعة¹⁴، يقصدها الزائرين للاستحمام بمياهها والتعرض لأبخرتها المتصاعدة، التي تحتوي على عناصر معدنية وكبريتية للاستشفاء من الأمراض الجلدية والروماتيزم وتنشيط الدورة الدموية وغيرها¹⁵. وقد استخدمت الحمامات المذكورة للغرض نفسه منذ القدم حتى الوقت الراهن، إذ يخبرنا المؤرخ الهمداني (ق 4هـ) عنها بقوله: «أسي ما بين إسبيل وذمار، أكمة سوداء تسمى حَمَّة، بها جرف يسمى حمام سليمان، والناس يستشفون به من الأوصاب والجرب وغير ذلك»¹⁶.



لوحه (1) صورة جوية لحصن الكبريت (اللسي) بدمار - باستخدام برنامج Google earth

تاريخ الحصن: (المنشئ، تاريخ الإنشاء وسببه، الأحداث التاريخية المتعلقة بالحصن)

يعد المؤرخ عيسى بن لطف الله¹⁷ الوحيد من بين المؤرخين اليمنيين والعثمانيين المعاصرين لفترة الحكم العثماني الأول في اليمن (-1038 945هـ/ -1635 1538م)، الذي تحدث بشيء من التفصيل عن إنشاء حصن الكبريت (اللسي)، على الرغم من ذكر المؤرخين مطهر الجرموزي¹⁸ وعامر بن الرشيد¹⁹ بعض المعلومات التاريخية عن الحصن، وخاصة عن سبب بناءه²⁰. ويرجع السبب في ذلك إلى أن المؤرخ عيسى كان مجالساً للوالي العثماني محمد باشا²² (1025-1031هـ/1616-1622م)، الذي أنشاء هذا الحصن بعد عام واحد من تقلده ولاية اليمن²³. ويذكر لنا المؤرخ عيسى بن لطف الله أثناء تسجيله لأحداث عام (1026هـ/1617م) أن الوالي العثماني المذكور «وصل إلى ذمار وحط في تلك الديار، ثم ركب منها لطيافة جبل الكبريت، وهو قرب بلاد قد جمعت كل شيطان وعفريت، فاقتضى نظره الصائب، ورأيه المنزه عن المعائب، أن يجعل على ذلك حصناً حصيناً، وسوراً رصيناً يمنع منه يد المختطف، ويصد عن أخذه تناول المخرب المنحرف»²⁴.

من خلال النص التاريخي السابق يتبين أن الوزير محمد باشا أدرك مدى الأهمية

الاستراتيجية لموقع جبل الكبريت، فقرر إنشاء حصن على قمته، لكي يمنع عناصر المقاومة اليمنية من الاستيلاء على الجبل.

كما أن السبب الرئيسي لإنشاء الحصن هو منع أصحاب الامام القاسم بن محمد²⁵ من استخراج مادة الكبريت، التي كانت تمثل المادة الرئيسية في صناعة البارود المستخدم في ذخيرة البنادق²⁶. وهذا ما بينه لنا المؤرخين الثلاثة: عيسى بن لطف الله، ومُطهر الجرموزي، وابن الرشيد، ولكن المؤرخ الأول أفادنا بمعلومات هامة عن معدن الكبريت، وإنفاق الوزير محمد باشا الأموال الكثيرة لبناء الحصن، وللحامية العسكرية التي رابطت فيه.

ونقتبس بعض مما ذكره المؤرخ عيسى عن الوزير محمد باشا النص الآتي: «وكان هذا الرأي [أي إنشاء الحصن]²⁷ رأياً لم يراه أحداً من الباشات [الباشوات]²⁸، ولا أهتدى إليه شخص من أرباب الولايات، وعلم حفظة الله تعالى أن تركه بغير حافظ وراتب، وحارس وراقب، من أقوى الأسباب في تقوية الخصم بتربته التي تملا التراب نفوساً، وتضرم بمعدنها ناراً وحرماً وعبوساً.... فصار بعد ذلك الكبريت الأصفر في عزه الكبريت الأحمر، وعُدَّت قيمته كقيمة الأكسير، لا يؤخذ منه إلا النزر الحقيق، وبلغ الرطل من البار [ود]²⁹ قرب الدينار، وأنفق في عمرانه الأموال، وأجزل العطاء والنوال، ونقل إليه الحفظة والحماة، والكيالين لحماءه، وقرر لهم السبار الكافي، وعين لمعاشهم الكيل الوافي»³⁰.

أما المؤرخ الجرموزي فقال: «سارع محمد باشا كذلك إلى وضع قيود على تداول مادة الكبريت في منطقة جبل الكبريت - الواقعة إلى الشرق من مدينة ذمار- والتي تصنع منها مادة البارود، المادة الرئيسية للذخيرة الحربية، وذلك لمنع تداولها بين الناس خاصة المواليين للإمامة الذين أصبحوا متمرسين في صناعة مادة البارود لاستخدامها خلال معاركهم ضد الجانب العثماني، ولشدة حرصه على عدم تداولها فقد أمر ببناء حصن حصين وسور رصين حول المنطقة - الأنفة الذكر- وجعل لها حراسة عثمانية مشددة»³¹.

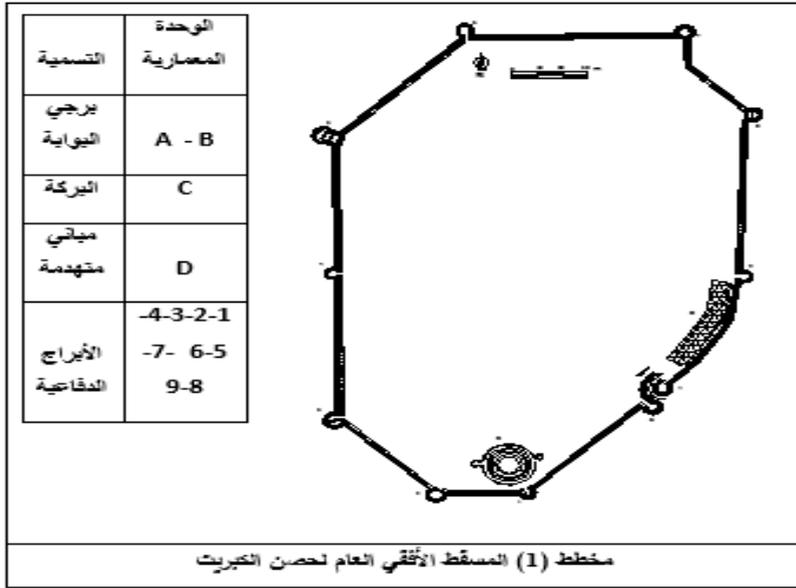
لقد استمرت سيطرة العثمانيين على جبل الكبريت (اللسي) منذ إنشائه عام (1026هـ/ 1616م) حتى حدث الخلاف بين الوالي العثماني حيدر باشا (1033-1038هـ/ 1624-1629م)³² والأمير سنبل بن عبد الله³³ والي ذمار، مما جعل هذا الأخير يرأس الحسن بن القاسم بن محمد³⁴ ويُعلن عن رغبتة في الانضمام إلى الإمام المؤيد محمد³⁵ (-1029 1054هـ/ -1620 1644م)؛ فأصدر هذا الأخير قرار تعيينه على ولاية ذمار ووصاب، وبانضمام الأمير سنبل

لمعسكر الإمام انضمت تباعاً الفرق العسكرية التابعة له في قلعة ذمار³⁶ وجبل الكبريت وفي رداع ووصاب إلى جانب القوات الإمامية³⁷. بعد سيطرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم على حصن الكبريت، لم تعد تذكر لنا المصادر والمراجع التاريخية أحداثاً تتعلق بهذا الحصن، سياسية كانت أم حربية. ولكن يبدو أن الحصن ظل تحت سيطرة أئمة آل القاسم الزيديين (-1265 1046هـ / -1336 1872م)، ومن المحتمل أن العثمانيين استطاعوا السيطرة عليه مرة أخرى أثناء فترة حكمهم الثانية لليمن (-1265 1337هـ / -1872 1918م). أما عن المرحلة الأخيرة من استخدام الحصن وتواجد حامية عسكرية فيه، فلم تتمكن من الحصول على معلومات تفيد بذلك. وبالنسبة لآخر استخدام لمناجم الكبريت التي يضمها جبل اللسي، فيتردد عند الساكنة أن اليهود من أبناء القرية كانوا متخصصين في استخراج هذه المادة، ويصنعون منها البارود حتى وقت قريب³⁸. وقد تعرض الحصن للتهدم والتخريب في بعض أجزائه، بسبب حدوث الهزة الأرضية (زلازل) التي ضربت محافظة ذمار في يوم الثالث عشر من شهر ديسمبر عام 1982م³⁹، وتعد هذه الظاهرة الطبيعية آخر حدث تاريخي يؤرخ للحصن.

الدراسة الوصفية والتحليلية لمنشآت للحصن

أولاً: المخطط المعماري العام : (لوحة:1، ومخطط: 1)

تتوافق إشارة المؤرخ عيسى بن لطف الله عن الشكل الهندسي العام للحصن والمخطط الأفقي له، حينما قال: «لما كملت فيه العمارة وتمت في دائرة الاستدارة»⁴⁰. وفي حقيقة الأمر وزيادة للتوضيح يتخذ حصن الكبريت شكلاً مضلعاً شبه بيضاوي، بواسطة سور حجري، يتألف من عدة أضلاع تتخللها أبراجاً دفاعية، وبوابة ضخمة تقع في الجهة الجنوبية الشرقية. ويضم الحصن أيضاً منشآت متهدمة - في الوقت الراهن - تقع في الجهة الجنوبية الشرقية منه، وبركة لحفظ المياه في الجهة الجنوبية بالقرب من جدار السور.



ثانياً: مواد البناء وأسلوبه:

استخدم في بناء هذا الحصن أحجار البازلت ذات اللون الأصفر والأسود، التي تم استخراجها من جبل اللسي (الكبريت) نفسه، وهي ذات أحجام وأشكال مختلفة. وقد بين لنا ذلك مؤرخنا عيسى بن لطف الله عندما قال أن الوالي محمد باشا «جمع إليه العُمار، وأهل الصناعات تنحت في الصخور، وتقطع الأحجار»⁴¹. وقد استخدم معلمي البناء عجينة الطين التي تتألف من التربة الكبريتية الناعمة، ذات اللون الأصفر المائل إلى الحمرة كمادة رابطة بين الحجارة.

كما استخدمت مادة القضاض - التي تتألف من مادة الجير وكسرات الحجارة (الحصي)، والرمل (النيس)، والماء - كمادة لاصقة كسيت بها جدران بركة الحصن والحجارة المقفأة، وهذه المادة تعمل على منع تسرب المياه إلى الأسفل⁴².

أما أسلوب البناء الذي استخدم في عملية البناء فيعرف بالظاهرة والبطانة. ويقصد بالظاهرة الوجه الخارجي للجدار، الذي كان المعمارون يحرصون على الاعتناء به في غالب الأحيان لأنه يعتبر الجزء المرئي في البناء، وبحسب مقاومة الحجر لعملية التشذيب، بعكس البطانة التي تمثل الوجه الداخلي للجدار⁴³. ويتم ملئ الفراغ في المنطقة الداخلية من الجدار

- بين أحجار الظهارة والبطانة - بالحجارة الصغيرة المخلوطة بعجينة الطين.

ثالثاً: الوحدات المعمارية والدفاعية في الحصن

أ - البوابة Gate Way: (جدول: 1، لوحة: 2، مخطط: 2)

تشكل البوابة المدخل الوحيد في هذا الحصن، وهي تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الجبل نفسه، وثمة طريق وحيد للصعود إلى أعلى الحصن، مرصوف بالحجارة على هيئة درج صاعد ملتف لا يتجاوز عرضه 2م.

وتتألف البوابة من برجين⁴⁴ دفاعيان يتخذان الشكل الدائري، الجنوبي الغربي (1) يتقدم الجنوبي الشرقي (2)، وهما في حالة معمارية سيئة وخاصة البرج (1). ويلي البرجان نطاق مكشوف عرضه (3.10م) يمتد بشكل قوس بمسافة (14.5م)، الهدف منه عرقلة المهاجمين في حالة محاولتهم اقتحام الحصن من جهة البوابة. ويبدأ جدار النطاق - الذي يبلغ سمكه (80سم) - ملاصقاً لجدار البرج (1) من الجهة الشمالية وينتهي في الجهة الشرقية في موازاة مع البرج (2)، وقد صنف هذا النوع من البوابات بالمروروبة⁴⁵. ويشتمل برجا البوابة وكذا جدار النطاق المذكور على عدد من فتحات الرماية⁴⁶ - مزاعل - ضيقة من الخارج ذات أشكال مثلثة، طول قاعدة الواحد منها نحو (15سم)، أما من الداخل فهي واسعة على هيئة تجاويف معقودة تضيق كلما اتجهت نحو الخارج، يبلغ ارتفاع الواحدة منها نحو (1.20م) وعرضها (1م) وبعمق (90سم)، وفيما يلي جدول يبين القياسات الهندسية لبرجي البوابة.

الارتفاع من الخارج	اتساع فتحة المدخل	فتحات الرماية المتبقية	سمك الجدار		الارتفاع المتبقي من الداخل		القطر	المحيط	البرج
			الداخلي	الخارجي	الطابق الأول	الطابق الأرضي			
6م	1.6م	4	60سم	1.1م	3.4م	1م	4.5م	15.9م	الجنوبي الشرقي (1)
5م	2.5م	2	1.6م	60سم	2.8م	2م	3.9م	19.8م	الجنوبي الغربي (2)

جدول (1) البيانات الهندسية لبرجي البوابة

	
<p>مخطط (2) المسقط الأفقي لبوابة الحصن - البرجين الدفاعيين</p>	<p>لوحة (2) بوابة الحصن - البرجين الدفاعيين</p>

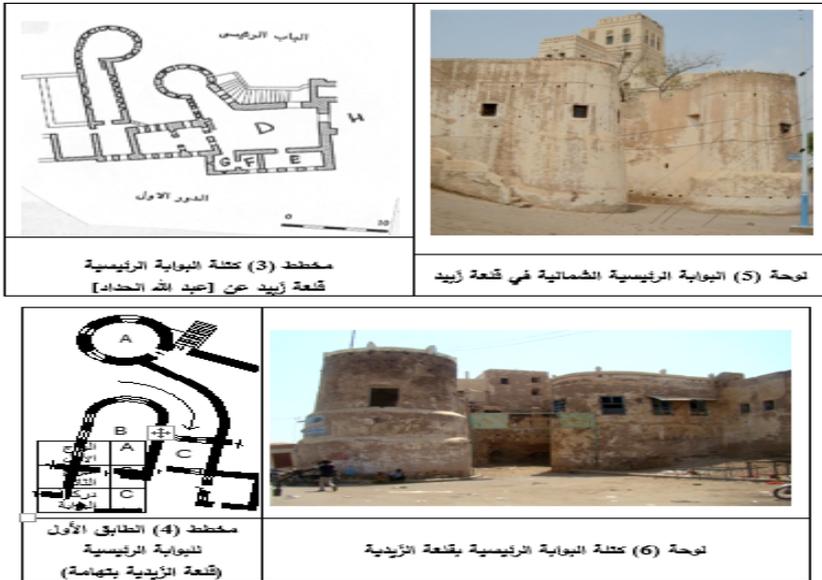
	
<p>لوحة (4) فتحات الرماية في برج البوابة</p>	<p>لوحة (3) النطاق المكشوف للبوابة</p>

شكّلت البوابة الرئيسية في حصن الكبريت (اللسي) بتخطيطها الموروب منطقة محصنة ليس لحماية المدخل فحسب بل لتحصين وحماية الواجهة الجنوبية الشرقية للحصن، خاصة وأنها تتجه نحو قرية اللسي التي تقع أسفلها. وقد ظهر هذا النوع من البوابات في اليمن منذ العصر الأيوبي؛ ففي مدينة صنعاء كان باب ستران وباب اليمن القديم من النوع الموروب، ويرجع تاريخ بنائهما إلى عهد طغتكين الأيوبي فيما بين (-589 593هـ / 1193-1197م)، واستمر هذا النوع من البوابات إلى ما بعد العصر الأيوبي كأبواب مدينة صعدة: اليمن، ونجران، وجعران،

والمقصورة، والتي بناها الإمام شرف الدين عام (920هـ/1514م)⁴⁷. كما يوجد في منطقة تهامة ثلاثة نماذج باقية من البوابات الموروبة: الأول والثاني في مدينة زَيد، حيث ما زال باب الشَّبارق والباب الرئيسي لقلعة زَيد ماثلين للعيان⁴⁸ (لوحة:5، مخطط:3)، أما النموذج الثالث فهو بوابة قلعة مدينة الزيدية (1217هـ/1802م)⁴⁹، (لوحة:6، مخطط:4).

ولم يقتصر وجود البوابات الموروبة في المدن الرئيسية في اليمن، بل وجدت العديد منها في مدن وقرى المرتفعات الجبلية، ومنها أبواب سور مدينة تُلا: الهادي، والمحاميت (المياح) (لوحة:7)، والتي بناها الإمام شرف الدين فيما بين (-912 965هـ/ -1506 1558م)⁵⁰. وبالإضافة إلى ذلك يوجد بوابات موروبة أيضاً ترجع إلى فترة تاريخية متأخرة، وتقع في بعض القرى الإسلامية المحصنة بمحافظة ذَمَار، ومنها: المدخل الشمالي لقرية ذي سَحْر، والمدخل الشمالي لقرية عَيْشان (لوحة:8).

ومقارنة تخطيط البوابة الموروبة في حصن الكبريت (اللسي) مع البوابات الموروبة المذكورة لوحظ بأنه يشابهها جميعاً من حيث التخطيط العام، ولكن لوحظ عدم وجود سقيفة المدخل الذي ينتهي عندها النطاق المكشوف، وربما كانت موجودة في أصل البناء، لكن أكوام الحجارة المتراكمة في حجر المدخل كثيرة جداً، مما يصعب علينا الجزم بوجود هذه الوحدة المعمارية.





لوحة (8) البوابة الشمالية لقرية عيشان المحصنة

لوحة (7) البوابة الجنوبية الشرقية في سور مدينة ثلا

ب - السور Enclosure: (لوحة:-9 10، مخطط:1، جدول: 2)

يمثل السور عنصر رئيسي في الحصن، حيث يتخذ مسقطه الأفقي شكلاً مضلعاً، يحيط بقمة جبل اللسي وفوهته البركانية، ويبلغ متوسط ارتفاعه (6م)، وسمكه (2.40م). وجداره يتألف من إحدى عشر ضلع، يتخلله إحدى عشر برج دفاعي اثنان منها تكتنف بوابة الحصن، وتسعة تتوزع على مسافات مختلفة بين أجزاء السور، وفي الجدول التالي البيانات الهندسية لأجزاء جدار السور.

عدد فتحات الرماية	أقصى ارتفاع		سُمك الجدار		امتداده	موقعه بين الأبراج الدفاعية	رقم الجدار
	من الخارج	من الداخل	الساند (الممشى)	الخارجي			
18م	6م	5م	1.4م	70سم	60.5م	بين برج الغربي للبوابة و برج 1	1
6	6م	4.8م	1.6م	70سم	29.5م	بين البرجين 1 و 2	2
10	6م	4.8م	1.5م	60سم	51.5م	بين البرجين 2 و 3	3
13	6م	4م	1.6م	85سم	74.7م	بين البرجين 3 و 4	4
10	6م	4م	1.6م	85سم	64.2م	بين البرجين 4 و 5	5
17	6م	4م	1.2م	75سم	72.5م	بين البرجين 5 و 6	6
17	6م	4م	1.7م	75سم	86م	بين البرجين 6 و 7	7
5	5.2م	4م	1.6م	60سم	14.75م	بين البرجين 7 و 8	8

8	م5.2	م4	م1.6	سم60	م33.8	بين البرجين 7 و8	9
متهدمة	م6	م4	م1.5	سم70	م80	بين البرجين 8 و9	10
متهدمة	م6	م4	م1.2	سم70	م63	بين البرج 9 وبرج البوابة الشرقي	11
جدول (2) البيانات الهندسية لأجزاء السور							



كما أن هناك ثلاثة عناصر معمارية دفاعية تعتبر جزءاً رئيسياً في السور هي: الجدار الساتر (قمة جدار سور)، والممشى (طريق عبور وتنقل الجند)، والمزاغل (فتحات الرماية)، نوضحها كالتالي:

أولاً: الجدار الساتر: Screen Wall (لوحة: 11، شكل: 5)

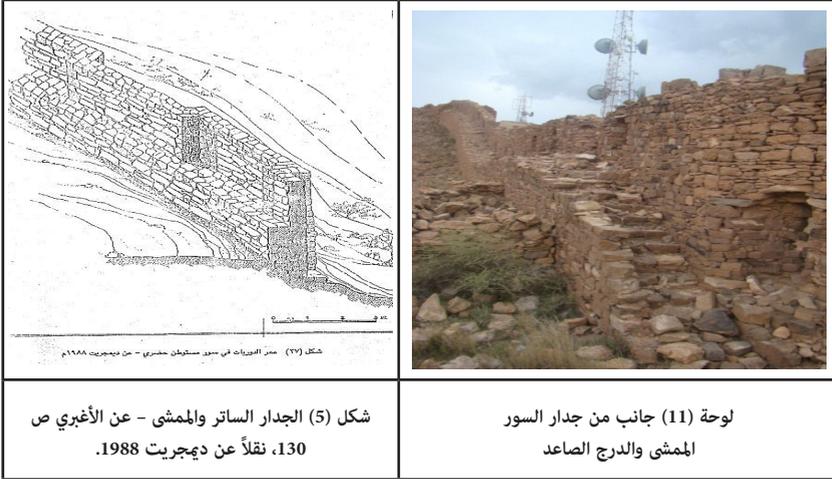
الجدار الساتر عبارة عن حائط يعلو الواجهة الخارجية لجدار سور الحصن، يبلغ متوسط ارتفاعه نحو (2م)، الهدف منه حماية الجند أثناء تنقلهم في الممشى بين أجزاء السور، حيث يتخلله العديد من فتحات الرماية (المزاغل). وقد استخدم الجدار الساتر في العمارة اليمنية قبل الإسلام، وعرف في نقوش المسند باسم (معدار) ويعني جزءاً من جدار أو حاجز مبني بالحجارة⁵¹، أما في العمارة الدفاعية باليمن أيضاً في الفترة الإسلامية فهناك العديد من الأمثلة منها: أسوار صنعاء وزبيد وصعدة وتعز وقلعة القاهرة بحجة وقلعة رداع⁵².

ثانياً: الممشى Dromos (لوحة: 11-12)

عبارة عن طريق يستطيع بواسطتها المدافعون الحركة والتنقل بكل حرية بين أجزاء السور والأبراج الدفاعية، وفي الوقت نفسه يمثل الممشى جدار داخلي ساند للجدار الرئيسي في سور الحصن، حيث يبلغ متوسط سمكه نحو (1.5م)، وارتفاعه نحو (3م).

لقد ظهر هذا العنصر المعماري في أسوار المدن اليمنية قبل الإسلام⁵³ (شكل: 5)، ثم استمر

خلال الفترة الإسلامية فنجد أمثلة كثيرة له، وخاصة في الحصون والقلاع التي انشئت في المنطقة الجبلية، ومنها: قلعة رداع (لوحة:13)، وقلعة القاهرة بتعز، وقلعة سمارة، بينما نجد قلة استخدمته في تحصينات منطقة سهل تهامة، إذ إن عملية تنقل الجند في الطوابق العليا كانت تتم من فوق أسطح الوحدات المعمارية، وكانت أغلب أجزاء السور الدفاعي للقلاع تمثل واجهات خارجية للوحدات المعمارية⁵⁴.

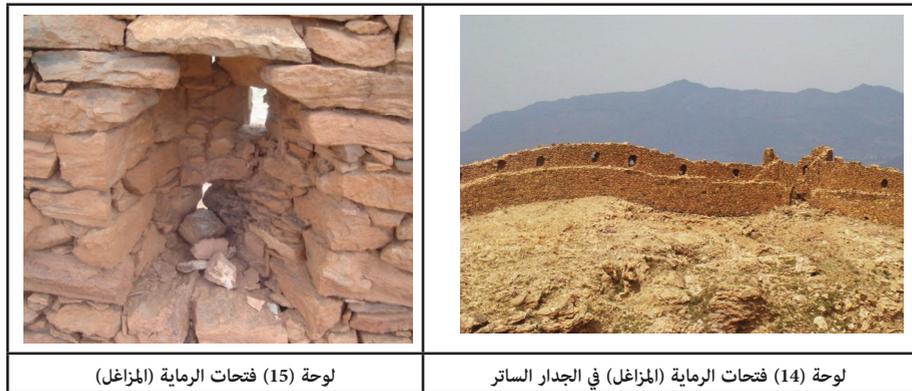


ثالثاً: المزاعل (فتحات الرماية) Arrow-pit (لوحة: 14- 15)

المزاعل من الناحية المعمارية عبارة عن فتحات ضيقة لرمي السهام أو رصاص البنادق وغيرها من المقذوفات على المهاجمين، وهي تتوزع في الجدار الساتر بسور حصن الكبريت

(اللسي) على مسافات مختلفة، وقد بلغ عدد المتبقي منها نحو (105مزغل). أما الشكل الهندسي للمزغل فهو عبارة عن تجويف في الجدار تتخذ واجهته عقد متسع، يبلغ متوسط ارتفاعه نحو (1م)، وعرضه (90سم)، وعمقه (50سم)، في حين مسقطه الأفقي على هيئة مثلث قاعدته للداخل، وبالتالي فإن هذا التجويف مسلوب تتخلل نهايته إما فتحة أو فتحتين للرماية، الواحدة منها ذات شكل مثلث قائم، عرض قاعدته نحو (10سم)، وارتفاعه (15سم).

ظهر هذا العنصر الدفاعي في أسوار المدن اليمينية قبل الاسلام، ومن المحتمل أن لفظ صوبت في نقوش المسند ربما تعني المزغل أو بناء له علاقة بسور مدينة⁵⁵. ليس ذلك فحسب إنما وجد المزغل أيضاً في العمارة المدنية باليمن وخاصة في الطوابق العليا من منازل القرى الجبلية المحصنة، ويدل ذلك إلى أن هناك نظام حربي متوارث، تحكمت فيه الظروف السياسية غير المستقرة⁵⁶. كما وجدت أقدم نماذج للمزغل في عمائر ما قبل الاسلام في كل من سوريا والعراق وإيران، ثم انتقل إلى العمارة الاسلامية⁵⁷، فنجد أمثلة عديدة له ومن أبرزها في قصر الحير الغربي (110هـ/728م) في بادية الشام⁵⁸، وقصر الأخيضر (161هـ/778م) بالقرب من مدينة الكوفة⁵⁹، وسور مدينة سوسة بتونس (254هـ/829م)⁶⁰. ويمكن الجزم هنا أنها لا تكاد تخلوا منشأة أو استحكام دفاعي من وجود هذا العنصر المهم في العمارة الحربية.



ج - أبراج المراقبة Tower Watch : (لوحات: 16- 17- 18 - 19 - 20، جدول: 3)

الأبراج الدفاعية عنصر رئيسي ومهم في العمارة الحربية، فبواسطها يستطيع الجند حراسة المنطقة التي تطل عليها من خلال تناوبهم فيها. وتعتبر جزءاً لا يتجزأ من مكونات سور الحصن، وقد فضلنا وضع عنوان خاص بها من أجل تفصيل المكونات المعمارية لها وكذا عناصرها الدفاعية.

يبلغ عدد أبراج حصن اللسي (11) برج، منها (2) يؤلفان بوابة الحصن وقد تم الحديث عنهما، و(9) أبراج تتوزع على طول امتداد السور البيضاء. وجميع الأبراج الدفاعية ذات مسقط أفقي مستدير يختلف شكل استدارتها من برج إلى آخر، ومع ذلك فغالبيتها مؤلف من ثلاثة أرباع الدائرة. وهي تتخذ الشكل الأسطواني القائم، حيث تبرز عن سمت جدار السور بثلاثة أرباع منها، كما تختلف في قياساتها وأبعادها من برج إلى آخر، ونبين ذلك في الجدول الآتي:

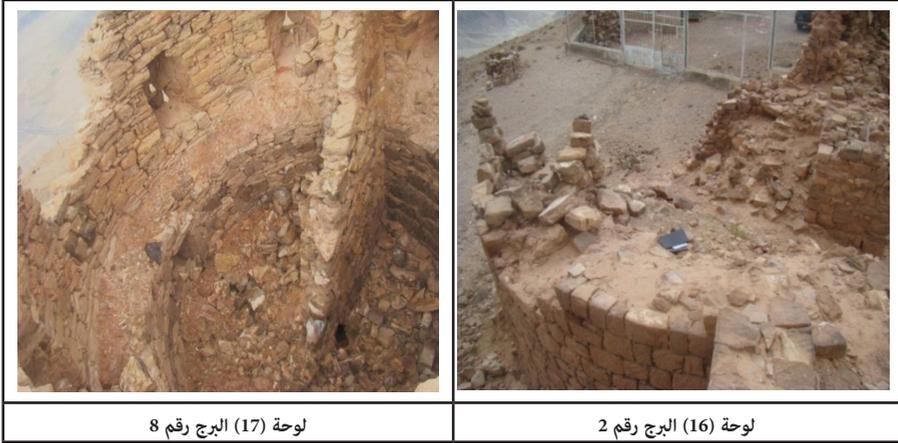
رقم البرج	المحيط	القطر	الارتفاع المتبقي من الداخل		سمك الجدار		عدد فتحات الرمية	فتحة المدخل (الأرضي)	الارتفاع من الخارج
			الطابق الأرضي	الطابق الأول	الخارجي	الداخلي			
1	14.2م	2.6م	2.5م	2م	90سم	1م	#	2.6م	6م
2	18.9م	5م	1.6م	2م	70سم	70سم	#	1.1م	6م
3	21.5م	5.45م	2.8م	2م	70سم	70سم	2	3.1م	6.7م
4	11.6م	3م	1.8م	3م	60سم	70سم	3	1.7م	6م
5	23.3م	3.4م	1.8م	2م	80سم	1م	3	1.8م	4م
6	16.7م	3.4م	2م	3م	80سم	80سم	5	4.8م	6.8م
7	17.3م	3.8م	1.8م	3م	70سم	80سم	3	90سم	6م
8	19.5م	4م	2م	3م	80سم	90م	6	1م (الأول)	6.8م
9	18.8م	3.9م	#	1م	70سم	80سم	3	4.8م	4م

جدول (3) البيانات الهندسية للأبراج الدفاعية

إن جميع أبراج المراقبة تتألف من طابقين: أرضي وعلوي، وقد لوحظ أن الأبراج الواسعة تضم بداخلها في الطابق الأرضي جدار أو جدارين يمتدان بشكل موازي مع جدار البرج، الهدف الانشائي منها هو وضع العوارض الخشبية الحاملة للسقف فوقها، وكذا تخفيف الثقل على الجدار الخارجي للبرج من أجل أن لا يتعرض للانهار. وللأسف الشديد تعرضت جميع سقوف الطوابق الأرضية للتهدم، مما يصعب وصف أسلوب التسقيف المتبع في الطوابق الأرضية للأبراج، أما الطوابق العلوية فمن المؤكد أنها كانت مكشوفة أي بدون سقف (مخطط: من 5 - إلى 13).

وبالرغم من تعرض الأجزاء العلوية والجدران الداخلية في الأبراج للتهدم، إلا أنها ما

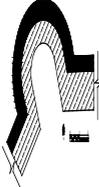
تزال تضم عناصر دفاعية واضحة المعالم، وتتمثل في فتحات الرماية (مزاغل) ذات التجايف المعقودة أو التي تم تسقيفها بعتب حجري، حيث تختلف في عددها من برج إلى آخر. أما أشكالها فتشبه نظيراتها في جدار سور الحصن نفسه. كما تضم جدران الأبراج أيضا من الداخل دخلات مصمته، ربما كانت تستخدم لوضع حاجيات الجند المناوبين على الحراسة.



	
<p>مخطط (5) مسقط أفقي - البرج رقم 1</p>	<p>لوحة (20) البرج رقم 8 وجزء من السور من الخارج</p>

	
<p>مخطط (7) مسقط أفقي - البرج رقم 3</p>	<p>مخطط (6) مسقط أفقي - البرج رقم 2</p>

	
<p>مخطط (9) مسقط أفقي - البرج رقم 5</p>	<p>مخطط (8) مسقط أفقي - البرج رقم 4</p>

	
<p>مخطط (11) مسقط أفقي - البرج رقم 7</p>	<p>مخطط (10) مسقط أفقي - البرج رقم 6</p>
	
<p>مخطط (13) مسقط أفقي - البرج رقم 9</p>	<p>مخطط (12) مسقط أفقي - البرج رقم 8</p>

د - الوحدات المعمارية: (لوحات: -21 22)

تقع الوحدات المعمارية في الجهة الشرقية من الحصن، وتلتصق بالجدار الشرقي من السور، والمساحة التي تشغلها بين البرج الشرقي للبوابة والبرج (9). وللأسف الشديد جميع هذه الوحدات متهدمة، عدا حجرة صغيرة مقبأة؛ فالموقع بكامله عبارة عن أكوام من الحجارة المختلطة بالتربة، وبالتالي لم نستطع تمييز الأشكال البنائية وكذا الدور الوظيفي التي

كانت تقوم به. ومن البديهي أنها كانت تضم ثكنات (حجرات) لسكن الجند المرابطين في الحصن، إضافة إلى الملحقات المعيشية كأماكن إعداد الطعام ودورات المياه، ومخازن حفظ الحبوب.



والحجرة المقببة المذكورة تقع بجانب البرج (9)، وهي ذات شكل مستطيل، تبلغ أبعادها (3.5م × 2م)، ولا يوجد بها أية فتحات عدا مدخل واسع ذات عقد مدبب يقع في ظلها الغربي. ويغطي هذه الحجرة قبو نصف اسطواني، كما استخدمت مادة القضاض في كساء جدرانها من الداخل، وكذا السطح العلوي من سقفها.

والحجرة المذكورة هي الوحيدة التي ما تزال تضم سقف (مقبى) من بين جميع المنشآت الباقية في الحصن. ويبدو أن أسلوب التغطية بنظام الأقبية وفد إلى اليمن مع مجيئ الأيوبيين إليها عام (569هـ/ 1173م)، حيث استخدم في بعض المنشآت الدينية وخاصة المدارس، ثم استمر استخدامه بكثرة في مدارس العصر الرسولي (626 - 858هـ/ 1229 - 1454م) وكذلك العصر الطاهري (858 - 923هـ/ 1454 - 1517م)⁶¹.

أما في المنشآت الحربية الإسلامية في اليمن فيوجد لدينا أمثلة كثيرة تشبه حجرة حصن الكبريت من حيث صغر حجمها، وعدم وجود فتحات في جدرانها، وكذا أسلوب تغطيتها؛ فالمثال الأول هو حجرات تخزين السلاح في قلعة مدينة زَبِيد التهامية، بالرغم من عودة تاريخ هذه الأخيرة - حسب الباحث عبد الله الحداد - إلى فترة الوجود المملوكي (923 - 945هـ/ 1517 - 1539م)⁶². والمثال الثاني حجرة تخزين السلاح في قلعة الزَيْلعي (-1265

1337هـ/ -1849 1918م) بمدينة اللحية⁶³ (لوحة: 23)، أما المثال الثالث ففي قلعة القاهرة المطلة على مدينة تَعَز⁶⁴ (لوحة: 24)، كما وجد أسلوب التسقيف المذكور أيضاً في تحصينات مدينة عدن، ومنها في سقوف غرف التخزين الموجودة في كل من حصن الخضراء، وحصن حَقَّات، والحصن الموجود شرق باب عدن البري⁶⁵.

ومما سبق يرجح أن الحجرة المذكورة في حصن اللسي كانت تمثل مكاناً لخبز المعدات والذخيرة الحربية أو لحفظ الطعام.



لوحة (24) الحجرة الأرضية المقبأة في قلعة القاهرة بتعز

لوحة (23) حجرة التخزين بقلعة الزيلعي باللحية

هـ - البركة (Tank (cistern): (لوحة: 25)

تقع البركة في الجهة الجنوبية من الحصن بالقرب من السور، وهي عبارة عن خزان تجميعي للمياه التي تنحدر إليها أثناء موسم الأمطار. وقد تم حفرها في باطن الأرض حيث تتخذ الشكل الدائري، ومسقطها الأفقي على هيئة ست حلقات تصغر كلما اتجهت إلى الأسفل، وقد بلغ قطر البركة من الأعلى (20.4م)، ومن الأسفل (8.25م)، أما عمقها فيبلغ نحو (20م) تقريباً. ويتم النزول إلى قاع البركة عبر سلم مزدوج يتكون من درج تستند على جدار البركة، الغرض الوظيفي منه تسهيل عملية الحصول على الماء، والمقدرة على تنظيف البركة من الشوائب.

وتشتمل في أعلاها على حوضين صغيرين يتصلان بالبركة بواسطة سواق، ويبلغ قطر الحوض الشرقي نحو (1.90م)، وعمقه (2م)، أما الغربي فقطره (2.40م) وبنفس عمق الأول. والغرض الوظيفي لهما هو عملية تنظيف المياه القادمة قبل دخولها حوض البركة. فعندما

تدخل المياه إلى الحوض الصغير تتسبب الشوائب والأترربة بأسفله، وحينما يمتلئ يهر الماء من خلال الساقية المتصلة به إلى البركة.

وقد استخدم في كساء جدران وأرضية الحوضين والبركة مادة القضاض، التي تعمل على عدم تسرب الماء من خلالها، وبالتالي يمكن للبركة الاحتفاظ بالماء طوال أيام السنة.



ملاحظات عامة:

من خلال دراسة حصن اللسي وعناصره الدفاعية تمكنا من رصد ملاحظتين هامتان هما: أولاً: اختفاء عنصر رئيسي - في العمارة الدفاعية - في جميع الوحدات المعمارية للحصن، ألا وهو السقطة⁶⁶، وهذا الأمر ليس بغريب لأن إنشاء هذا العنصر يخضع إلى عدة عوامل تأتي في مقدمتها تضاريس الموقع المشيد عليه الحصن أو القلعة. فالموقع الذي شيد عليه الحصن مرتفع وعالٍ فوق الجبل؛ لذا ليس من الضروري وجود عنصر السقطة لعدم فاعليته من الناحية الدفاعية، كون فتحات الرماية بالبندق (المزاغل) ستخضع العدو قبل وصوله إلى سور الحصن. وهذه القلة في وجود هذا العنصر الدفاعي تظهر على أغلب القلاع والحصون اليمنية الواقعة في المرتفعات الجبلية.

والعكس صحيح بالنسبة للقلاع المشيدة على أرض مستوية تسهل عملية اقتحامها وسقوطها في أيدي الأعداء، لذا فمن الضروري في بعض الأحيان تدعيم وحداتها المعمارية بالسقطات، حتى تعمل مع بقية العناصر الدفاعية على اضعاف حصانة تامة للقلعة⁶⁷. ولدينا

العديد من الأمثلة في قلاع منطقة سهل تهامة التي ترجع إلى الفترة التاريخية نفسها، وخاصة قلاع المدن، ولعل أبرزها قلعة زبيد⁶⁸، وقلعتي بيت الفقيه والضحي⁶⁹.

ثانياً: لم تتضمن الوحدات الدفاعية بحصن اللسي على فتحات الرماية بالمدفعية (مزاغل المدافع)، على الرغم وجود مادة البارود المستخدمة في ذخيرة البنادق والمدفعية في جبل الكبريت (اللسي) نفسه. وربما يرجع السبب في ذلك إلى عدم الحاجة إلى سلاح المدفعية في الحصن، وقد رأينا ذلك من خلال العرض التاريخي السابق، حيث لم تشر أية مصادر تاريخية متوافرة تعرض الحصن للاقتحام.

النتائج:

بعد عملية التوثيق الأثري المعماري لجميع منشآت الحصن، يمكن أن تساعد هذه الدراسة بشكل رئيسي في إعادة ترميم وتأهيل الحصن، ومن ثم استغلاله في الجانب التنموي السياحي. وقد خرجت الدراسة بعدد من النتائج يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- تم إنشاء حصن اللسي (الكبريت) بموجب أمر الوالي العثماني محمد باشا عام (1026هـ/ 1616م)، إذ لم تظهر أي معلومات تاريخية أو دلائل أثرية حالية تفيد بوجود بناء أقدم من الحصن الراهن على قمة جبل اللسي.

- يرجع البناء الراهن لجميع منشآت الحصن إلى وقت الإنشاء، أي أنه ما زال بحالته الأصلية، حيث لوحظ عدم وجود أي إضافات أو تجديدات تذكر تمت للوحدات المعمارية حتى وقت إعداد البحث.

- لعب الحصن دوراً عسكرياً بارزاً في حماية مناجم الكبريت بجبل اللسي، والسيطرة التامة على عملية استخراج هذه المادة التي كانت تعتبر المادة الرئيسية لصناعة ذخيرة الأسلحة الحربية.

- لم تظهر أحداث تاريخية حربية توضح ما إذا تعرض الحصن للاقتحام أو التهدم، ويبدو أن الارتفاع الشاهق للجبل وصعوبة الوصول إليه أحد تلك الأسباب.

- اشتمل الحصن على عدد من الوحدات المعمارية الضرورية في بناء الحصون الحربية، وهي: ثكنات الجند وملحقاتها، وبركة الماء، وأماكن الخزن. كما برزت عدد من العناصر المعمارية الدفاعية التي شاع استخدامها في المنشآت الحربية، وأبرزها: البوابة الموروبة، والجدران

الساترة، والممشى، وفتحات الرماية.

- تضمنت الأبراج الدفاعية على تفاصيل انشائية داخلية غير معهودة في بناء الأبراج، كبناء جدار أو جدارين يقطعاً المساحة الداخلية منه.

- لم تشمل الوحدات الدفاعية في الحصن على عنصرين رئيسيان في العمارة الدفاعية: الأول فتحات الرماية الخاصة بالمدافع (مزاغل المدافع)؛ مما يرجح عدم استخدام سلاح المدفعية في الحصن، والعنصر الثاني السقطة لعدم فاعلية وجودها من الناحية الدفاعية.

هوامش البحث:

1. ذمار: إحدى المحافظات اليمنية التي تبعد عن العاصمة صنعاء بحوالي 100 كم من جهة الجنوب، وترتفع عن سطح البحر ثمانية ألف قدم، وتضم المحافظة اثنان وعشرون مديرية، وتعتبر مديرية المدينة (ذمار) مركز المحافظة، حيث تنقسم المدينة القديمة إلى ثلاث محلات هي: الحوطة والجراجيش والمحل، ويقع سوق المدينة في الوسط بين الثلاث المحلات، أما اليوم فقد اختلطت هذه الأحياء بسبب الزيادة في عدد السكان وبالتالي زيادة عمرانها، وأقيمت أحياء أخرى واتسعت المدينة في كل اتجاه. انظر: الحجري، محمد بن أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوغ، دار الحكمة اليمنية، مجلد 1، ط 2، 1990، ص 341؛ وانظر أيضاً: حسين عبد الله العمري، (ذمار)، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية بصنعاء، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، 2003، ج 2، ص 1364.
2. حسين الصوفي وآخرون: الدليل السياحي لمحافظة ذمار (كتاب مهرجان أسعد الكامل السياحي - ذمار)، محافظة ذمار والصندوق الاجتماعي للتنمية، 2007، ص 38.
3. مكتب الآثار بمحافظة ذمار: (تقرير المسح الأثري لمديريات: عنس، ميفعة عنس، جهران، الحداء)، النسخة الالكترونية، 2005، ص 43-44.
4. الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوغ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1990، هامش 1 - ص 207.
5. النقش الذي ذكر فيه اللسي هو (ja 578) السطر 8-9، وهو نقش غير مؤرخ يرجع إلى عهد الملك السبئي الشرح يحضب وأخيه يأزل بين، أثناء حربهما مع الملك الريداني كرب إل أيفع، في حوالي 230-240 ميلادية. انظر: A. Jamme: Sabaeen Inscriptions From Mahram Bilqis (Marib) the Johns Hopkins press, Baltimore, 1962,p

83.

6. عبد الله حسن الشيبه: اللسي، الموسوعة اليمنية، ج 4، ط 2، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، 2003، ص 2491.

7. الهمداني: الصفة، ص 206-207.

8. عبد الله بن عبد العزيز البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج 1، ط 3، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1982، ص 152.

9. جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب الدمشقي (ابن المجاور): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز - المسماة تاريخ المستبصر، تصحيح أوسكر لوفغرين، ط 2، دار المدينة - بيروت، 1986، ص 191.

10. يعد جبلي اللسي وإسبيل من الجبال التي انحصرت فيها الثورات البركانية على منطقة ذمار منذ حوالي (5 مليون) سنة مضت. يراجع: جابر السنباني، وشهاب محسن عباس: مدخل إلى جيومورفولوجية اليمن، ط 1، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 1999، ص 71.

11. رضوان عبد الواحد الشرجبي: مقدمة تاريخية عن التعدين والمناجم القديمة في اليمن، هيئة المساحة الجيولوجية والثروات المعدنية، صنعاء، 2001، ص 128.

12. صلاح الخرياش ومحمد الأنباوي: جيولوجية اليمن، ط 1، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 1996، ص 145-146.

13. إبراهيم أحمد المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المجلد 3، ط 5، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 2011، ص 1733.

14. حسين الصوفي: الدليل السياحي، ص 38.

15. نفسه، ص 18.

16. انظر الهمداني: الصفة، ص 206-207.

17. هو حفيد الإمام المطهر بن الامام شرف الدين، والذي عرف بمناصرته للعثمانيين، وكان عالماً شاعراً مبرزاً، شارك في عدة علوم وأهتم بتسجيل الاحداث وكتابة التاريخ. وقد صنف كتابه المشهور (روح الروح فيما جرى بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح) للوالي العثماني محمد باشا، وكتابته الآخر للوالي نفسه (النفحة اليمنية في الدولة المحمدية). واستمر المؤرخ عيسى بن لطف الله يمدح هذا الوالي ومن تلاه من الولاة العثمانيين، حتى عوتب على ذلك، وله ردود اعتذارية كتبها إلى الإمام القاسم بن محمد. ولما انسحب الأتراك من اليمن التحق بالحسن بن القاسم بن محمد، إلى أن توفي في حكم الإمام المؤيد

محمد بن القاسم عام (1048هـ/ 1638م). انظر: حسين عبد الله العمري: تاريخ اليمن الحديث (-922 1336هـ/ -1516 1918م) من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحي حميد الدين، ط 2، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، 2001، ص -247 248.

18. المؤرخ مطهر الجرמוزي كاتب سيرة الإمام القاسم بن محمد، فقد عاش بعد وفاة القاسم قرابة نصف قرن، جُلها في المرحلة الثانية بعد الانسحاب العثماني من اليمن، وعاصر بذلك ثلاثة أمّة وكتب سيرهم، فبعد القاسم بن محمد مؤسس الدولة القاسمية وكتابة سيرته المشار إليها، كتب سيرة ابنه المؤيد بالله محمد بن القاسم (ت:1054هـ/ 1644م)، والمتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (1087هـ/ 1676م). وجاءت تلك السير تاريخاً حافلاً لليمن وللأمّة الثلاثة ودولهم وحروبهم وتراجم لمعاصريهم من العلماء والفقهاء والأدباء، وسجل لحوادث كان الجرموزي ممن شاهدها أو عاصرها، وكانت له منزلته المرموقة حتى مات في (27 ذي الحجة سنة 1077هـ/ 20 مايو عام 1667م). حسين العمري: تاريخ اليمن، ص 248.

19. العلامة المؤرخ الكبير عامر بن محمد بن عبد الله بن عامر بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين الأملحي (نسبة إلى أملح ببلاد صعدة). ولد بصنعاء سنة (1062هـ/ 1651م)، ودرس في عدة مناطق على عدة مشائخ، وكان عارفاً لكثير من الأمور والآثار محققاً في الأنساب وفي أخبار أسلافه الطاهرين. فاكسب بتنقله معرفة بالبلاد وأهلها وعاداتها وتقاليدها أهلها وتاريخها وتاريخ السابقين والمعاصرين له فجمع تأريخه بغية المرید وأكمله في سنة (1126هـ)، فكان تاريخاً حافلاً جمع فيه الحوادث التي كانت في أيام القاسم بن محمد ومن بعده إلى تاريخ إكماله للكتاب. وترجم فيه لكثير من العلماء والفضلاء من كل طبقة ومن كل منطقة حتى نال الكتاب رضا الجميع وصار مرجعاً لجميع المؤرخين من بعده. وكان محبوباً في أيامه عند جميع الأمّة والأمراء والعلماء على اختلاف طبقاتهم ومآربهم ومشاربهم، وهكذا ظل طيلة حياته حتى نزل آخر أيامه إلى مدينة إب فاستوطنها ثم أصيب فيها بمرض الاستسقاء حتى انتقل إلى جوار ربه في غرة شعبان سنة (1135هـ) عن ثلاث وسبعين سنة. ينظر: عامر بن محمد بن عبد الله بن عامر ابن الرشيد، بغية المرید وأنس الفريد إلى معرفة انتساب ذرية السيد علي بن محمد بن الرشيد، تحقيق عباس بن أحمد الخطيب المتوكل، مخطوط الكتروني - النسخة الالكترونية، 2006، ص 6 - 7.

20. عبد الحكيم عبد المجيد الهجري: ثورة الإمام القاسم بن محمد ضد الوجود العثماني

- الأول في اليمن (-1006 1029هـ/1597-1620م) مع تحقيق مخطوط النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة للمؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي، رسالة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب - جامعة صنعاء، النسخة الالكترونية، 2004، ص 156؛ وأيضاً: عامر بن الرشيد، بغية المرید، ص 180.
21. الوالي: يطلق هذا اللفظ عادة على أمير القطر وحاكمه، والمصدر منه ولاية بمعنى الإمارة، وقد عرفت هذه الوظيفة منذ صدر الإسلام، إذ جرت العادة أن ينيب الخلفاء عنهم في حكم الأقطار الإسلامية أو الولايات التابعة لهم ولاة كانوا يعرفون بالأمرء والعمال. ينظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج 3، د. ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965، ص 1309؛ وأيضاً: مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، ط 1، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 71.
22. الباشا: يقال أن أصل هذا اللقب فارسي، ومعناها قدم الملك، وقيل أن أصلها تركي (باش) ومعناها رأس أو طرف أو قمة، أو زعيم أو قائد. وقد استخدم كلقب عثمانى أطلق على رتب عسكرية ومدنية متعددة، وصار هذا اللقب في عهد محمد علي باشا لقب فخري رسمي تقتضيه مكانة الشخص في المجتمع. مصطفى بركات: نفسه، ص 82، و304.
23. عين الوزير محمد باشا والياً على اليمن بعد عزل جعفر باشا عام (1025هـ/1615م)، واستمر في منصبه حتى عام (1031هـ/1621م). وقد قام منذ بداية ولايته بمراجعة شاملة للإدارة العثمانية في اليمن خاصة الجانب المالي منها. كما أبدى اهتماماً بأوضاع الأهالي ورعاية حجاج بيت الله الحرام. كما اشتهر بحبه للعلم وتعظيمه للعلماء والفقهاء، وكان ذو اهتمام واسع بالقراءة في شتى أنواع المعرفة. وعرف محد باشا باهتمامه بالناحية العمرانية من خلال بناء المساجد أو إجراء الترميمات اللازمة للبعض، ومنها بناء جامع كبير وحفر بئر له بجانب ضريح أحمد بن علوان بيفرس، وبناء جامع مدينة يريم، والتربة على الشيخ حسن الحافظ في يريم، وعمارة مسجد طلحة ومنارته بصنعاء. كما اهتم ببناء القلاع والحصون وترميم الموجود منها، فامر بإعادة ترميم سور مدينة صنعاء، وترميم قلاع حجة، وحصن التعكر، وإنشاء حصن الكبريت موضوع البحث. انظر: عيسى بن لطف الله شرف الدين: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، ط 1، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2003، ص 284، 285، 294، 304؛ وأيضاً: عبد الله عبد الكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ط 2، مؤسسة دار الكتاب، بيروت، 1984.

- ص 104 - 105؛ سيد مصطفى سام: الفتح العثماني الأول لليمن (-1538 1635م)، ط 5، دار الأمين، القاهرة، 1999، ص 388.
24. عيسى بن لطف الله: نفسه، ص 285.
25. ولد الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي المؤسس الأول للدولة القاسمية في شهر رمضان عام (967هـ / 1559م)، وكانت بداية دعوته وإعلان نفسه إماماً من بلاد الشرف في محل يقال له حديد قارة بمحافظة حجة عام (1597م)، وبعد أن استجابت القبائل لدعوته وندائه خاض عدة حروب مع العثمانيين، فتحت على إثره الطريق لإعادة توحيد اليمن في عهد أبنائه تحت سلطة الإمامة الزيدية من آل القاسم. وكانت وفاة الإمام القاسم في ليلة الثلاثاء من شهر ربيع الأول سنة (1029هـ / 1619م). انظر: عبد الكريم الجرافي: المقتطف، ص 153؛ وأيضاً: محمد ابن إسماعيل الكبسي: اللطائف السنوية في أخبار الممالك اليمنية، ط 1، تحقيق خالد الأذرعوي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 2005، ص 298.
26. استخدم اليمنيون الزبّارات وهي آلة حربية ضخمة تستخدم في رمي النفط وغيره من القذائف على العدو. وبعد أن تعلم اليمنيون استعمال البنادق أخذوا يصنعون البارود والرصاص، ففي سنة (1011هـ / 1602م) أثناء وجود الامام القاسم بن محمد في برط استخرج الرصاص من خمسة مناجم فكثرت خزائنه من مادة البارود. أميرة المداح: العثمانيون والإمام القاسم بن محمد بن علي في اليمن (-1006 1029هـ / 1598 - 1620م)، ط 1، دار عكاظ، جده، 1982، ص 177.
27. ما بين المعقوفتين توضيح من الباحث.
28. ما بين المعقوفتين تصحيح من الباحث.
29. وردت الكلمة (البار) والتكلمة من الباحث.
30. عيسى بن لطف الله: روح الروح، ص 285.
31. عبد الحكيم الهجري: ثورة الامام القاسم، ص 126.
32. حيدر باشا: تولى حكم اليمن بعد الوالي أحمد فضلي باشا عام (-1033 1038هـ)، واستمر لمدة خمس سنوات، ثم تلاه أحمد قنصوه باشا آخر والي في فترة الحكم العثماني الأول لليمن التي امتدت ما يقارب المئة سنة. وقد عرف عنه سوء الادارة ولذا تميزت فترة حكمه بالاضطرابات السياسية والحروب، واستطاعت المقاومة اليمنية السيطرة على معظم المناطق الشمالية - وحصاره في صنعاء - بقيادة الامام الإمام المؤيد محمد بن

- القاسم. يراجع: سيد سالم، الفتح العثماني الأول، ص 292، وص -394 397.
33. هو الأمير سنبل بن عبد الله، كان من الشخصيات القيادية العسكرية العثمانية، تولى قيادة كثير من الحروب ضد الإمام المؤيد، غير أنه بعد ذلك أعلن انضمامه إلى قوات الإمام، وصار من أبرز القادة العسكريين مع الجانب اليمني، وشارك في الحرب ضد القوات العثمانية حتى تم إخراجها من اليمن عام (1045هـ/ 1635م)، وكانت وفاته في السنة نفسها في منطقة وصاب بعد أن تعرض للمرض مع عدد من قادته. ومن مآثره في مدينة ذمار إنشاء مسجد النور المعروف بمسجد الأمير سنبل. يراجع: عامر الرشيد: بغية المرید، ص 198؛ وأيضاً: أمة الملك إسماعيل الثور، بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد المؤيد محمد بن القاسم (-990 1045هـ / -1582 1944م) مع تحقيق مخطوطة الجوهرة المنيرة للمؤرخ المطهر الجرُموزي - دراسة وتحقيق، ج 2، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ بكلية الآداب- جامعة صنعاء، النسخة الالكترونية، 2004، ص 525، وص 595، ص -634 636؛ وأيضاً: أمة الغفور عبد الرحمن الأمير: التطورات السياسية في اليمن أواخر القرن السابع عشر (1081 - 1099 هـ / -1670 1688م) مع تحقيق مخطوطة بهجة الزمن في تاريخ اليمن (ج 2، 3) للمؤرخ يحيى بن الحسين، أطروحة دكتوراة (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة صنعاء، 2004، ص -130 132.
34. الحسن بن القاسم: يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد في شهر شعبان سنة 996هـ/ 1587م)، كان من أبرز القادة العسكريين الذين حاربوا العثمانيين أثناء فترة حكمهم الأول لليمن، من أبرز أعماله العمرانية اختطاط حصن الدامغ وبأسفله مدينة الحصين عام (1040هـ/ 1630م). وكانت وفاته في شهر شوال عام (1048هـ/ 1638م) أثناء فترة حكم أخيه الامام المؤيد محمد بن القاسم، في مدينة الحصين. للمزيد عن هذه الشخصية انظر: محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، 1998، ص 221 - 222.
35. الامام المؤيد: هو محمد بن القاسم محمد مؤسس الدولة القاسمية، ولد سنة 990هـ في قرية عداية من جبل سيران، وأخذ العلم من علماء اليمن المشهورين ومنهم والده. اشتهر فضله وزهده وورعه وعفته وحسن تدييره، ويعتبر من أبرز أبناء الامام القاسم بن محمد وأكثرهم قدراً وتأثيراً في الحياة السياسية والعسكرية في القرن 11هـ/ 17م، ولما مات والده أجمع العلماء عليه وبايعوه إمام للدولة القاسمية في 12 ربيع الأول سنة 1029هـ الموافق 16 فبراير 1620م، وتلقب بالمؤيد بالله. وقد خاض حروباً ضارية

- ضد الوجود العثماني الأول في اليمن بقيادة إخوته الحسن والحسين وأحمد، أدت في نهاية الأمر إلى انتصاره عليهم واخراجهم منها في عام 1045هـ / 1635م، ثم مات في السنة نفسها يوم الخميس 27 رجب، وقُبر في شهارة بالقرب من والده. يراجع: محمد الشوكاني: نفسه، ص -754 756؛ وأيضاً: أمة الملك الثور: بناء الدولة القاسمية، ص 9؛ وكذا عبد الحكيم الهجري: ثورة الإمام القاسم، ص 131.
36. قلعة ذمار: وهي التي تقع في الجهة الشمالية من مدينة ذمار والمعروفة بحصن هران.
37. أمة الغفور الأمير: التطورات السياسية في اليمن، ص 130.
38. يُذكر أن عدد اليهود من أبناء قرية اللسي كان عددهم حوالي 60 شخص، وكانوا يمتنون جميع الحرف والصناعات، ولا يشتغلون في الزراعة. كما يعرف لدى ساكنة قرية اللسي أن منازل اليهود كانت تقع في السفح الجنوبي الشرقي من جبل اللسي نفسه، وما زالت هذه المنازل بادية للعيان، وهي أشبه بالكهوف المحفورة بجانب الجبل، وتم البناء بالحجارة على فتحاتها. ويعتقد أن فئة اليهود هذه قد هاجرت من القرية واليمن ضمن الهجرة الجماعية إلى أرض فلسطين عام 1948م. مقابلة شخصية مع الحاج ناصر القيسي، أحد المُعمرين في قرية اللسي، بتاريخ 7- 8- 2014.
39. عبد الله حسن الشيبه: اللسي، الموسوعة اليمنية، ج 4، ص 2491.
40. عيسى بن لطف الله: روح الروح، ص -285 286.
41. نفسه: ص 286.
42. القضاض: يتم خلط مادة الجير والرمل والحص والماء بطريقة معينة، وتستمر لعدة أيام ثم تكسى بها السقوف أو الأرضيات وأحياناً الجدران، وتطرق لعدة ساعات حتى لا تترك أي فراغات تتخللها، ثم تدلك بأدوات خاصة وتطلى بعدها بطبقة رقيقة من الشحم ومخ الحيوانات لمنع تسرب المياه، ومع استمرار التدليك يصبح السطح ناعماً وأكثر مقاومة للظروف المحيطة به. وقد استخدمت هذه الطريقة في عمل القضاض في اليمن على نطاق واسع في فترة ما قبل الإسلام، أو الفترة الإسلامية وخاصة في المنشآت المائية. مطهر علي الإرياني، القضاض، الموسوعة اليمنية: ج 3، ص 2401.
43. مبروك محمد الذماري: القلاع في تهامة اليمن خلال الفترة (-945 1336هـ / -1538 1918م) دراسة أثرية معمارية وتوثيقية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، مختبر الأركيولوجيا والتراث الثقافي الساحلي - كلية الآداب بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني (المحمدية - الدار البيضاء)، المملكة المغربية، 2014، ص 501.

44. يقصد بالبرج في المصطلح الأثري المعماري بناء مرتفع في سور المدينة أو القلعة أو الحصن أو الخان أو الرباط أو القصر، يربط فيه الجند المكلفون بالدفاع عنه. وقد يبنى البرج في المدن الساحلية على الشاطئ للدفاع عن المدينة المتاخمة له. ويكون في هذه الحالة أشبه بقلعة صغيرة. وغالباً ما كان البرج ذا مسقط أسطواني أو نصف دائري أو مضلع، وكان من الضروري أن يشتمل على شرفات علوية توزع في أعلى واجهاته لكي يحتمي بها الرماة عند الدفاع عنه، وعلى مزاغل أو مقاذف مفتوحة في جدرانه المطللة على الخارج، ذات فتحات داخلية متسعة وخارجية ضيقة، لتمكن المدافعين من سهولة الدفاع عن البرج دون إمكان تعرضهم منها لسهام المهاجمين من الخارج. للمزيد انظر: عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 34.

45. أطلق الدكتور عبد الله الحداد على هذا النوع من البوابات بالموروبة، والتي تعتبر حلقة الوصل بين الباب المباشر والباب المنكسر، حيث يضطر المهاجم أو الداخل إلى النطاق الذي يتقدم المدخل إلى أن يميل بجسده يميناً ثم يساراً، وهذا الانحراف أعطى لهذا النوع من البوابات درجة دفاعية كبيرة. للمزيد انظر: عبد الله عبد السلام الحداد، الاستحكامات الحربية بمدينة زيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية (-204 923هـ/ -1517 819م) دراسة أثرية معمارية، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004، ص 333 - 334.

46. سيتم الحديث بالتفصيل عن هذا العنصر الدفاعي وأصوله المعمارية عند استعراض مكونات السور الدفاعي للحصن.

47. (عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية، ص 333 - 334.

48. نفسه، ص 334.

49. مبروك الذماري: القلاع في تهامة، ص 185.

50. عبد الرحمن جار الله: ثلا إحدى حواضر اليمن في العصر الإسلامي (تاريخها وآثارها)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004، ص 18-19.

51. فهمي علي الأغبري: التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1994، ص 35.

52. عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية، ص 352.

53. فهمي الأغبري: التحصينات الدفاعية، ص 130.

54. مبروك الذماري: القلاع في تهامة، ص 465.
55. فهمي الأغبري: التحصينات الدفاعية، ص 35.
56. نفسه، ص 41.
57. عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص 287.
58. تقع آثار قصر الحير في بادية الشام بين تدمر والرصافة، وتبعد عن الأولى نيفاً ومائة كيلو متر. كما تقع على وجه الدقة على مسافة خمسة عشر كيلو متراً إلى الشرق من قرية الطيبة، ويحتوي الموقع على منشآت عمرانية نسبتها أكثر الأثريين إلى العصر الأموي بل إلى الخليفة هشام بن عبد الملك والموقع على الأرجح مدينة صغيرة مسورة نظراً لاحتوائه على عدد من الوحدات السكنية ومسجد ومعاصر للزيتون، والمدينة كانت معدة لسكنى حاشية الخليفة، وترجع هذه المدينة إلى عهد هشام ويؤيد ذلك الكتابة التي عثر عليها جاك روسو في القصر. أنظر: عبد القادر الريحاوي: إسهام في دراسة قصر الحير الشرقي وتحقيق في اسم الموقع، الحوليات الأثرية العربية السورية، مجلد 26، ج 1-2، 1976، ص 65 - 68؛ وأيضاً: عفيف بهنسي: القصور الشامية وزخارفها في عهد الأمويين، مجلد 25، ج 1-2، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، سوريا، 1975، ص 36.
59. يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة الكوفة شيد عيسى بن موسى بن عبد الله بن عم السفاح وهذا القصر من النماذج ذات الطابع العسكري ويتكون من بناء مستطيل محاط بأسوار ارتفاعها 17 متراً، تتخلل هذه الأسوار أبراج ومن هذه الأبراج حول المداخل المؤدية إلى داخل القصر، وقد زودت المداخل بالمزاول والبواب المنزلق، كما يشمل القصر على البهو الكبير ومسجد ومجموعة من الغرف المغطاة بأقبية بارتفاع ثلاثة طوابق، وإلى الجنوب من الفناء توجد قاعة العرش على محور المدخل، ويوجد حول الدهليز الكبير شرقاً وغرباً أربعة بيوت مستقلة عن باقي أجزاء القصر. انظر: كمال الدين سامح: العمارة في صدر الاسلام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999، ص 68.
60. عزب، خالد محمد: أسوار وقلعة صلاح الدين، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006، ص 18.
61. عبد الله عبد السلام الحداد: مدينة حيس اليمنية (تاريخها وآثارها الدينية)، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1990، ص 276.
62. عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية، ص 388.

63. هي إحدى المدن المطلة على ساحل البحر الأحمر، وتقع شمالي مدينة الحديدة على بعد (110 كم)، كما أنها إحدى الموانئ اليمنية الصغرى، إذ تحيط بها المياه من ثلاث جهات؛ فهي أشبه بجزيرة متصلة باليابسة. انظر: محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجلد 2 - ج 4، ص 679؛ إبراهيم المقحفي: معجم البلدان، ص 356.
64. قلعة حصينة تشرف على مدينة تعز، عثر فيها على شواهد أثرية ترجع إلى عصور ما قبل الإسلام، وفي العصر الاسلامي هناك من يرجع عمراتها إلى القرن الخامس الهجري، يقال أن بانيها الأمير عبد الله بن محمد الصليحي، وقد لعبت دوراً هاماً في العهد الصليحي ثم العصر الرسولي، كما شهدت القلعة في العصر العثماني عدة معارك ومواجهات بين العثمانيين والأئمة الزيديين. وتتألف القلعة من عدة منشآت منها: الأسوار التي يتخللها الأبراج، وبرك الماء، ومخازن الحبوب، وثكنات الجند، وغيرها. يراجع: إبراهيم المقحفي: معجم البلدان، ج 2، ص 1243.
65. هيفاء عبد القادر مكاي: التحصينات العسكرية لمدينة عدن في العصر الاسلامي (دراسة تاريخية - أثرية - معمارية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة عدن، 2007، ص 144.
66. السقطة: سقط الشيء بمعنى وقع من أعلى إلى أسفل، وفي المصطلح الأثري هي عبارة عن شرفة بارزة عن سمت الجدار، وفي أرضيتها فتحات يمكن من خلالها إسقاط الزيت الملغلي والحمم والضرب بالسهم لمن يتجرأ على الوصول إلى هذه المنطقة ويتمكن من الالتصاق بجدار السور أو البرج وغيره. محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 128، الكويت، 1988، ص 124؛ وأيضاً: عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص 141.
67. الزهراني، محفوظ بن سعيد بن مسفر: تحصينات مدينة أبها في الفترة بين سنة 1288-1337هـ (دراسة تحليلية مقارنة)، ط 1، وزارة التربية والتعليم ووكالة الآثار والمتاحف، الرياض، 2006، ص 57.
68. عبد الله الحداد: الاستحكامات الحربية، ص 162-164.
69. مبروك الذماري: القلاع في تهامة، ص 124.

حصن تاونت الأثري بمنطقة الغزوات حسب المعطيات التاريخية والشواهد المادية

عثماني كريمة (طالبة دكتوراه - مخبر التراث الأثري وتثمينه - جامعة تلمسان)

ملخص:

حصن تاونت هو ما يُعرف لدى العامة بـ«لالة غزوانة»، وهو موقع أثري ورد ذكره في بعض المصادر التاريخية، ولا تزال بعض آثاره المعمارية شاهدة على تاريخه الذي لا زلنا نجهل عنه الكثير، كما أن بعضها لا يزال مطمورا تحت سطح الأرض، وبعضها الآخر اندثر كليا، لكن حفظته لنا الذاكرة الشعبية، وفي الوقت الحالي يُعاني هذا الموقع من ويلات الجهل والإهمال، مما يوجب علينا حمايته والمحافظة عليه.

الكلمات الدلالية: حصن تاونت- المصادر التاريخية- الآثار الحالية- الآثار المندثرة- واقع الحصن.

Abstract :

TAOUNT fortress is known LALLA GHAZOUANAH in the public opinion, it is an archeological site, some historical sources spook about it, and some archeological traces standing and witness a part of their history, that we ignore many parts, some their traces is buried under dirt, and others are lost but it is conserved in popular memory. In present time, this archeological site suffers for the ignorance and negligence damages, this situation oblige us to protect and conserve this historical site.

The guides words :

TAOUNT fortress- historical sources - the present traces- the destroyed traces- the fact of fortress.

مقدمة:

تقع مدينة «الغزوات في الساحل الغربي للجزائر، على بعد 75 كلم شمال غرب مدينة تلمسان (أنظر الشكل رقم 01)، ويقع على الحافة الشرقية لهذه المدينة(الغزوات) رأس

بحري يُعرف بجبل «لالة غزوانة»، وذلك نسبة لضريح الولية الصالحة «لالة غزوانة» الذي يتربع بقمته، غير أن الاسم الأصلي الصحيح والتاريخي لهذه الهضبة هو «تَاوَنْت»، وهو اسم الحصن الأثري الذي كان يشغلها، والذي لا تزال بعض آثاره قائمة بالموقع إلى اليوم، متمثلة في سور وبعض الأبراج، غير أن هنالك بعض التساؤلات حول هذا الموقع لا تزال في حاجة إلى من يجيب عنها، لعل من أبرزها:

1 - إذا كانت الأطلال الأثرية القائمة بهذا الموقع من بقايا حصن تاونت الأثري، فهل هنالك مصادر تاريخية تحدثت عن هذا الحصن؟

2 - هل السور والأبراج القائمة بالموقع الأثري في الوقت الحالي هي الآثار الوحيدة الباقية والشاهدة على تاريخ هذا الحصن؟

3 - ما هو المصير الذي سيؤول إليه هذا الموقع الأثري في ظل ما يعانيه من ويلات الجهل والإهمال؟

حاولنا الإجابة عن الإشكاليات المطروحة معتمدين في ذلك على النقاط التالية:

1 - لمحة جغرافية عامة حول موقع تاونت:

يتربع موقع تاونت الأثري على قمة رأس بحري يرتفع عن مستوى سطح البحر بـ 130م، ويتميز بحواف شديدة الانحدار (أنظر الشكل رقم 02)، ومشرفة على ساحل البحر بنسيمه العليل، وهو يقع ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط.

ساهمت الظواهر البركانية التي عرفتها المنطقة في تشكيل إكليل ضخم من صخور البازلت حول طبقة «اللياس العليا» (Lias de Sommet) بهضبة تاونت، ولا يتجاوز سمك هذه الطبقة البازلتية بضع سنتيمترات، غير أنها تحتزن عروقا معدنية من أكسيد الحديد الخام الميكي (Fer Oligiste Micacé)، الذي كان يستعمل قديما من قبل نساء المسلمين واليهود ككحل لتزيين عيونهن باللون الأسود، وهو يتميز بشدة التفتت.

تحيط بهضبة الحصن شبكة هيدروغرافية مهمة، لعل أهمها واد تاونت الذي يُعرف بـ «العيادنة»، غير أن مياهه لا تجري إلا في الأوقات التي تهطل فيها الأمطار بشكل غزير ومتواصل، ويقع هذا الوادي في الناحية الشمالية الغربية لبلدية دار يغمراسن ، إلى جانب توفر منابع المياه بالقرب منها، على غرار عين «الميزاب» التي تقع جنوب

الهضبة (بقريه سيدي عمر)، وقد كانت تُعرف خلال الفترة الاستعمارية بعين «المهبول».
2 - نبذة عامة حول تاريخ حصن تاونت الأثري:
2 - 1 في العصور القديمة:

إن استقرار الإنسان بهذه المنطقة (الغزوات) يعود لفترة عصور ما قبل التاريخ، وذلك ما أثبتته المصنوعات والأدوات الصوانية التي كشفت عنها أبحاث م. بول بلاري (M.PAUL) على المرتفعات الغربية لشاطئ الغزوات سنة 1899م، إلى جانب الأدوات والمصنوعات التي كشف عنها- بعد 20 سنة من بعد ذلك التاريخ بواد العيادنة (تاونت)- ف. دومارج (F.DOUMERGUE) على بعد 100م تقريبا من المقبرة اليهودية بقريه سيدي عمر (جنوب هضبة تاونت)، حيث ذكر أن المكان الذي اكتشفت فيه يشكل مركز استقرار ساحلي خلال العصر الحجري الحديث (Néolithique).

أما الرومان فلم يُعثر على أي أثر يثبت استقرارهم بالمنطقة، غير أن محطة «أد-فرا تراس» (AD-FRATRES) التي تَمَّ تأسيسها- حسب ما ذكره الجغرافي أنطونين (ANTONIN) (ت 337م)- من قبل الرومان، وكانت تقع على الطريق الساحلية الكبرى ، خلال فترة حكم الإمبراطور قسطنطين (CONSTANTIN)، وقد حدد ماك- كاري (MAC-CARTHI) موقعها بالقرب من شاطئ «واد عبد الله» (غرب الغزوات)، وقد اختبرت هذه كمركز عسكري لموريتانيا القيصرية القديمة، التي كانت تحت حكم الإمبراطور أوقوستي (AUGUSTI) خلال القرن 4م، لحراسة سواحلها من القبائل المعادية.

2 - 2 حصن تاونت الأثري من خلال المصادر التاريخية:

أ- المصدر التاريخي الأول:

لم يذكر حصن تاونت بشكل واضح وصريح في المصادر التاريخية إلا خلال القرن الـ 11م/ 1105هـ، من قبل «أبو عبيد لله بن عبد العزيز البكري» الذي يقول في شأنه: «...وَوَيْتَهَا (أَي بَيْن تَرْنَانَا) وَبَيْنَ تَدْرُومَةَ تَمَانِيَهُ أَمْيَالٍ... وَعَلَى سَاحِلِ تَرْنَانَا حِصْنٌ تَاوُنْتُ وَهُوَ حِصْنٌ مَنِيعٌ فِي جَبَلٍ مَنِيفٍ قَدْ أَحَاطَ بِهِ الْبَحْرُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِهِ، وَلَهُ مُرْتَقَى وَعِرٌّ لَا يَطْمَعُ فِيهِ أَحَدٌ وَيَنْزِلُهُ قَبِيلٌ مِنَ الْبَرْبَرِ يُعْرَفُونَ بِبَنِي مَنْصُورٍ، وَفِي جَبَلِ الْحِصْنِ مَعْدَنُ الْأُمْدِ (الْكُحْلِ) وَلَهُ بَسَاتِينٌ وَشَجَرٌ كَثِيرٌ يُحْمَلُ مِنْ زَيْبٍ تَيْنِهِ إِلَى مَا يَلِيهِ مِنَ النَّوَاحِي...».

قدم لنا البكري وصفا موجزا ودقيقا حول حصن تاونت، ومن خلاله يمكن الخروج ببعض الاستنتاجات المهمة، لعل أبرزها:

1 - من المعروف أن البكري الذي قدم وصفا لحصن تاونت- كما هو موضح أعلاه- لم يزر المغرب وإنما كتب عنه وهو مقيم بالأندلس، مُعتمدا في ذلك على ما كتبه الرحالة «محمد بن يوسف الوراق القيرواني» المعاصر للدولة الفاطمية (292هـ-363هـ)، والذي ألفه بطلب من الخليفة الأموي «الحكم»، ومن خلال ذلك نستنتج أن حصن تاونت كان موجودا على غرار كل من «هنين، ندرومة، وترنانا...»، قبل القرن الـ 05هـ/11م.

2 - قدم لنا وصفا دقيقا حول موقع الحصن وهيئته العامة، حيث ذكر أنه يقع على ساحل ترنانا التي تبعد عن ندرومة بـ 08 أميال، أي ما يعادل 14 كلم تقريبا، وذكر أنه يقع على جبل مَنِيْفٍ، وهو تشبيه للجبل بشكل الأنف البارز، حيث أن البحر يحيطه من ثلاث جهاته، وهو وصف صحيح ودقيق لأن الموقع عبارة عن رأس بحري.

3 - ذكر أيضا أن حصن تاونت مرتقى، أي أنه يتربع في مكان مرتفع، وتلك كانت من البديهيات والمقتضيات الدفاعية التي اعتاد القدماء على مراعاتها في تأسيس مُدنهم، وحصونهم، وقلاعهم.

4 - ذكر كذلك أن تاونت: «...حصن منيع لا يطمع فيه أحد...»، وتلك إشارة إلى القوة العسكرية والدفاعية التي كان يتميز بها الحصن خلال تلك الفترة، وليس مستبعدا أن يكون قد أسس في الأصل ليؤدي مهمة المراقبة والدفاع عن سواحل المنطقة المقابلة والقريبة من سواحل الدول الأوروبية المعادية للدولة الإسلامية.

5 - كان يمتنُّ سكان الحصن الزراعة، وكان التين من ضمن منتجاتهم، وقد كان يجفف ليصدر للمناطق المجاورة، وهذا دليل على أن سكان تاونت تمكنوا من تحصيل فائض في الإنتاج الزراعي، وعرفوا كيف يستثمرونه من خلال بيعه للمناطق المجاورة.

ب- المصدر التاريخي الثاني:

ذُكر حصن تاونت أيضا في كتاب «العبر» للعلامة «عبد الرحمان بن خلدون المغربي»، ففي ثنايا هذا الكتاب في جزئه الحادي عشر، في سياق حديثه عن تاريخ قبيلة «مطغرة ورؤسانها»، أورد حصن تاونت كما يلي: «

... فَمِنْهُمْ (أَي مِنْ مَطْغَرَةَ) مَا بَيْنَ فَاسَ وَتَلِمَسَانَ أُمَّمٌ يَتَّصِلُونَ بِكُومِيَةَ وَيَدْخُلُونَ حِلْفَهُمْ وَأَنْدَرَجُوا مِنْ لَدُنِ الدَّعْوَةِ الْمُوحِدِيَّةِ مِنْهُمْ وَرِنَاسَتُهُمْ يُوَلِّدُ خَلِيفَةَ كَانَ شَيْخَهُمْ عَلَى عَهْدِ الْمُوحِدِينَ وَبَنَّا لَهُمْ حِصْنًا بِمَوَاطِنِهِمْ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يُسَمَّى تَاوَنْتَ وَلَمَّا انْقَرَضَتْ

دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَاسْتَوَى بَنُو مَرِينَ عَلَى الْمَغْرِبِ قَامَ هَرُونَ بْنُ مُوسَى بْنِ خَلِيفَةَ
بِدَعْوَةِ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ سُلْطَانِهِمْ وَتَغَلَّبَ عَلَى نَدْرُومَةَ وَزَحَفَ إِلَيْهِ يَغْمَرِاسَنَ بْنَ زِيَانَ
فَاسْتَرْجَعَ نَدْرُومَةَ مِنْ يَدِهِ وَعَلَبَهُ عَلَى تَاوَنْتَ ثُمَّ زَحَفَ يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ إِلَيْهِمْ وَأَخَذَهَا
مِنْ أَيْدِيهِمْ وَشَحَنَهَا بِالْأَقْوَاتِ وَاسْتَعْمَلَ هَرُونَ وَرَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَحَدَّثَتْ هَرُونََ نَفْسُهُ
بِالْإِسْتِبْدَادِ فَدَعَا لِنَفْسِهِ مُعْتَصِمًا بِذَلِكَ الْحِصْنِ خَمْسَ سِنِينَ ثُمَّ حَاصَرَهُ يَغْمَرِاسَنَ وَاسْتَنْزَلَهُ
عَلَى صُلْحٍ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَلِحَقِّ هَرُونََ بِيَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ... وَقَامَ بِأَمْرِ
مَطْعَرَةَ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ تَاشَفِينُ...».

من خلال النص الذي أورده ابن خلدون يمكن الخروج ببعض النقاط الهامة، منها:

1 - يُلاحظ أن سكان حصن تاونت (قبيلة مطغرة)، قد تأثروا وأثروا في مجريات الأحداث السياسية المضطربة بين الدولتين الزيانية والمرينية حول المنطقة المحصورة بينهما، والتي كان يقع ضمنها حصن تاونت.

2 - كانت رئاسة مطغرة على عهد الموحدين - مثلما ذكر ابن خلدون - لـ «ولد خليفة»، و«خليفة» على الأرجح هو اسم علم، وقد بنى لهم ولد خليفة (ابن خليفة) حصن «تاونت»، وأنه بعد انقراض دولة الموحدين صارت رئاستهم (أي رئيس قبيلتهم) على عهد المرينيين لـ «هرون بن موسى بن خليفة»، وذلك يعني أن اسم مؤسس حصن تاونت هو «موسى بن خليفة»، ويعني أيضا أن تاريخ تأسيسه للحصن يرجح بالسنوات الأخيرة لعهد دولة الموحدين التي انقرضت سنة 668 هـ.

يقودنا الاستنتاج الأخير إلى طرح إشكال آخر، ألا وهو: هل كانت فترة تأسيس حصن تاونت قبل القرن 05هـ/11م (وذلك استنادا لما استخلصناه من النص الذي أورده البكري)؟ أم أنه كان خلال أواخر العهد الموحدية (وذلك استنادا لما استنتجناه مما ذكره ابن خلدون)؟ ثم ما تفسير أن القبيلة التي كانت تسكن الحصن هي قبيلة «بني منصور» الصنهاجية البرنسية»، ثم صار الحصن بعد ذلك منزلا لقبيلة مطغرة «البترية»؟ .

2 - 3 حصن تاونت الأثري في مؤلفات المستشرقين:

أ- الفترة العثمانية:

تدخلت القوة التركية- العثمانية- عقب تسلسل الضعف إلى الإمارات المتصارعة الثلاث (المرينية، والزيانية، والحفصية)- لمواجهة القوة الإسبانية وقطع خط الرجعة عليها

، وعُرف خلالها حصن تاونت باسم «جماعة الغزوات» وكان يقصد بهذه التسمية «جماعة القراصنة»، وذكره فرنسيس لبدور (Francis LLABADOR) عند وصفه لسكان حصن تاونت، أن: «... سُكَّانُ تَاوْنُتْ يَتَأَلَّفُونَ مِنْ أَجْناسٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَهُمُ يَتَأَلَّفُونَ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْبَرْبَرِ، وَمِنَ الْعَرَبِ الْمَطْرُودِينَ مِنْ قِبَلِ الْإِسْبَانِ، وَمِنَ الْأَتْرَاكِ... وَكَانُوا يَحْرِصُونَ عَلَى إِشْعَالِ نَارِ كَبِيرَةٍ عِنْدَ سُقُوطِ الظَّلَامِ، لِاجْتِدَابِ الشُّفْنِ الْمَارَّةِ عَبْرَ السَّاحِلِ وَالْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى مُمْتَلِكَاتِهِمْ وَنِسَائِهِمْ...».

يبدو من خلال ما سبق ذكره أن سكان حصن تاونت لم يخرجوا عن دائرة حركة الجهاد البحري المعروفة بحركة القرصنة.

ب- الفترة الاستعمارية:

نزل الفرنسيون بشاطئ تاونت في شهر سبتمبر من عام 1844م وقد اختارها اللواء لامورسيير (LAMORICIER) كنقطة لنزول وتموين الجيوش الفرنسية الناشطة على الحدود الجزائرية المغربية.

عقب انهزام السلطان المغربي «مولاي عبد الرحمان» أمام الجيش الفرنسي في معركتي «وجدة» (1260هـ/1844م) ومعركة وادي إيسلي، وقَّع هذا الأخير معاهدة صلح مع فرنسا سنة 1845م وتعهد فيها بعدم مساعدة الأمير ومطاردته من الأراضي المغربية، وهو ما جعل الأمير يعود من المغرب باتجاه جبال «ترارة».

لم يمنع توقيع السلطان المغربي على معاهدة الصلح مع فرنسا من تقديم سكان الناحية الشرقية يد المساعدة للأمير والمقاومة الجزائرية، مثلما حدث في معركة «سيدي إبراهيم» المجيدة يوم 22 سبتمبر 1261هـ/1844م والتي شارك في تحقيق نصرها كافة قبائل المناطق المجاورة، كقبيلة «السواحلية، سيدي عمر، وأولاد زيري...».

إثر الهزيمة النكراء التي تعرض لها الفرنسيون إثر معركة سيدي إبراهيم، صدرت أوامر من القيادات العليا تقضي بالانتقام، حيث اتفق كافنيك ((CAVAIGNAC) ولامورسيير على تشكيل قوة مشتركة لقمع السكان يوم 12 أكتوبر، ليقوموا في اليوم الموالي بحملة على قبائل «ترارة» المساندة للأمير عبد القادر، وكان ذلك سببا في رحيل سكان حصن تاونت تاركين منازلهم وممتلكاتهم.

«بعد مدة من هذه الواقعة- مثلما ذكر لبدور- عاد سكان الحصن مطالبين بالرجوع

إلى قريتهم(حصنهم)، وكان رد الجنرال بيجو(BUGEUD)- بطبيعة الحال -هو الرفض، وذلك انتقاما منهم لمساندتهم للأمير عبد القادر، وقام بهدم منازلهم وبشكل كامل، وبذلك انتهت قصة حصن «تاونت» العتيق في النصف الأول من القرن الـ 19 م(1845 م). وشد السكان رحالهم من جديد إثر ذلك إلى القرى المجاورة، مثل قرية سيدي عمر، أولاد زيري، والسواحلية...».

3 - الشواهد الأثرية لحصن تاونت:

3 - 1 الآثار السطحية الحالية:

أ- سور الحصن:

كان يشغل الحصن معظم الهضبة تقريبا، بمساحة تقدر بحوالي 07 هآ، ووفقا للمخطط الذي أعده كولنيون دو فابرون(COLLIGNON DE VABRENS) سنة 1851 م (أنظر الشكل رقم 06)، يلاحظ أن الحصن كان محاطا بسور دفاعي بشكل كامل، وكان يتماشى شكله مع الشكل العام للهضبة وتضاريسها، غير أنه لم يتبق منه حاليا سوى جزء من ناحيته الجنوبية الشرقية تتوزع عليه ثلاثة أبراج، وصار من الصعب تتبع آثاره - إن كانت لا تزال موجودة - نظرا للحشائش والشجيرات الكثيفة التي أضحت تملأ الموقع الأثري وتطمس معالمه.

اعتمد في تشييد جدران السور على تقنية البناء بالطابية، وقد تم تأسيسها على قاعدة مبنية بالحج، وذلك لهدفين أساسيين هما:

- الأول: خلق مساحة مستوية لتشييد جدران البناء.

- الثاني: تشكيل أرضية صلبة عند المنحدرات الضعيفة للهضبة لتكون قاعدة متينة لإقامة جدران السور عليها.

ب- أبراج الحصن:

تتوزع على سور الحصن ثلاثة أبراج، ويلاحظ سور الحصن أن إنشاءها في تلك النقطة من الهضبة بالضبط لم يكن اعتباطيا، وإنما كان من منطلق أن تلك الجهة منها، كانت هي الناحية المستهدفة من قبل الأعداء، لأنها الناحية التي يمكن من خلالها الولوج إلى الحصن ، إلى جانب أنها توفر رؤية شاملة وواسعة المدى للمنطقة ساحلا وبرا.

تتميز أبراج الحصن بكونها غير مسننة الشكل في أجزائها العلوية، نظرا لانهايار تلك

الأجزاء منها، كما تختلف هذه الأبراج فيما بينها من حيث الارتفاع الذي يتماشى وشدة انحدار الأرضية التي شيدت عليها(أنظر الشكل رقم 03)، حيث يقدر ارتفاع البرج الأول (الغربي) ما بين 6.80 م و6.95 م، والثاني(الأوسط) بـ 12.45 م، والثالث(الشرقي) بـ 17م.

يلاحظ من خلال المخطط الذي أعده كولنيون دو فابرون-السالف الذكر- وجود برج رابع يقع مقابلا للبرج الثالث (الشرقي) من الناحية الشمالية، ولا تزال بعض آثاره واضحة للعيان، كما يلاحظ أيضا وجود برج خامس يقع مقابل البرج الأول (الغربي)، غير أنه لم يعد له في الوقت الحالي أي أثر، وتشكل تلك الأبراج الخمسة بتجمعها رباطا مربع الشكل، ونحن نرجح أن مدخل هذا الرباط كان يتوسط البرجين الغربيين (الأول والخامس).

استنادا لما ذكره كنال(CANAL)- نقلا عن فرنسيس لابدور- كان يتربع في الناحية الغربية من الهضبة المشرفة على البحر بقايا برج مراقبة صغير مربع الشكل، وكان هذا البرج يُتخذ كمنارة مؤقتة خلال أولى مراحل التوسع بالمنطقة، وكان لا يزال قائما عندما تحدث عنه لابدور ، غير أننا لسنا متأكدين إن كان لا يزال قائما في النقطة المشار إليها، لأنها تقع ضمن الحدود الممنوعة التابعة لثكنة القوات البحرية للغزوات.

ج- حوض ماء:

تتواجد على بعد 6.80 م شمالا من البرج الأوسط(الثاني) آثار حوض ماء صغير مستطيل الشكل(أنظر الشكل رقم 07)، مشيد بمادة الطين الغني بالكلس مع مضافات أخرى، كالحصي، وكسر الفخار، والرمل...، أما أبعاده فتقدر بـ 3.54 م طولا، و2.10 م عرضا، و0.93 م عمقا، وجرانه بـ 0.65 م سُمكا.

لقد صار حاليا من الصعب معاينة هذا الحوض وتشخيصه، نظرا لاندثار جزء مهم من هيكله المعماري، إلى جانب الحشائش الكثيفة والشجيرات التي أضحت تلتف حوله وتحجبه عن الأنظار بشكل كامل.

د- المنازل:

ذكره فرنسيس لبدور، أنه على الرغم من عملية الهدم شبه الكلية للحصن، إلا أنه خلال عهده كانت لا تزال تُرى بوضوح آثار كثيرة لأساسات منازل مربعة الشكل مبنية من الحجر، وكانت تنتشر حولها أعداد لا تحصى من سُقف الفخار.

في الوقت الحالي أصبح من الصعب ملاحظة آثار تلك المنازل نظرا للنمو الكثيف للنباتات

بالموقع، يضاف إليها أعمال التهيئة التي شهدتها الموقع، والتي من الممكن أن تكون قد أتت على معظم ما كان قد بقي منها، وتمثل تلك الأعمال أساسا في تزويد الموقع بمحطة صغيرة لتوليد الكهرباء بالطاقة الشمسية، وتسوية الأرضية وتزويدها بأراجيح لتسلية الأطفال.

هـ-الأضرحة:

1 - حوش لالة غزوانة:

كانت لالة غزوانة امرأة ثورية، ملكت من الشجاعة ما حولها لأن تصبح مجاهدة وقائدة لقرصنة البحر (حركة الجهاد البحري) الذين كانوا يعيشون على متن الهضبة خلال الفترة العثمانية، وحوش (ضريح) هذه الولية الصالحة عبارة عن حويطة مبنية بالحجر، تتربع بالناحية الغربية من الهضبة (أنظر الشكل رقم 07).

وفي الوقت الحالي، ووفقا لما استقيناه من تصريحات بعض الأشخاص، فإن هذا الضريح أصبح يقع ضمن هيكل مبنى ثكنة القوات البحرية للغزوات، الواقعة بالناحية الغربية من الهضبة.

2 - حوش سيدي موسى:

تشير إحدى الروايات الشعبية، إلى أن ن سيدي موسى من أصل أندلسي، قدم إلى تاونت حوالي القرن 15م أو 16م أو القرن 18م وذلك بعد رحيل الأندلسيين من شبه جزيرتهم الأيبيرية، يتربع ضريحه في المنحدر الغربي لهضبة تاونت (أنظر الشكل رقم 07)، وهو عبارة عن حويطة أيضا مبنية بالحجر، كان يتراوح معدل إرتفاع جدرانها بـ 0.60م، وفي حوالي سنة 1924م أُعيد بناؤه من مصاريف سكان الغزوات، وصارت أبعاده تقدر بـ 5.65م طولا، و3.30م عرضا، و1.70م إرتفاعا، و0.70م سمكا.

وحاليا لسنا متأكدين إن كان هذا الحوش لا يزال قائما بالناحية المشار إليها، والتي من المحتمل أن تكون ضمن حدود ثكنة القوات البحرية للمنطقة-مثلما أسلفنا الذكر.

2 - 3 الآثار السطحية المندثرة:

أ-الأبواب:

أورد ف.لابدور نقلا عن الذاكرة الشعبية لأهالي المنطقة أن سور الحصن كان يضم بوابتين، الأولى كانت تُعرف بباب «الصبارة»، وكانت تخترق جدار السور الغربي وتُطل على حوش سيدي موسى، وكانت تحت مراقبة بعض الحراس، أما الثانية فكانت تُعرف بباب

«العاريضة» وكانت تقع بالجهة الشرقية، وهي الباب الرئيسية (أنظر الشكل رقم 07).

ب- المساجد:

كان يضم حصن تاونت مسجدين، أحدهما يعرف بمسجد «بونور» وكان يقع بالجهة الجنوبية من الحصن، أما الثاني فـ«مجهول الاسم»، ويُحتمل أنه كان يقع بالقرب من خزان الماء (الذي سيأتي ذكره فيما يلي)، على بعد 30م غرب البرج الأول (الغربي) (أنظر الشكل رقم 07).

3 - 3 الآثار تحت السطحية (المدفونة):

أ- خزان ماء:

يوجد على بُعد 30م غرب البرج الأول (الغربي) خزان ماء، وهو يشتمل على فتحة لإيصال وإصلاح المياه (Regard) تتخذ شكلا مستطيلا، وأبعادها 0.70م طولاً، و0.35م عرضاً، أما الخزان فهو على شكل قبة (ذو سقف نصف أسطواني الشكل)، وتقدر أبعاده بـ5.30م طولاً، و2.30م عرضاً، و3.25م من الارتفاع تقريباً (أنظر الشكل رقم 04)، ووفقاً لبعض الروايات، فإن الحصن كان يتوفر على خزان آخر للماء كان يقع بالقرب من مسجد «بونور» (في الناحية الغربية من الموقع) (أنظر الشكل رقم 07)، وكانت تُستغل مياهه خلال الفترات الأمنية المضطربة.

ب- قناة لتوصيل المياه للخزان:

يضم القسم العلوي لأحد جدران الخزان-السالف الذكر-قناة لتوصيل المياه إليه، وتؤلفها مجموعة من الأنابيب مخروطية الشكل ومصنوعة من الفخار، ويقدر قياسها بـ30سم طولاً (أنظر الشكل رقم 05)، وهي مترابطة فيما بينها بواسطة مِلاطٍ (مادة رابطة) لضمان الترابط.

ج- مغارات طبيعية مهيبّة:

يتواجد بهضبة تاونت عدد مهم من المطامير التي كانت تُستغل قديماً لحفظ الحبوب، إلى جانب بعض المغارات التي تشغلها أعداداً لا تُحصى من قواقع الحلزون وشُقف الفخار والعظام، وهي مغارات طبيعية، غير أنه تمت تهيئتها وتوسيعها باليد البشرية، فبعضها مشطور (مقسم) إلى قسمين بواسطة جدار مبني بالحجر، أو بواسطة حاجز صخري طبيعي، وتتصل غالبيتها مع بعضها البعض من خلال فتحات ضيقة جداً لا تسمح بمرور سوى شخص واحد على المرة الواحدة.

3--4 الآثار المنقولة:

أ- قطع نقدية:

خلال الحرب العالمية الأولى (1914م-1918م)، قام بعض الجنود الكفناصين (Tirailleur) بالحفر بالقرب من أحد المدافن بتاونت (أين تتربع الثكنة الحالية)، وعثروا في ذلك اليوم على جرّتين صغيرتين حفظت بهما قطع نقدية ذهبية، وتمكن ف. لبدور بنفسه من الاضطلاع على واحدة من تلك القطع النقدية سنة 1930م، ولاحظ أن سُمكها لا يتجاوز بضع ملتتمرات، ويقدر نصف قطرها بـ 34 ملم تقريبا، أما وزنها فيقدر بـ 04 غ، وعلى وجهي القطعة يمكن قراءة: «حَاكِمُ الْمَمْلَكَةِ الْمَعْرُوفُ بِالسُّلْطَانِ مُرَادُ بْنُ سُلَيْمَانَ»، وعلى الوجه الآخر: «مَلِكُ الْيَابَسَةِ وَالْبَحْرِ وَسُورِيَا وَالْعِرَاقِ وَلِلَّهِ يَعُودُ مُلْكُهُ الْأَبَدِيُّ».

خلال شهر ديسمبر من عام 1927م، عُثِرَ بأحد مغارات الحصن على قطعتين نقديتين صغيرتين من البرونز، يقدر نصف قطرهما بـ 02 سم، وتحمل على كلا وجهيهما ختما للملك «صالمون» (SALOMON)، وهما لا تحملان أي تاريخ.

في سنة 1936م، عُثِرَ على ثلاث قطع نقدية برونزية أخرى، وهي أكبر حجما من القطعتين السابقتين، ويقدر نصف قطرها بـ 02 سم تقريبا، وتحمل بأحد وجهيهما ختما للملك «صالمون» أيضا، أما الوجه الثاني فيحمل نقشا تسجيليا قصيرا، وتحمل القطعة النقدية الأولى تاريخ سنة 1285م والثانية سنة 1287م ولثالثة سنة 1288م.

ب- شقف الفخار:

تتناثر على سطح موقع تاونت شُقف فخارية يرجع تاريخها إلى حوالي القرن 14م، أو 15م، ويميّز بعضها بريق معدني أخضر اللون، وبعضها بربري الصنع (محلي) يتميز بالخشونة وهو غير مشوي، ولا تزال ترى بعض الشُقف الفخارية بوضوح في الناحية الجنوبية الشرقية من الموقع (بالقرب من الأبراج الثلاثة).

ج - نقيشة (لوحة) جصية:

في شهر سبتمبر من عام 1886م عُثِرَ بأحد التجاويف الصخرية بالجانب الشمالي من الهضبة، على ارتفاع 20م تقريبا فوق سطح البحر، على قطعة جصية تحمل نقشا بالحفر البارز على شكل بورتريه لرجلين (أنظر الشكل رقم 05)، أحدهما (إلى اليسار) حليق الشعر ويُعلّق صليبا على صدرية ثوبه، أما الثاني (إلى اليمين) فليس حليق الشعر، أو ربما يرتدي قبة

صغيرة على رأسه وثوبه يبدو أقل بساطة، ويبدو من ملابسهما أنهما يمثلان راهبي كنيسة.

4- إعادة تصور وتحليل للبناء العمراني لحصن تاونت:

يتضح من خلال الشواهد المادية -السابق ذكرها- أن حصن تاونت كان يشتمل على الأنواع الثلاثة للعمارة، والمتمثلة في:

أ-العمارة العسكرية: متمثلة في سور الحصن وأبراجه، وبوابتيه الشرقية والغربية.

ب-العمارة المدنية: متمثلة في المنازل، ومطامير(مخازن) الحبوب، والمغارات الطبيعية المهيأة باليد البشرية، وحوض، وخزائين لحفظ المياه.

ج-العمارة الدينية: متمثلة في مسجدين(مسجد بونور والمسجد مجهول الاسم)، وحوش لالة غزوانة، وحوش سيدي موسى، ومقبرة الحصن.

أما توزيع تلك العمائر بالهضبة - فاستنادا للمعاينة الميدانية للموقع والمعطيات التي أوردها ف-لبدور- كان يقوم على النحو الآتي(أنظر الشكل رقم 07):

1- كان حصن تاونت يشغل معظم الهضبة تقريبا، ويحيط به بشكل كامل سور منيع، تتوزع عليه عدة أبراج للدفاعية والمراقبة، ويبلغ عددها ستة (06)، خمسة (05) منها تقع في الناحية الجنوبية الشرقية، والتي تُعتبر النقطة المستهدفة والوحيدة التي يمكن من خلالها الولوج إلى داخل الحصن، أما البرج السادس فكان يتربع في الناحية الغربية من الهضبة، وكان يُتخذ كمنارة مؤقتة خلال أولى مراحل التوسع بالمنطقة.

2- كان سور الحصن يتوفر على بوابتين، إحداها عسكرية(دفاعية) تقع بالجهة الشرقية، وتعرف بباب «العارضة» وهي الباب الرئيسية، والثانية تعرف بباب الصبارة، ولها وظيفة دفاعية ودينية، وهو ما استنتجناه من خلال قول ف.لبدور أن:«...قام بعض الجنود الكشافين بالحفر بالقرب من الحصن الفرنسي الصغير (الذي استعصى بثكنة القوات البحرية الحالية) بالقرب من أحد المدافن، و عثروا في ذلك اليوم على جرتين صغيرتين لقطع نقدية ذهبية...».

تقع هذه الباب في الناحية الغربية من الهضبة، وتُطل على حوشي سيدي موسى ولالة غزوانة، ويُحتمل أن مقبرة الحصن كانت تحيط بهذين الضريحين، مثلما جرت عليه العادة في مقابر الغرب الجزائري.

3- إن حوض الماء المذكور سابقا لا يبعد عن البرج الأوسط إلا بـ 6.80م، وهذا يعني

أنه كان يتوسط الأبراج الخمسة الواقعة بالجهة الجنوبية الشرقية من الهضبة، والتي تشكل باتحادها رباطا مربع الشكل، ليس مستبعدا أن يكون هذا الحوض قد أنجز في الأساس لتزويد المجاهدين الأوائل الذين كانوا يرابطون بذلك الرباط، وخصوصا في حالة الاضطرابات الأمنية.

4- مثلما أشرنا سابقا، فإنه بحسب الروايات الشفوية لأهالي المنطقة كان يتربع مسجد «بونور» في الناحية الغربية من الحصن (الهضبة)، ويجاوره خزان ماء، كانت تُستغل مياهه خلال أوقات الاضطرابات الأمنية، وهو أمر بديهي عندنا- نحن المسلمون- تفرضه شريعة ديننا الحنيف (الإسلام)، فالعبادة (الصلاة) في المسجد توجب الطهارة، وذلك يستدعي بطبيعة الحال توفير وسيلة «التطهير» التي هي «الماء»، من خلال توفير خزان يُحفظ فيه الماء.

5- يلاحظ أن موضع كل من خزان الماء والمسجد المجهول الاسم كان يقع على مقربة من رباط الحصن، على بعد 30م غرب البرج الأول (الغربي)، وليس مستبعدا أنه تم إنشاؤهما في الأصل لتيسير أداء فريضة الصلاة للمرابطين الأوائل الذين كانوا قائمين على مراقبة وحراسة المنطقة وسواحلها بذلك الرباط.

6- إن توفر الحصن على مسجدين دليل على أنه عرف زيادة كبيرة في عدد السكان، لدرجة لم يعد بوسع المسجد الأول استيعاب العدد الكبير للمصلين الوافدين إليه من الحصن، ونحن نرجح أن المسجد الذي أنشئ في الأول هو المسجد «المجهول الاسم»، وذلك لاعتقادنا بأنه أُسس ليكون مكانا لصلاة المرابطون الأوائل بالحصن، وذلك لقربه من أبراج المراقبة (ب30م)، كما أن جهل اسمه دليل على قِدَمِهِ، لدرجة أنه اضمحل بمرور الزمن.

5- واقع موقع حصن تاونت الأثري:

إذا تناولنا الحديث عن الحالة الراهنة لموقع تاونت الأثري فمن المؤكد سيطول حديثنا، وتكفي الإشارة إلى أن الراغب في زيارة هذا الموقع ستصادفه لافتة إرشادية وتوجيهية على يمين مدخل مدينة «الغزوات»، مكتوب عليها «لالة غزوانة منطقة سياحية» ومن هنا يبدأ المشكل، وذلك لأنه:

1- إذا كان أهل المنطقة ومستولوها لا يعرفون تاريخ الموقع، ولا يفرقون بين الموقع والمنطقة، ويجهلون اسمه التاريخي (تاونت)، فماذا يمكن أن ننتظر من الجهل بتاريخ منطقتهم وقيمة آثارها؟ أكيد ليس سوى الإهمال اللامبالاة، وهذا هو واقع هذا الموقع

الأثري، فلسنا نسمع عن مبادرة لتنظيفه، أو ترميمه، أو تصنيفه...، لدرجة أن الحشائش والنفايات أصبحت تملأ المكان، وما نجا من آثار الحصن (السور والأبراج) على وشك السقوط والانهييار، وذلك في ظل تفاقم عوامل التلف (الطبيعية والبشرية)، وانعدام الصيانة والترميم أو أي مبادرة لحمايتها.

2- أُشير في اللافتة -السالف ذكرها- أن هضبة الحصن هي «منطقة سياحية» (موقع سياحي)، غير أنه في واقع الأمر يفتقر إلى أدنى الشروط والمعايير الواجب توفرها في المواقع السياحية، بداية بانعدام وسائل النقل لبلوغ قمة الهضبة-الموقع الأثري، وعدم توفر محلات لبيع المياه والمشروبات، أو محلات لبيع الوجبات السريعة، وكذا انعدام دورات المياه، وانعدام الأمن السياحي...

3- لكن عدم توفر وسائل النقل لبلوغ الموقع كان- في حقيقة الأمر- أحسن من توفره، فعلى الرغم من الأعداد المحدودة للزوار الذين يتمكنون من زيارة الموقع، إلا أن هذا الأخير - وفي ظل غياب الوعي الأثري وكذا اللامبالاة من قبل الزوار- يُعاني ويلات التخريب والتشويه الذي يتعرض له سوره وأبراجه بالخصوص، كالكتابة على الجدران الأثرية، أو الصعود عليها رغم حالتها المهترئة، ورمي النفايات...، غير أن ما شجع على ذلك هو «غياب وانعدام الرقابة والحراسة الخاصة بالموقع الأثري».

6- حلول ومقترحات عامة:

إن من فطرة الإنسان أن لا يولي اهتماما بشيء إلا إذا أدرك قيمته الحقيقية. الشيء نفسه بالنسبة لقضية الاهتمام بالآثار والمحافظة عليها، فالاهتمام والمحافظة التي يتطلبها موقع «تاونت الأثري» تُوجبه معرفة قيمته التي لا يمكن أن تدرك إلا إذا عُرف تاريخه وكشفت آثاره، وذلك يقتضي تضافر جهود الباحثين والمسؤولين للقيام بأبحاث تاريخية وأثرية (مسوحات أثرية، حفريات...).

تتطلب المحافظة على هذا الموقع وآثاره، توفير الحماية القانونية (الجرد والتصنيف)، والحماية التقنية (الصيانة والترميم)، إلى جانب نشر الوعي الأثري بين فئات المجتمع، والإشهار بقيمته التاريخية، وإحيائه من خلال استغلاله في المجال السياحي وما يتطلبه من مرافق سياحية.

خاتمة:

تُعتبر الهضبة المعروفة بجبل «لالة غزوانة» أحد المواقع الأثرية التي تزخر بها منطقة الغزوات، والتي عليها كان يتربع حصن تاونت، مثلما ذكر في كتاب «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب» لمؤلفه المشهور أبو عبيد الله البكري خلال القرن الـ 11هـ/11م، وكتاب «العبر» للعلامة ابن خلدون، ولا تزال بعض آثاره شاهدة عليه، منها ما لا يزال قائماً بالموقع إلى اليوم، ومنها ما اندثر بالكامل لكن حفظته لنا الذاكرة الشعبية لأهالي المنطقة، غير أن هذا الموقع لا يزال في حاجة إلى من ينفذ الغبار عنه لكشف تاريخه، من خلال ما قد يكون حفظ لنا من آثار عبر مرور الزمن، ويحتاج كذلك إلى المزيد من الاهتمام والحماية.



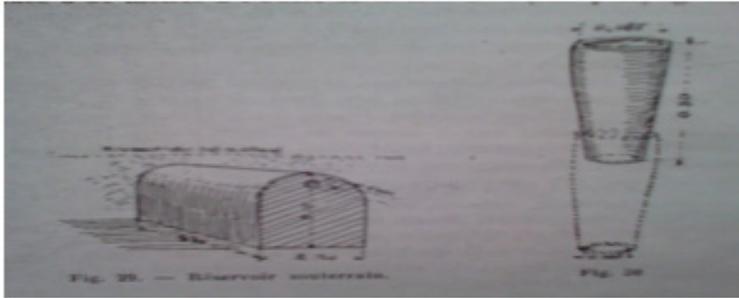
الشكل رقم 01: موقع الغزوات (حصن تاونت) من مدينة تلمسان. عن: MICHELIN 172 (ALGERIE-TUNISIE), 05 édition, PARIS, 1972.



الشكل رقم 02: موقع أبراج الحصن الحالية من رأس لالة غزوانة.



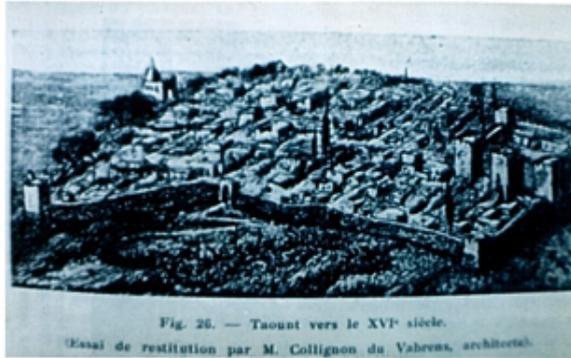
الشكل رقم 03: منظر عام لأبراج الحصن الثلاثة



الشكل رقم 04: شكل وأبعاد خزان الماء وقناته الفخارية
الموصلة للمياه. عن: F.LLABADOR, Op.Cit, p 215



الشكل رقم 05: نقيشة جيرية من موقع تاونت. عن: Ibid, p
185



الشكل رقم 06: إعادة تصور لحصن تاونت خلال القرن الـ 16. عن: Ibid, p 211



- 1-سور الحصن.
- 2-باب العارضة.
- 3-باب الصبارة.
- 4-أبراج الثلاثة الباقية.
- 5-برج ما تزال ترى بعض آثار أساساته بالموقع.
- 6-برج لم يبقى له أي أثر في الوقت الحالي.
- 7-برج مرابية.
- 8-حوض ماء.
- 9-مسجد (مجهول الاسم).
- 10-خزان ماء.
- 11-مسجد بولخور.
- 12-خزان ماء آخر.
- 13-حوش لالة عزوانة.
- 14-حوش سيدي موسى.
- 15-مقبرة الحصن.
- 16-شوارع ومنازل.
- 17-مخدّرات البهنية الشرقية على البحر.

الشكل رقم 07: إعادة تصور للبناء العمراني لحصن تاونت خلال القرن الـ 19م (قبل تهديمه من قبل المستعمر الفرنسي). من إعداد الطالبة الباحثة اعتمادا على:

-الشواهد الأثرية الحالية والوارد ذكرها عن: Ibid, p 185, 199-219

-المنظور الخمد من قبل COLLIGNON DE VABRENS للحصن نقلًا عن: Ibid, p 27

هوامش البحث:

- الحصن (Forteresse): هو البناء الذي لا يوصل إلى داخله إلا بقتال، وكان على نوعين، أحدهما عبارة عن بناء منفصل قائم بذاته، كان يُبنى في الثغور الساحلية وطرق القوافل التجارية والمواقع الإستراتيجية الحساسة المشرفة على الحدود الدولية، والآخر عبارة عن بناء متصل على هيئة برج في سور مدينة أو قلعة، أو خان (فندق)، أو نحو ذلك، ويشتمل في كليهما على أبراج ذات مزاغل (فتحات صغيرة) لرمي السهام. للمزيد ينظر: عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 2000، ص 81.

- LLABADOR Francis, NEMOURS (DJAMAA GHAZAOUAT), ALGER, 1948, p 172175-.

-Ibid, p 4143,617-.

-Ibid, p 58.

-Ibid, p 216.

-Révision de P.D.A.U de la Commune de DAR-YAGHMORACEN, Phase02: Etat de Fait et Perspectives de Devoleppement, U.R.S.A ORAN, 2012, p 12.

- LLABADOR F., Op.Cit, p 167.

- أد-فرا ترس: اسم أطلقه الرومان على الغزوات ومعناه الأخوين، وذلك لتميزها بوجود صخرتين كبيرتين بخليجها، يقدر ارتفاعهما عن مستوى سطح البحر بـ 24م. للمزيد ينظر: Ibid, p 172.

- GSELL Stephan, ATLAS ARCHEOLOGIQUE DE L'ALGERIE, Tome:01, 02èdition, Agence Nationale d'Archeologie et de Protection des Sites et Monuments Hist- oriques, ALGER, 1997, Feuille N°30.

- LLABADOR F., Op,Cit, p171173-.

-أبو عبيد البكري (ت487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب هو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت، ص 80.

-لقبال موسى، مظاهر اليقظة الفكرية في ندرومة وضواحيها: التيارات والاسهامات، التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها، جمع إعداد: ميدون عز الدين، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 15.

-بوبة مجاني، مكانة قبيلة كومية في الدولة الموحدية، تاريخ ندرومة ونواحيها، جمع وإعداد: ميدون عز الدين، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 74.

-عبد الرحمن بن خلدون المغربي، العبر وديوان المبتدئ والخبر في أيام العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج11، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1981، ص244.

-إثر رقعة العقاب التي انهزم فيها الناصر بالأندلس، ووفاته سنة 610هـ/1113م إلى سقوط الدولة

الموحدية سنة 668هـ بعد الفوضى التي اجتاحت الموحدية وسلطانهم سواء في المغرب أو الأندلس. للمزيد ينظر: عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي: عصر الإمبراطورية (العهد التركي في تونس والجزائر)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1426هـ/2005م ص216.

- ذكر الإدريسي أن: «...من قبائل لمطة مسوفة وورشان ومالتة ومن قبائل صنهاجة بنو منصور وجدالة...»، وصنهاجة من البربر البرانس. للمزيد ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي (من علماء ق06هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الاول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، وكذلك: أديب عبد الله النوايسة، المعجم الشامل للقبائل العربية والأمازيغية، ج3، تدقيق ومراجعة: خالد عبده الصرايرة وأيمن عبد الرزاق الصرايرة، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 1428هـ/2007م ص99.

- مطغرة من بطون البربر البتر، من ولد فاتن بن تمصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبت. للمزيد ينظر: عبد الرحمان بن خلدون المغربي، المصدر السابق، ص239.

- يحي بو عزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص49.

LLABADOR -F., Op.Cit, p189190-.

- نشأت ضد القوى المعتدية على العرب المطرودين من الأندلس (وهم المعروفون بالمورسكيين) حركة للجهاد البحري، وهي الحركة التي يصر الكتاب والمؤرخون الأوروبيون على تسميتها بـ«القرصنة»، وذلك لأن رجال هذه الحركة كانوا يخرجون على متن سفنهم المسلحة لاستقبال سفن الوافدين من الأندلس والدفاع عنها من سفن الأعداء. للمزيد ينظر: رشيد الناظوري وآخرون، المغرب الكبير: العصر الإسلامي، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م ص20.

- LLABADOR F, Op.Cit , p 193.

- عبد القادر دحدوح، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية 1252هـ-1258هـ-1836م- (دراسة تاريخية تحليلية أثرية)، صدر بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها، موفم للنشر، الجزائر، 2007م ص20-21.

- إسماعيل العربي، الموسوعة التاريخية للشباب: معركة سيدي إبراهيم ومصير أسراها، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1986 م ص05-16.

- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص20.

- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص65-70.

- المرجع نفسه، ص93-94.

-F.LLABADOR, Op.Cit, p 195.

-Ibid, p196197-.

-Ibid, p 201,211.

-Ibid, p199200-.

-Ibid, p202204-.

-Ibid, p211.

-Ibid, p217.

-Ibid, p217.

-Ibid, p201.

- الحويضة أو الحوش: عبارة عن ضريح (قبر) تحيط به جدران قصيرة من دون سقف، ويتخللها عادة مدخل بسيط.

Ibid, p484, 478.

-Ibid, p480482-.

-Ibid, p 201.

-Ibid, p 210,213214-.

-Ibid, p 215216-.

-Ibid, p 215.

- هي حُفر تحت الأرض تُتخذ كمخازن لحفظ الحبوب.

-Ibid, p 201-202.

-النصان الذي تحمله هذه القطع قمنا بترجمتهما من الفرنسية إلى العربية من: Ibid ;p218
-المملك سالومون: هو ابن وخليفة النبي داود، عاش بين سنتي 970 ق.م و931 ق.م، وبعد وفاته انقسمت مملكته إلى شطرين، مملكة يهودا ومملكة إسرائيل. للمزيد ينظر:

-Petit LAROUSSE illustré, librairie LAROUSSE , PARIS , 1991, p1569.

- LLABADOR F., Op.Cit, p 218.

-Ibid, p 218.

-Ibid, p 219.

-Ibid, p 185.

النقود الفضية الموحدية المربعة ضرب مدينة قسنطينة دراسة تحليلية وفنية

يحياوي العمري (قسم علم الآثار- جامعة تلمسان)

ملخص:

لقد كان للهيمنة السياسية والعسكرية في تاريخ الدولة الموحدية الأثر الإيجابي ليس فقط على إطالة عمر الدولة فحسب، بل إلى تمدد نفوذ أتباع ابن تومرت حتى حدود المغرب الأدنى، فكانت هذه السيطرة إحدى المقومات الأساسية التي قام عليها الاقتصاد الموحد، حيث كانت الدولة تبسط نفوذها على أهم الحواضر والمدن الهامة في المغرب الإسلامي ومنها مدينة قسنطينة ذات البعد الاستراتيجي للدولة الموحدية، مما جعلهم يتخذونها دار ضرب لنقودهم الفضية، وذلك لتغطية نفقات واحتياجات الدولة في ظل التوسع وضم أكبر عدد من المناطق وتحقيق أعظم المكاسب .

الكلمات المفتاحية : تاريخ - الدولة الموحدية - قسنطينة - النقود - الفضية

Abstract:

It was a political and military dominance in the history Almohad's country .not only the positive impact of the life extend of the state,but also extend of the followers of Ibn Tumart the boundaries of Morocco.

This was the control of one of the basic components on which the Almohad economy, where its influence to extend the states into one more important metropolises and important in the Islamic Maghreb cities, including Constantine, a city with a strategic dimension under Almohad power, Which made them home for their silver money , so as to cover the expenses of the state's needs in light of the expansion and the inclusion of a greater number of areas and to achieve the greatest gains.

Keywords: History - Almohad State - Constantine - coins – silver.

مقدمة:

نظرا للحقبة الطويلة التي ميزت الحكم الموحد في بلاد المغرب، (أي ما يقارب قرن ونصف)، وباعتبار هذه الدولة هي الوحيدة التي تمكنت من فرض وحدة سياسية في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث أصبحت أغلب مناطق هذا الإقليم تدين بالطاعة للخليفة الموحد الذي جابت جيوشه كل حدود المغرب، من المحيط الأطلسي إلى أقصى المغرب الأدنى (تونس)، وكل الصحراء الكبرى.

هذه الهيمنة السياسية والعسكرية كان لها الأثر الإيجابي ليس على تمديد عمر الدولة فحسب، بل كانت إحدى المقومات الأساسية التي قام عليها الاقتصاد الموحد، حيث كانت الدولة تبسط نفوذها على أهم الطرق والمنافذ البحرية، التي أنعشت حركة التبادل التجاري إضافة إلى وجود العديد من المناجم التي كانت موجودة في الأقاليم التي كانت تخضع للسلطة المركزية.

هذه العوامل كلها مجتمعة جعلت من الدولة الموحدية دولة قوية بنظامها النقدي المحكم الذي خول لها إنتاج كميات هائلة من الدينار والدرهم باسم المناطق التابعة لها، وحتى تلبي الاحتياجات الكبرى المتزايدة لهذه الدولة، فتجد العديد من دور الضرب الموحدية التي أخذت على عاتقها إنتاج الدينار والدرهم، مما جعل هناك توازن نقدي بين الولايات الموحدية الذي انعكس بالإيجاب على حركة الأموال والاقتصاد.

ولنسلط الضوء أكثر على ظاهرة نقدية هامة من بين هذه الظاهرة الاقتصادية التي عرفتها الدولة الموحدية، فقد وصلت إلينا مجموعة في غاية الأهمية من الدراهم الفضية باسم مدينة قسنطينة، التي كان لها قوي في العهد الموحد و رغم هذا نجد المصادر التاريخية قد غفلت عن ذكر هذه المدينة كدار للضرب الموحدية، ونحن نعلم أن اضطلاع أي مدينة بأدوار أساسية لا يتحقق إلا بوجود دار للضرب فيها، مما ينعكس بالإيجاب على حيوية المدينة وحركتها الاقتصادية والتجارية.

1 - لمحة تاريخية عن مدينة قسنطينة:

قسنطينة هي من أبداع المدن الجزائرية من حيث الموقع الطبيعي الخلاب، مبنية على طرفي صخرة يفصل بينهما وادي الرمل والمدينة تشرف من جهاتها الثلاث على هاوية الوادي، وتصل بين قميها جسور⁽¹⁾ فهذه المدينة من المدن الجزائرية العريقة بتاريخها وحضارتها

وتراثها منذ العصور القديمة، فقد عرفت الاستقرار البشري منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وتشير بعض الدراسات الأثرية الحديثة والتنقيبات الجديدة إلى أنها كانت موطنًا لقبائل الماسيل المنتشرة في الإقليم الشرقي لبلاد الجزائر، قد اشتهرت هذه القبائل بتربية المواشي وخدمة الأرض وفلاحتها. فقد بدأت مدينة قسنطينة قرية صغيرة ثم تطورت مع مرور الزمن إلى مدينة كبيرة، أصبحت عاصمة سياسية وإدارية ومركزًا تجاريًا هامًا، بين القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، هيمنت على بقية التجمعات البشرية الأخرى المحيطة بها الأمر الذي جعلها تلعب أدوار سياسية وعسكرية وثقافية واقتصادية هامة كعاصمة لمملكة نوميدية، فاكسبت أهميتها على عهد الملك ما سينيسا (203-149 ق.م).

وتعرضت للاحتلال الروماني الذي تمكن من الاستيلاء استولى عليها أثناء محاربتهم ليوغرطة (108 ق.م)، وأصبحت إحدى المدن الرئيسية بشمال إفريقيا، وتعرضت للتدمير قبل أن يجدد بناءها الإمبراطور قسطنطين، فحملت اسمه، وأصبحت تعرف بقسنطينة⁽²⁾. ويضيف الشيخ العطار في شأن تأسيسها بقوله: « ... اختلفت الأقوال فيمن بناها، فقيل بناها قسطنطين الذي بنى قسنطينة العظمى التي اسمها اليوم اسلانبول، وهي المسماة بلغتنا اصطنبول، وقيل بناها عامله على وطن إفريقية ونسبها إليه لكونه تحت طاعته، وقيل غير ذلك، والصحيح أنها مدينة قديمة بناها الذي بنى مدينة قرطاجنة التي بقرب تونس، وبها كرسي إفريقية .

وكانت في سالف الزمان تسمى بالحصن الإفريقي يضرب بها المثل في التحصن لكونها مبنية على جبل والهواء محيط بها من كل جهة كدوران الخاتم في الأصبع غير أنها جهة الغرب منها بنوا أقواسا بالحجارة العظيمة بصنعة متقنة وهندسة عظيمة وارتفاع هائل، وطمسوه من الأعلى وردموه حتى صار أرضا يدخلون عليها⁽³⁾.

وقد نالت المدينة نصيبها من كتابات الرحالة ومن بينهم: أبو عبيد البكري في القرن الخامس الهجري يقول عنها: « ثم تسير من مدينة تيجس إلى مدينة قسنطينة، وهي مدينة أولية كبيرة أهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحسن منها، وهي على ثلاثة أنهار عظام⁽⁴⁾. أما ياقوت الحموي فيقول في وصفها: « قسنطينة بضم أوله وفتح ثانيه ثم نون، وكسر الطاء، وياء مثناة من تحت، نون أخرى بعدها ياء خفيفة، وهاء: مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء، وهي قلعة كبيرة جدا، حصينة عالية لا يصلها الهواء إلا بجهد، وهي في حدود إفريقية مما يلي المغرب، لها اتصال بأكام متناسقة جنوبيها، تمتد منخفضة حتى تساوي

الأرض وحوالها مزارع كثيرة وإليها ينتهي رحيل عرب إفريقية مغربين في طلب الكلا⁽⁵⁾،

وقد أسهب الرحالة والجغرافي العربي الشريف الإدريسي في وصف موقعها الهام وما تتمتع به من خيرات وثروات فقال : « وهي مدينة عامرة، ولها الأسواق وتجارة وأهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب، وتشارك في الحرث والادخار والحنطة، تقيم في مظاهرها مائة سنة لا تفسد والعسل بها كثير، وهي قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض الاستدارة، لا يتوصل إليها إلا من جهة باب في غربها ليس بكثير السعة وهذه المدينة يحيط بها الوادي من جهاتها كالعقد المستدير بها، وليس للمدينة من داخلها صور يعلوا أكثر من نصف قامة، إلا من جهة باب ميعة وللمدينة بابان في الغرب وباب القنطرة في الشرق⁽⁶⁾ .

ويضيف الحميري في تعداد محاسن وفضائل قسنطينة بقوله : وهي من مشاهير بلاد إفريقية، بين تيجس وميعة، وهي مدينة أولية كبيرة أهلة، فيها آثار للأول كثيرة الخصب رخيصة السعر، على نظر واسع وقرى عامرة، وكان لها ماء مجلوب يأتيها على قناطر بالقرب من قناطر قرطاجنة، وفيها مواجل عظام مثل التي في قرطاجنة، وقسنطينة حصينة في غاية المنعة والحصانة، ولا يعلم بإفريقية⁽⁷⁾ أمنع منها، بل ليس لها نظير إلا مدينة رندة بالأندلس، فإنها تشبهها في وضعها، والخندق المحيط بها، والحافات المحدقة بها كثيرا، لكن قسنطينة أعظم وأكبر وأعلى فهي على جبل عظيم، من حجر صلب، قد شق الله تعالى ذلك الجبل فصار خندقا عظيما يدور بالمدينة من ثلاث جوانب⁽⁸⁾

فقسنطينة كان يسميها المغاربة (المغرب الأقصى)، في كتبهم التاريخية وغيرها بـ(قسمطينة)، وتبين أن المدينة اسمها في العصور الماضية (حصن-طينة)، الأغلب وسميت أيضا (قصر -طينة) ففي عصر العلامة ابن الخطيب المعروف بابن قنفذ القسنطيني المتوفي سنة 810هـ كانت تسمى حصن طينة، حيث ذكر هذا المؤرخ في كتابه القيم المتضمن أرجوزته الفلكية المسماة بالسراج، والتي جاء في بعض أبياتها:

ثم صلاة الله ذي الجلال على النبي المصطفى والآل

يعرف بابن قنفذ اشتهاره من حصن طينة فتلك داره

أتى بهذا الرجز المهذب بفاس الكبر من أرض المغرب⁽⁹⁾.

أما الشيخ العلامة صالح بن مهنا القسنطيني فقد ذكر قسنطينة باسم قصر طينة، وفي

تعليقه القيم عن رحلة الشيخ الورتلاني المسماة « نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار »، إذ قال: «... وقلت قسنطينة بلدة قديمة جاهلية من البلاد التي وقع عليها الفتح بإفريقية وسميت باسم بانيها « قسطنطن » من أسماء الرومان كالقسنطنطية العظمى، وقيل أصل هذا الاسم قصر طينة، منسوب إلى امرأة من الرومان اسمها طينة، فأضيف إليها، ثم دخله التصحيف والتحريف قيل قسطنطينة بالميم والنون⁽¹⁰⁾ .

ويذكر لنا مؤرخ دولة الموحدين البيدق (أبوبكر الصنهاجي) أن المهدي بن تومرت قد دخل مدينة قسنطينة واستقر بها قبل قيام دولته فيقول:«...وذلك أنه لما دخل سيدنا المعصوم قسنطينة نزل عند الفقيه عبد الرحمن المليي، ويحيا بن القاسم، وعبد العزيز بن محمد، وكان أميرها ابن سبع بن عبد العزيز، وكان قاضيها قاسم بن عبد الرحمان، وكان الطلبة الذين بها يأتون المعصوم (المهدي) يقرؤون عليه...»⁽¹¹⁾.

وتشير المصادر التاريخية أن مدينة قسنطينة دخلت تحت الحكم الموحدى ابتداء من سنة 547هـ بعد استنفار السلطان الموحدى لقتال النورماندين الذين حاولوا الاستحواذ على سواحل إفريقية⁽¹²⁾، حيث سار عبد المؤمن حتى نزل بجاية ففتح له بابها أبو عبد الله بن ميمون بن علي المعروف بابن حمدون فدخلها وفر عنها يحي بن عبد العزيز بن حماد في البحر إلى مدينة بونة ومنها إلى قسنطينة وذلك في شهر ذي القعدة من سنة سبع وأربعين وخمسة⁽¹³⁾ .

وقد استمرت المدينة تابعة للخلافة الموحدية حتى بروز ثورة بني غانية، الذي أجروا حصارا كبيرا على المدينة في سنة 581هـ/1183-1184م، وكادت المدينة أن تسقط في أيدي الثوار لولا تدخل السلطان أبو يعقوب المنصور سنة 583هـ⁽¹⁴⁾، الذي استطاع استرجاع المدينة وضمها إلى طاعة الخلافة الموحدية عام 583هـ/1187م، ولكن المدينة استمرت بعد ذلك عرضة لتحركات ثوار بني غانية، وفي آخر المطاف تمكن الخليفة الموحدى أبي محمد عبد الله الناصر من فرض سيطرته وتحرير المدينة.

وبعد هذه الصراعات والحروب عاشت المدينة أجواء من الاستقرار واستتباب الأمن، وخاصة في عهد والي إفريقية أبي محمد بن أبي حفص الذي حكم الولاية حتى عام 618هـ/1221م، ولكن أتباع بنو غانية لم يهدأ لهم بال، ولم يهضموا تلك الهزائم وأعادوا الكرة في الهجوم على المدينة، وتمكنوا من دخولها سنة 623هـ/1226م⁽¹⁶⁾ .

وظلت مدينة قسنطينة طيلة تاريخها تتأرجح بين الحكم الموحد تارة، وسلطة ثوار بني غانية تارة أخرى، لكن أبو زكرياء حسم الأمر وأعلن خلع طاعة الموحدين، وتسمى بالأمير، وذلك إيذاناً باستقلال الولاية، وقيام دولة بني حفص في تونس، وبذلك انطفأ وميض أكبر ثورة (بني غانية) أنهكت قوى أكبر دولة في المغرب الإسلامي في ذلك الوقت ومهدت لقيام دولة مستقلة سيكون لها شأن في المغرب الأدنى⁽¹⁷⁾.

فتأرجح تاريخ المدينة تارة تحت طاعة ملوك مراكش من الملمثمين المرابطين والموحدين وبني مرين، وتارة تحت سلاطين تونس الحفصيين إلى أن دخلها الاتراك⁽¹⁸⁾.

2 - الخصائص الفنية للسكة الفضية الموحدية:

2 - 1 طراز الدرهم الموحد المربع:

إن من أبرز الأحداث الهامة التي مرت بها الدولة الموحدية في نظامها النقدي، ابتكار سكة جديدة، خالفت في شكلها ومضامينها عما سبقها من مسكوكات دول المغرب الإسلامي التي سبقتها⁽¹⁹⁾، فحل هذا الطراز الجديد محل النقود المرابطية والزيرية والحمادية⁽²⁰⁾، فكان هذا الإنجاز نقطة تحول هامة في تاريخ النظم النقدية الإسلامية منذ الفتح العربي لهذا الإقليم⁽²¹⁾.

والتي بقيت أثارها وخصائصها متداولة في المغرب والأندلس من طرف الدول التي خلفت هذه الأخيرة في الحكم، واستمرت على نفس التقاليد طوال تاريخها مثل الدولة الحفصية بتونس، والدولة الزيانية بتلمسان، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والنصريين بغرناطة⁽²²⁾.

ولقد بلغ تأثير طراز التبريع النقدي الموحد حتى حدود الهند، فبعد استحواذ العائلة الخليفة في القرن السابع الهجري على عرش دلهي، قام السلطان قطب الدين مبارك شاه رابع حكام هذه الأسرة بضرب سكة ذهبية وفضية مستديرة ومربعة الشكل⁽²³⁾.

وحسب البيدق مؤرخ المهدي: «... فإن تبريع السكة من ابتكار محمد بن تومرت القائم بأمر الموحدين، يقول أن الفقيه مالك بن وهيب قال للخليفة المرابطي علي بن تاشفين: هذا هو ويقصد (محمد بن تومرت) صاحب الدرهم المربع، أجعل عليه كبلا كي لا تسمع له طبل...»⁽²⁴⁾.

ويذكرنا لنا صاحب كتاب الدوحة المشتبكة نسبة تبريع الدرهم إلى المهدي بن تومرت

بقوله: « وذاك أن صاحب الدرهم المرکن هو أبو عبد الله المهدي القائم بأمر الموحدین، وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة الموحدية مدورة، فأمر المهدي أن تكون دراهمه مركنة، فكانت كذلك من حساب عشرين منها في الأوقية وثلاثة منها في الدينار.»⁽²⁵⁾

ويؤكد ابن خلدون على أن الطراز الجديد كان من تدير المهدي حيث يقول: «... ولما جاءت دولة الموحدین كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم المربع الشكل، وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد...»⁽²⁶⁾. (أي القرن الثامن الهجري).

فأغلب الروايات التاريخية تؤكد أن المهدي بن تومرت لم يسك في حياته عملة باسمه وإنما كان الفضل الكبير في إصدار الطراز المربع في الدراهم إلى خليفته ومؤسس الدولة عبد المؤمن بن علي، كون أن الأمور لم تستتب إلا في عهد هذا الأخير، حيث شهدت السنوات الأولى لظهور هذه الدولة صراعا كبيرا بينها وبين الدولة المرابطية المنهارة⁽²⁷⁾.

حيث لم يكن في مقدور الموحدین إحداث دار لصنع النقود، وليس مستبعدا أن مدينة مراكش، هي أول دار موحدية قامت بإصدار هذه النقود ذات الطراز الجديد، في المغرب والأندلس، حيث زاد عدد دور السكة في كل مكان وصل إليه سلطان الدولة⁽²⁸⁾.

في السنوات الأولى للحكم الموحدية، كانت الدراهم تضرب في جميع عواصم الولايات، مختلفة الأوزان، ويبدو أن الموحدین قد أكثروا من ضرب الدراهم وأجزائها خاصة بعد استثمار الفضة في خلافة أبي يوسف يعقوب، ولم تعد هناك شكوى من قلة الصرف كما كان الحال أيام أبيه عبد المؤمن⁽²⁹⁾، ويذكر صاحب المعجب لنا أمثلة من ذلك حيث يقول أنه حينما اشتكى يحي بن عبد العزيز لعبد المؤمن تعذر الصرف وعدم استطاعة شسكان بجاية قضاء حوائجهم لقلته، فبعث لهم عبد المؤمن ثلاثة أكياس صروف كلها⁽³⁰⁾.

فكان منها بمدينة فاس القرويين والأندلسيين دار سكة، فنقلها الخليفة أبو عبد الله الناصر ابن المنصور الموحدية، لدار أعدها بقصبتها حين بناها سنة ستمائة، وأعدها مودعا للأموال المندفعة بها ولطوايع سكتها، وأتقن ثقافها على أتم حال، وغالبا ما كان يسبك فيها الذهب، وأما الدراهم فكانت ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها إلا أن صار التعامل في الدراهم على وزن هذه اليعقوبية⁽³¹⁾.

2 - 2 التفسير التاريخي والأثري:

إن هذه العينات النقدية التي هي محل الدراسة، هي جزء من كنز كبير وثمين عثر عليه

في منطقة عين الدفلى، وهي يحتوي على نماذج متنوعة من المسكوكات الفضية الموحدية ذات الشكل المربع، والتي احتوت الكثير من دور الضرب التي اشتهرت في العصر الموحدى، حيث ما يزال الكثير منها يحافظ على خصائصه الفنية، ومن بينها الدراهم الموحدية التي حملت مدينة قسنطينة كدار للسك الموحدية.

وللإجابة على هذه التساؤلات حري بنا التعرض إلى نبذة مختصرة عن تاريخ هذه المدينة في العصر الموحدى، فتذكر المصادر الإخبارية أن أتباع المهدي بن تومرت قد بسطوا سيطرتهم على مدينة قسنطينة منذ خلافة عبد المؤمن بن علي، الذي تمكن من دخولها والاستيلاء عليها في حدود سنة 547هـ بعد استنفاذه إلى غزو النورماندين، الذين أرادوا الاستحواذ على سواحل إفريقية، وأصبحت منذ ذلك الوقت ضمن حكم دولة الوحدين بعدما جزءا من أملاك الدولة الحمادية استولى الخليفة على مدينة قسنطينة⁽³²⁾.

وقد استمرت المدينة تابعة للخلافة الموحدية حتى بروز ثورة بني غانية، الذي أحكموا حصارا كبيرا على المدينة في سنة 581هـ/1183-1184م، وكادت المدينة أن تسقط في أيدي الثوار لولا تدخل السلطان أبو يعقوب المنصور سنة 583هـ⁽³³⁾ الذي تمكن من دحر أتباع بنو غانية واسترجاع المدينة وضمها إلى طاعة الخلافة الموحدية عام 583هـ/1187م، ولكن المدينة استمرت بعد ذلك عرضة لتحركات هؤلاء الثوار، وفي آخر المطاف تمكن الخليفة الموحدى أبي محمد عبد الله الناصر من فرض سيطرته وتحرير المدينة.

ولكن أتباع بنو غانية لم يهدأ لهم بال، ولم يهضموا تلك الهزائم وأعادوا الكرة في الهجوم على المدينة، وتمكنوا من دخولها سنة 623هـ/1226م⁽³⁴⁾.

وبقيت مدينة قسنطينة مدة طويلة تتأرجح بين سلطة الموحدين تارة، وسيطرة ثوار بنو غانية تارة أخرى، وفي الأخير حسم السلطان أبو زكرياء الأمر بعد خلعه لطاعة الموحدين وأعلن استقلاله عنها وتسمى بالأمير فكان إيذانا بقيام دولة حفصية مستقلة في تونس، وأخدمت بذلك أكبر ثورة (بنو غانية) في المغرب الإسلامي وانطفاً وميضها⁽³⁵⁾.

ومن بين الملاحظات التي يمكن إضافتها على هذه الدراهم السابقة هو مدى التشابه الكبير بين دراهم مدينة (قسنطينة)، والنقود الفضية الموحدية الأخرى التي ضرب في دور الضرب الموحدية الأخرى في المغرب والأندلس، في كتابتي الوجه والظهر، وهي من السيميات الفنية التي ميزت جميع النقود الخاصة بالمقاطعات التابعة لهذه الدولة المترامية الأطراف،

ولاشك أن ذكر مدينة الضرب (قسنطينة) على هذه العينات النقدية، يثير أكثر من سؤال من حيث العدد الضئيل الذي وصل إلينا من نقودها في العهد الموحد، فهل هذا يعود إلى طبيعة نظام السك الذي ربما كان يحد من إنتاجها الكثير، ربما بسبب الحروب والصراعات التي شهدتها هذه المدينة؟.

وما لاحظناه من خلال دراستنا للنماذج النقدية الموحدية، هو قلة العينات التي سجلت مدينة قسنطينة كدار ضرب، حيث وصلت إلينا أربع قطع في حالة جيدة من الحفظ، باستثناء بعض المساحات منها التي أصابها المحو على كتاباتها بفعل عوامل الزمن، حيث تصنف هذه الدراهم من النقود النادرة في عصر الموحدين، وهي كسابقتها بمدينة الجزائر تعتبر حدثا هاما في تاريخ المسكوكات المغربية التي تحمل اسم مدينة الضرب (قسنطينة).

وهذه الدراهم عبارة عن قطع معدنية مصنوعة من معدن الفضة مقاساتها 15 ملم وأوزانها تراوحت ما بين 1,30 غ و 1,40 غ، وتحتوي على كتابات بالوجه والظهر نفذت بالخط النسخي وبأسلوب النقش البارز، ففي الوجه نجد كتابة من ثلاثة سطور تشير إلى العبارات المعتادة في السكة الفضية الموحدية.

- 1- لا إله إلا الله
- 2- الأمر كله لله (لوحة رقم: 01)
- 3- لا قوة إلا بالله

قسنطينة

أما كتابة لظهر فتتألف من ثلاثة أسطر أفقية تشير إلى:

- 1- الله ربنا
- 2- محمد رسول
- 3- المهدي إمامنا.
- التفسير اللغوي:

لقد لاحظنا على هذه الدراهم الفضية الموحدية لمدينة قسنطينة بعضا من الظواهر النحوية التي ارتبطت بالسكة من حيث تشكيل الحروف وإعجامها، هذين العمليتين اللتان أحدثتا على الكتابة العربية بصفة عامة والمسكوكات الإسلامية بصفة خاصة، قد ساهما في إبراز مدلولات الحروف والمعاني من جهة .

ومن جهة أخرى إعطاء بعد جمالي وفني لشعارات لهذه النقود رغم أن هذه المجموعة قد تعرض جزء كبير منها إلى الطمس نتيجة كثير من العوامل منها سوء الحفظ، إضافة إلى محاولة البعض التدليس والتزييف وطبيعية بفعل طول المدة وموقعها الأصلي بين الطبقات الاستراتيجية، حيث نجد في أجزاء الدرهم الواحد مساحات من الحروف قد محيت عن آخرها .

غير أنه رغم ذلك فإننا نتبعنا بعض الظواهر المهمة في هذه النماذج التي تعتبر في الوقت نفسه خصائص ومميزات طرأت على الكتابة والخط العربيين بصفة عامة وعلى عملية الشكل والإعجام بصفة خاصة، وأولا سنتعرض إلى أهم التطورات التي لاحظناها على مستوى شكل الحروف وحركاتها.

فقد بقيت الحروف تحافظ على إعجامها، حيث كتب حرف القاف في (قوة) بنقطة واحدة وهذا مرده إلى خصائص الخط المغربي الذي اشتق من الخط الكوفي، وقد كان يسمى خط القيروان، إضافة- إلى التنقيط على حرف الباء في كلمة (بالله) في السطر- الثالث من كتابة الوجه، إضافة إلى إعجام التاء المربوبة في كلمة (قوة) بنقطتين أما ظهر الدرهم فقد جاءت ألفاظ (ربنا، رسولنا، إمامنا) منقطة النون، حيث نلاحظ أن تنقيط النون في كلمة ربنا جاءت متلاحمة تماما مع العنصر- الزخرفي الموجود.

ففي هذه المجموعة النقدية لاحظنا فوق الميم المبتدأة من لفظة (الأمر) بعضا من الدوائر الصغيرة، التي لا نعرف هل جسدها النقاش بغرض الشكل أم فقط لغاية زخرفية ؟، كما نلاحظ أيضا حركة الضم فوق حرف الكاف في كلمة (كله)، وكذلك في حرف الميم المبتدأة وحرف الدال في لفظة الرسول (صلى الله عليه وسلم) (محمد).

2 - 3 التحليل الأبجدي للحروف:

صورة الألف:

فقد نقشت حرف الألف بأوجه متعددة منها أنها جاءت مطلقة حيث تبدو لنا استقامته من الأعلى إلى الأسفل في كل موضع له من الكلمة ونلاحظ هنا تحكم السكاك في إعطاء الحروف بعدها الأصلي، (جدول 01: اللوحة: 01)

أما الصورة الثانية التي كتب بها هذا الحرف ما يصطلح عليه عند علماء الخط بالألف المشعر، الذي تجئ فيه آخر الألف معطوفة الذنب، ويكون موصولا بغيره، وفي أغلب

الأحيان يكون مطلقا.

أما الطريقة الثالثة التي نفذ بها حرف الألف فهي ألف التحريف، وهي أن يبدأ من هامة الألف ثم ينزل بها مستويا حتى إذا بلغ شاكلته تدور في اتجاه اليسار كما مضى في المطلق والمشعر أنظر (الجدول رقم 01 - اللوحة 01)

-صورة الباء وأخواتها:

ثاني حرف في هذه المجموعات هو الباء الذي هو الآخر حصلت عليه بعض التغيرات، فأول نوع منه، هو الباء المجموعة وهي كمال تدوير العراقة والصعود بطرفها ممالا حتى تأخذ شكل نصف دائرة كاملا، وهي أيضا تنزل من رأسها حتى إذا بلغت مستوى الخط القائم ثم تمتد حتى إذا صار في المؤخرة ترفع ذنب الباء .

أما النوع الثاني الذي نقشت به الباء هو المعقوفة، وهي نفس المراحل التي تمر بها الباء المجموعة، لكن عندما تصل إلى مكان الذي ترفع فيه الذنب تتوقف هناك وتضاف إليها مطة وتسمى أيضا البتر.

أما الضرب الثالث فهي الباء المبسوطة، وهي تشبه في بدايتها الباء المجموعة لكنها ترسم باستقامة وترسل دون انخساف ولا يعكف ذنبها.

أما حروف التاء المربوطة فقد تعددت صورها منها التاء على شاكلة اللام المثلثة، والتي ترفع رؤوسها في الأعلى على هذه الصورة، والتي تسمى التاء المعراة.

أما الوجه الثاني للتاء المربوطة فهي أنها كتبت بنفس الخصائص مع الأولى بتسطيح أحد رؤوس أو قرون التاء، وذلك حتى تستوي عليها النقاط، وربما لضرورة الشكل استحدث النقاش هذا النوع .

والصورة الثالثة أن تكتب أو تنقش التاء المجردة من الرؤوس والقرون إن صح لنا التعبير في ذلك، وتكتب على شاكلة الميم المستديرة نوعا ما، وهو ما يعرف بالتاء المعراة أو المفردة المثلثة وهنا يقع بعض الالتباس، كون أنه يمكن أن الصورة الأصلية للتاء، وأحيانا تدخل عوامل أخرى، مثل تعرض هذه الدراهم للطمس مما يجعل تلك الرؤوس المرتفعة تزول.

-صورة الجيم وأخواتها:

أما فيما يخص حرف الحاء، فلم يتعرض إلى الكثير من التغيرات لأن هذا الأخير اقتصر على كلمة واحدة، وكان في موقع واحد من الكلمة، حيث جاء في اسم النبي صلى الله عليه وسلم (محمد)، وكانت في وسط الكلمة، فمنها ما يكون ابتداءها على مستوى السطر.

-صورة الدال وأختها:

أما فيما يتعلق بحرف الدال، وباعتبار أن هذا الأخير أظهر جليا في كلمتين في ظهر هذه الدراهم، ألا وهي لفظة (محمد) صلى الله عليه وسلم، و(المهدي)، فإننا نسجل هنا عدة محطات لهذا الحرف.

أولها الدال المفردة وهي على شكل زاوية واحدة يجمع طرفها جمعا يسيرا، والصورة الثانية للدال فهي ما يعرف بالمركبة، التي حسب صاحب كتاب الإنشاء تنقسم إلى أربعة أشكال، مجموعة، مبسطة، ومخطوفة، مقطوفة، هذه الأخيرة التي هي أن الخطاط أو النقاش يرفعها بعد الفراغ من الحرف الذي قبلها، إلا أنه بعد الفتلة يبقى لها ذنبا صغير⁽³⁶⁾.

-صورة الراء:

أما حروف الراء فقد ظهرت في مجموعة النقود الموحدية السبعة بأشكالها الثلاثة: مجموعة، مبسطة، ومقورة، فأما المجموعة منها ففيها أن الخطاط يبدأ من رأس الحرف ثم ينزل على خط الاستواء ثم يبدأ في التقويس على شاكلة الباء المفردة، ثم يصعد بالقلم إلى الأعلى.

أما النوع الثاني لحرف الراء فجاء على شكل راء مبسطة مفردة، وهي أن ينزل النقاش بأعلى الحرف ثم يعرق أي يقوس، ثم يرسل الحرف إلى الأمام، على شاكلة الدال المجموعة التي سبق دراستها ثم ينقص منها ويحدد مؤخرتها⁽³⁷⁾، وفي بعض المراجع نجدها تسمى بالراء المرسلة⁽³⁸⁾، حيث يعد نزول في رسم الرأس فبدلا من التقويس إلى الأعلى يرسل الحرف إلى الجهة اليسرى.

أما الصورة الثالثة للراء في هذه الدراهم الموحدية، فهي الراء المقورة، وهي أن ينزل الخطاط من رأس الحرف بأقل مسافة .

-صورة السين:

أما حروف السين، فكانت في أغلبها من ضرب السن المحققة المظهرة، وأن الخطاط بدأ برسم أسنان السين عن طريق الترتيب، وهو أن يبدأ برسم المساحة الأولى ثم يتوقف عند

النهاية، ثم يحدد بالقلم راس المساحة الثانية، والمساحة بين الأسنان تكون متفاوتة بحيث تكون بين الأولى والثانية أقل من الثانية والثالثة على، ويسمى أيضا في مراجع أخرى بالسين المسنن.

وربما اعتمد النقاش على هذه الصورة للسين كونها تحترم المسافات والأبعاد المناسبة لحجم ومساحة الدرهم، كون أن النوع الآخر من السين قد يشغل مساحات أكبر، وكون أن السين قد اقتصر على لفظة (محمد رسولنا).

-صورة الكاف:

وننتقل إلى وضع حرف الكاف، فقد جاءت في أغلبها من نوع الكاف المفردة المبسطة، وهي أن يبدأ النقاش من رأس النقطة ثم يبدأ في التقويس والنزول إلى الجهة اليمنى، ثم الرجوع إلى اليسار عن طريق خط مستقيم

أما الضرب الثاني للكاف، فهو ما يسمى بالكاف السيفي، وهو الانحدار من راس الحرف إلى الأسفل مسافة خمس نقاط نحو اليسار ثم التعرق أو التقويس نحو اليمين ثم الالتفات نحو اليسار أيضا عبر خط مستقيم.

-صورة الفاء وأختها:

أما فيما يتعلق بحروف «الفاء» فقد ظهر التطور جليا، وقد زخرت هذه المجموعات الموحدية بأبرز أنواع الفاء، وأول ما نستعرضه هو الفاء المجموعة، والتي جاءت منقوشة من اليمين إلى اليسار بشكل منحنى متشابهة الرأسين ثم النزول إلى الأسفل لاستكمال كأس الفاء، وهي في ذلك على شاكلة الباء المجموعة.

أما الشكل الثاني الذي نقشته به الفاء، فهو من ضرب الفاء المرسلة، والتي تكتب في الابتداء مثل سابقتها، ولكنها عند النزول تأخذ في الاسترسال على شاكلة الراء المرسلة التي رأيناها في باب الراء، فتكون أقرب ما تكون إلى الواو.

-صورة اللام:

أما حرف اللام فقد كان تطورها هنا على مرحلتين، أولهما اللام المجموعة وطريقها أن تبدأ من قفاها أو رأسها على نحو ما تقدم في باب الألف المطلق لأن هذان الحرفان (اللام والألف) لهما نفس الاتجاه والنظام، ولأنهما مصاحبان لبعضهما البعض، فاللام تكتب في الابتداء ألفا، ثم تعرق اللام عرافة أي تستدير استدارة أكثر حدودا من الباء ثم تجمع أذناها كما جاء في باب الراء.

أما الضرب الثاني فهو اللام المرسلة، وهي أنها كتبت في بدايتها بألف مطلقة ثم عند النزول تعرق، لكنها تزيد في الإرسال عوض أن تجمع أذناها.

-صورة الميم :

وأما الميم فكانت على عدة أوجه، من بينها أنها نفذت على شكل الميم المرسلة وهي أن تبدأ من رأس الحرف بالقيام بتعريق يكون رأس لها، ثم تصعد إلى مستوى هذا التعريق ليبدأ في الإرسال.

أما النوع الثاني الذي ضربت عليه الميم في هذه الدراهم، فهو ميم المجموعة وهي أن تنفذ من اليسار إلى اليمين أي من رأس الحرف إلى مسافة قريبة وتسمى في علم الخط الشظية⁽³⁹⁾.

-صورة النون:

أما حروف النون فهي الأخرى اختلفت ضروبها ومنها :

النون المجموعة وهي أن يبدأ النقاش في رسمها بخط مستقيم ثم ينزل إلى الأسفل بمقدار ما ينزل من الباء، فإذا بلغ مقدار معين يسمى في عرف الخطاطين بالفتلة⁽⁴⁰⁾، ثم يعرق بصورة مستقيمة حتى إذا بلغت المؤخرة ترتفع بمقدار بسيط إلى الأعلى.

أما الضرب الثاني فهو النون المفردة المقورة، فأما طريقها أن تكون على شاكلة نصف دائرة ويكون هناك توازي بين رأس الحرف وذنبه، وأحيانا يكون إحداهما ناقص بقليل عن الآخر.

أما النوع الأخير لهذا الحرف في هذه الدراهم فكان النون المفردة المبسوطة، وهي أن الفنان المسلم ينزل من رأس الحرف كما جاء في النون المجموعة ثم يستدير على هيئة قطعة قوس ثم ترسل.

-صورة الهاء:

أما فيما يخص حرف الهاء، فالجدير بالملاحظة أن هذا الحرف قد تجلى تطوره على هذه المسكوكات الموحدية في ضروب مختلفة، لكن هناك نوع واحد من الهاء قد لاحظناه على أغلب هذه المجموعات، والذي وقع في لفظة (المهدي)، في ظهر الدرهم، وتسمى عند الخطاطين بالهاء المقورة والمستديرة، والتي تكون فيها فتحة البياض بارزة في الشقين وكذلك تسمى أذن الفرس⁽⁴¹⁾.

أما النوع الثاني من الهاء في هذه النقود، فهو ما يصطلح عليها بالمدغمة⁽⁴²⁾، وطريقها أن يبدأ النقاش برسمها بعدما فرغ من الحرف الذي قبلها ويستدير استدارة

صغيرة، وينزل يمينا ثم يصعد إلى مستوى الخط الذي هبطت منه، أما الضرب الأخير للهاء، فهي ما يسمى في عرف الخطاطين بالمخطوفة وهي أن النقاش في هذه الحالة يبدأ بنفس المراحل التي مر بها في المدغمة، كنه في هذه الحالة لا يصعد إلى أعلى وإنما يرسل مؤخرة الحرف إلى الأمام.

-صورة الواو:

أما حرف الواو فهو الآخر نال نصيبا وافرا من الاهتمام من طرف الفنان الموحدى على هذه النقود، كوننا سجلنا عدة محطات لأنواع هذا الحرف، أولها الواو المجموعة والتي تكتب أو تنفذ على شاكلة الفاء أو القاف حيث نلاحظ في مؤخرتها استدارة إلى الأعلى، ويجعل لها ذنبا.

أما الشكل الثاني الذي نفذت به الواو على هذه النقود، فهي الواو المبسوطة، وهي في الابتداء كسابقتها لكنها في مرحلة النزول، يرسلها النقاش عن طريق خط مستقيم.

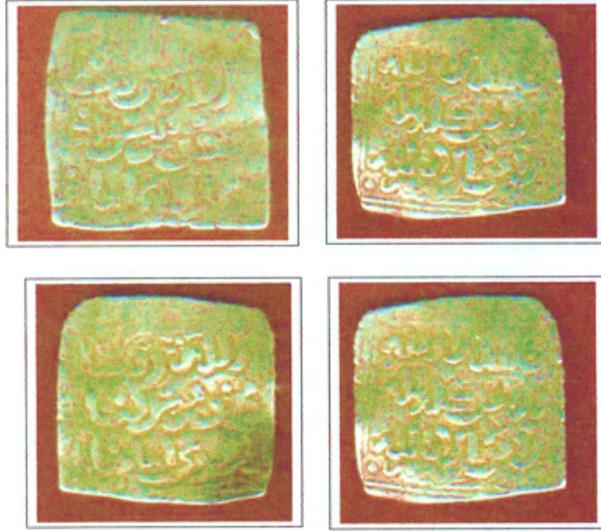
-صورة الياء:

أما الحرف الأخير في مجموعتنا فهو حرف الياء، حيث نلاحظ أن أغلب الدراهم تجلت فيها الياء المفردة المجموعة، وهي أن يبدأ النقاش في هذه الحالة بدأ تنفيذها بأن رسم في بداية حرف الدال مقلوبة ثم عندما يصل إلى صدر الحرف يرسم دالا أخرى مستوية، فإذا ركبنا الدالان حصلنا على هذا النوع من الياء.

أما النوع الثاني من الياء فهو الياء المبسوطة، والتي تكتب كسابقتها في البداية كحرف دال مقلوبة، ثم عند صدر الحرف ترسل الياء بخط مستقيم وتحدد مؤخرتها.

خاتمة:

إن هذه المجموعة النقدية الموحدية التي حملت اسم مدينة قسنطينة كمدينة للضرب، تعد في غاية الأهمية، كونها تؤرخ لفترة زاهية من فترات تاريخ المغرب الإسلامي وهو العهد الموحدى من جهة، ومن جهة أخرى تمثل أيضا شاهدا ماديا في غاية الأهمية لأبرز الأدوار التي اضطلعت بها مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ليضاف كل ذلك إلى سجل المدينة الذهبى، وتكتمل حلقة من حلقات تاريخها المجيد الذي تؤرخه هذه الدراهم الفضية التي تعتبر كغيرها من المسكوكات وثيقة تاريخية رسمية لا يمكن الطعن فيها .



اللوحة رقم 01 : نماذج من الدراهم الفضية الموحدية
المربعة ضرب مدينة قسنطينة

النقد رقم : 02	النقد رقم : 01	النقد الحروف
ا	ا	الألف
ب	ب	الباء
ج	ج	الجيم
د	د	الدال
ر	ر	الراء
ك	ك	الكاف
ل	ل	اللام
م	م	الميم
ن	ن	النون
ف	ف	الفاء
س	س	السين
هـ	هـ	الهاء
و	و	الواو
لام ألف	لام ألف	اللام ألف
ياء	ياء	الياء

الجدول 01 : التطور الأبجدي للحروف على الدراهم

الفضية لمدينة قسنطينة

هوامش البحث:

- (1) - توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1948، ص 93.
- (2) - أنظر: - عبد العزيز فيلاي، مدينة قسنطينة إبان الفتح الإسلام، مجلة مركز الدراسات التاريخية، العدد 19، 1985، ص96.
- رحلة العالم الألماني هابنستريت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 88.
- (3) - الحاج أحمد بن مبارك العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة 2011، ص 95-96.
- (4) - أبي عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، 1992، ص 728 .
- (5) - ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج2، دار صادر- بيروت 1405هـ/ 1984م، ص439.
- (6) - أبو عبد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من زهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق الدكتور إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية ن الجزائر، 1983، ص166.
- (7) - عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1395هـ / 1975م، ص480.
- (8) - نفسه، ص 481.
- (9) - سليمان الصيد، نفع الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، 1994، ص9.
- (10) - نفسه، ص16-17.
- (11) - أبوبكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المملكة المغربية، 1971، ص12.
- (12) - أنظر : - المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص144-145.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: د. إحسان عباس، الجزء الثالث، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1983، ص148.
- (13) - علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية بالرباط، 1420-1999، ص 250.
- (14) - أنظر: أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق

- وتقديم محمد الشاذلي لينفر - عبد المجيد التري، الدار التونسية للنشر، ص103.
- (16) - نفسه، ص276.
- (17) - أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص164.
- (18) - الحاج أحمد بن مبارك العطار، المرجع السابق، ص 170.
- (19) - صالح يوسف بن قرية، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصيين والمرينيين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة، جامعة الجزائر 1996، ص 10.
- (20) - BOUROUIBA Rachid; Abd elMumin, Flambeau des Almohades 2emme - édition, Société National D'édition et Diffusion, Alger 1982, P. 77.
- (21) - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص10.
- (22) - حسن حسني عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية بإفريقية، القسم الأول والثاني، مكتبة المنار، تونس، 1966م، ص455.
- (23) - PARMESHLARI (Lal Gupta), Coins, India 1979, P. 88.
- (24) - البيدق أبو بكر الصنهاجي، المرجع السابق، ص27.
- (25) - أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد السادس، العدد 01-02، 1378هـ / 1985م، ص111.
- (26) - عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، لجنة البيان العربي، 1966م، ص810..
- (27) - صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص10.
- (28) - نفسه، ص 10.
- (29) - عز الدين أحمد موسى النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، 1983، ص300.
- (30) - عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص275-276.
- (31) - أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص111.
- (32) - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص144-145.
- (33) - أنظر: أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص103.
- صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص132.

- (34) - عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص276.
- علي عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص204-205.
- (35) - الزركشي، المصدر السابق، ص164.
- (36) - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص 70.
- (37) - نفسه، ص 72.
- (38) - علي الراوي، الخط العربي، نشأته وتطوره، دار المعارف الإسكندرية، ط1996، ص80
- (39) - يحيى العمري، الدراهم المغربية الأندلسية مجموعة المتحف الجهوي بمليانة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005، ص 127.
- (40) - محمد بن سعيد الشريفي، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة من القرن 04 إلى القرن 10هجرين، الجزائر، 1982، ص36
- (41) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ص95.
- (42) - الإدغام، هو مزج أجزاء الحروف في بعضها أو حذفها وغالبا ما يقع في الميم والهاء وفي الراء والنون المعلقين: أنظر يحيى العمري، المرجع السابق، ص128.

التخزين المتحفي بالمتحف العمومي بسطيف.

أ.ة.سي الطيب رشيدة - أ.د. بالحاج معروف.

مخبر التراث الأثري وتثمينه- جامعة تلمسان

ملخص:

تشكل العمارة المتحفية ذات الأسس العلمية دعامة قوية لنجاح أنشطة المتحف المختلفة، أضف إلى ذلك الإمكانيات المادية التي يتمتع بها أي متحف، خاصة ما تعلق بمهام العرض والتخزين، هذا الأخير الذي نجده يحتاج إلى التفاتة من هيئة متحف سطيف، من أجل توفير أكبر قدر من السلامة والأمن للمجموعات المودعة بالمخزن.

والشرط الأساسي الذي يجب اعتماده في نظرنا في مخازن متحف سطيف هو تفادي مبدأ الانتقاء ومعاملة كل التحف بنفس الطريقة وإعطائها العناية اللازمة، وتذكر الطاقم بشكل مستمر أنها في يوم من الأيام ستكون أي قطعة في قاعات العرض أمام الجمهور، لهذا يجب تقديمها في أحسن صورة.

Abstract :

The museum architecture of scientific bases form strong pillar for the success of the various museum activities, add to that the financial resources enjoyed by any museum, especially those attached to the functions of supply and storage, the latter that we find needs to be a gesture of body Setif museum, in order to provide greater safety and security groups deposited in stocks.

The basic condition that must be adopted in our view in Setif museum stores is to avoid the principle of selection and treatment of all the objects in the same way and give it due diligence, the crew and remember constantly that it one day will be for any pieces in the exhibition halls to the public, this must be presented in the best form.

مقدمة:

أصبحت المتاحف في الآونة الأخيرة من أبرز المظاهر الحضارية، إذ تعد مقتنياتها مرجعا

أساسيا لدراسة هوية الأمم والشعوب من الناحيتين الحضارية والثقافية، مما استوجب ضرورة حفظها وحمايتها بتطبيق أساليب علمية تكفل ذلك، فكانت المتاحف المؤسسة المناسبة التي تأخذ على عاتقها هذه المهمة، وقد شهدت هذه المؤسسة منذ نشأتها تطورا كبيرا على مستوى عمارتها، وطرق ووسائل عرض وتخزين مقتنياتها، ففي الفترة المعاصرة أصبحت تولي اهتماما بالغا للجانب التربوي والثقافي لدى زائريها أيا كان مستواهم الثقافي.

والمتحف مهما كان حجمه ونوعه، لا يمكنه أن يمارس وظائفه بنجاح وفعالية، ما لم يقيم بفصل مجموعاته المتحفية التي يحتضنها، وينظمها بين أجنحة العرض وقسم التخزين تنظيما يليق بها، ويحميها من كل العوامل التي قد تؤثر في صحتها.

ومما لا شك فيه أن العمق الحضاري للدول كان دافعا قويا في إنشاء المتاحف وتطورها، وهذا ما تتمتع به الجزائر، حيث أن المستعمر الفرنسي قد أدرك هذه الحقيقة، مما جعله يؤسس أول متحف جزائري خلال فترة الاحتلال، والأمر يتعلق هنا بمتحف الآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة، وبعد الاستقلال أخذت السلطات الجزائرية على عاتقها مهمة إنشاء المتاحف، لتبدأ مسيرة تشييد المتاحف الجزائرية ببناء متحف سطيف الوطني الذي يعد أول مؤسسة متحفية أقيمت بعد الاستقلال بتصميم عصري يتلاءم ومهمة احتضان التراث المادي الجزائري. تعد مهمة الحفاظ على المقتنيات الأثرية من أصعب المهام التي وُكِّلت إلى المؤسسة المتحفية التي تعمل وتسهر على القيام بها بشكل احترافي يضمن سلامتها، وذلك باستخدام أساليب وطرق علمية متنوعة سواء في العرض أو التخزين.

وسنحاول في هذه الدراسة البحث في المعايير الأمنية التي تتبعها المؤسسة المتحفية في وسط التخزين لحماية مقتنياتها، وإلى أي مدى يتبنى متحف سطيف الوطني تلك المعايير ويطبّقها ميدانيا؟

1- مفهوم التخزين المتحفية:

يعرف المتحف بأنه مؤسسة ثقافية مقامة من أجل الحفظ، والدراسة للمجموعات الفنية أو التاريخية أو العلمية أو التكنولوجية التي يحتضنها من أجل تحقيق المتعة، والمشاهدة لدى الجمهور الزائر لها.⁽¹⁾

وعليه فإن عملية الحفظ، والدراسة، والمتعة، تعد من المهام الأساسية للمتحف، والتي لا يمكن القيام بها بالشكل المطلوب دون الفصل بين المجموعات المتحفية، بغية تنظيمها

لمتطلبات هذه المهام، وهذا ما فرض على الهيئة المسيرة للمتحف تنظيم مقتنياته، وتوزيعها على جناح العرض، وقسم التخزين.

ويعرف المخزن المتحفي بأنه الفضاء الذي تحفظ فيه المجموعات المتحفية غير الخاضعة للعرض أو البحث، ولمخزن المتحف أهمية بالغة، إذ أن السمة الأساسية التي يتصف بها مخزن المتحف مقارنة بقاعات العرض هو زخم مجموعاته المتنوعة والمختلفة الأصناف والأحجام، التي تودع في أماكن محدودة.⁽²⁾

وتبقى هذه المجموعات في المخزن إلى أن يحين وقت عرضها، وبهذا الشكل تكون محمية من المؤثرات البيئية وحتى البشرية.

أهمية التخزين المتحفي:

ان نجاح عملية التخزين في المتاحف تعكس نوعية الانشطة الأخرى المقدمة في كنفه، وهذا ما يدفع للاهتمام المتزايد بهذا القسم، والذي كثيرا ما تتجاوزه هيئة المتحف، نظرا لعدة أسباب، نجد أهمها بقاء هذه المجموعات بعيدة عن نظر الزائر، وتكمن أهمية هذه العملية في:

- التخزين بعناية وبطريقة سليمة من شأنه حفظ المقتنيات وحمايتها من التلف، ودرء الأخطار البشرية والبيئية عنها.
- تشكل المجموعات المحفوظة في المخزن الارضية الخصبة للعديد من الابحاث العلمية.
- إن التسيير الجيد والفعال للمجموعات في المخزن من شأنه أن يشجع المتحف ويدعمه في مختلف النشاطات التي يقدّمها، وحتى تطويرها، وهذا مرده المجموعات الكبيرة التي يشملها المخزن، والتي يمكن استخدامها في العديد من النشاطات كالعروض المؤقتة أو المتنقلة، وهذا دون الاخلال بوظائف المتحف أو التأثير فيها.
- يعد المخزن جزء لا يتجزأ من الهيكل العام للمتحف، فهذا يسهل ويسر بدرجة كبيرة عملية مراقبة المواد الأثرية وتتبع حالتها من طرف المختصين، وهذا قد لا يتوفر في حالة احتواء المتحف في كنفه المعروضات فقط، وخصصت منطقة أخرى للتخزين، وبهذا الشكل تزيد معدلات الخطر على هذه المواد بشكل مضاعف.

2- لمحة عن متحف سطيف:

تأسس المتحف الجهوي لمدينة سطيف في 30 أفريل 1985، وبذلك عد أول منشأة استحدثت خصيصا لأداء وظيفة المتحف بعد الاستقلال.

ويعود تاريخ بداية اقتناء مجموعاته مقتنياته إلى سنة 1896، حيث انطلقت عملية جمع التحف التي عرضت في حديقة أورليون المسماة حاليا بـ "الأمير عبد القادر"، وفي سنة 1932 فتحت قاعة بثانوية "ألبارتي" المعروفة حاليا بـ "محمد قرواني" حاليا، وهذه المقتنيات شكّلت النواة الأولى لمتحف سطيف الجهوي الذي حوّل سنة 1968 إلى قصر العدالة القديم الذي كان مهدداً بالسقوط، وهذا ما دفع بالسلطات إلى استحداث المتحف الجهوي لسطيف سنة 1985، ليرتقي سنة 1992 إلى متحف وطني.

أما من حيث الموقع فمتحف سطيف الوطني يقع في شارع رئيسي المعروف بشارع جيش التحرير الوطني، حيث تصادف مقر الولاية في الجهة الشرقية للمتحف، وكذا القطاع العسكري، أما الجهة الشمالية فنجد دار الثقافة، أما من الجهة الغربية فنصادف حديقة التسلية، ومن الجنوب نجد وسط المدينة، والبريد المركزي.

وللإشارة فإن موقع المتحف ساعده كثيرا في استقطاب الزوار، فهذه المنطقة تاريخية بامتياز، حيث تضم العديد من المعالم التاريخية بالمنطقة، كالمسجد العتيق، والحمامات الرومانية، وعين الفوارة التي تقع على مسافة قريبة جدا من المتحف، وهذا إضافة إلى حديقة الأمير عبد القادر.

3- التخزين في متحف سطيف:

لم يقتصر متحف سطيف على جناح واحد للتخزين، بل خصص للعملية جناحين منفصلين؛ وهما مخزن روجي جيرى ومخزن أنيسة محمدي (المخطط رقم 01).

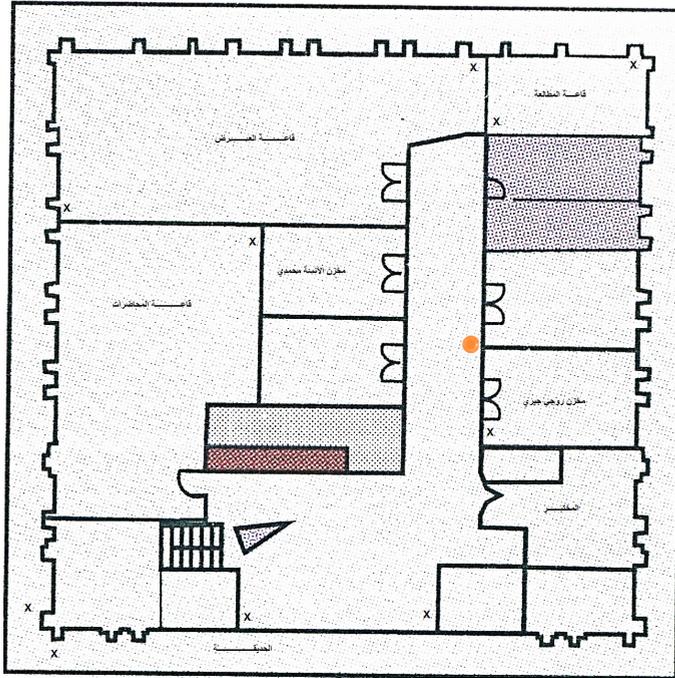
4-1 موقع جناح التخزين:

يقع المخزنين في الطابق تحت أرضي بشكل متقابل تقريبا وبالقرب من مخبر التصوير والترميم وقاعة العروض المؤقتة، وبهذا الشكل يكون موقع المخزن منفصلا وبعيدا نوعا ما عن قاعات العرض الدائم، التي تقع في الطابق الأول، وبالتالي فهذا الموقع له مزايا وعيوب تتعلق بطريقة تسيير المقتنيات، وحفظها داخل المتحف، خاصة عندما ما يتعلق الأمر بعملية النقل التي قد تطرأ على المواد المتحفية المخزنة.

يأخذ المخزن موقعا في ناحية تقل فيها الحركة نوعا ما مقارنة بالطابق الأول والثاني بشكل عام، ويمكن القول بأن المخزنين معزولين نوعا ما، وهذا لا يساهم بالشكل المطلوب في عملية المراقبة المستمرة، بل على العكس قد يجعلها عملية صعبة.

إن وجود المخزنين في الطابق تحت أرضي، في حين تقع المكاتب الإدارية الخاصة بمصلحة الحفظ والصيانة في الطابق الثاني من شأنه خلق بعض الصعوبات ولو كانت بسيطة في عملية تنقل الطاقم نحوه.

ما ذكرناه، فكلما المخزنين يقعان في ممر واحد ينتهي عند المدخل الثانوي للمتحف، وربما هذا ما سيجعله عرضة لأعمال السرقة، لاسيما إذا علمنا أن عمال الأمن يوجدون في غالب عند المدخل الرئيسي للمتحف.



X كاميرات المراقبة أجهزة الإطفاء المداخل الثانوية للمتحف

محط رقم ٠٠١: موقع المخزنين بالطابق تحت أرضي متحف سطيف.

عن / p21, 2004, Ministère de la Culture, Musée National De SETIF بتصرف.

زياد

4-2 مخزن Reger Gery:

افتتح مخزن روجي جيرى سنة 1985 وهو عبارة عن القاعة ذات تصميم مستطيل الشكل تضم مكتشفات أثرية قادمة من الحفريات التي أقيمت في المناطق الآتية: المقبرة الشرقية، الحمامات، السيرك، حي المعبد وحي الكنائس، عين السلطان، خربة يعقوب، عين الحنش، مزلوق، جميلة، قلعة بني حماد وأخيرا القلعة البيزنطية خلال الفترة الممتدة من سنة 1959-1966.

وما يشتمل عليه هذا المخزن من مجموعات تفوق بكثير مقتنيات المخزن الثاني وتعود تلك المحتويات إلى فترات تاريخية مختلفة:

- فترة ما قبل التاريخ: ونجدها تتنوع بين المستحاثات، والعظام، ومجموعة من الأدوات الحجرية.
- الفترة القديمة: تعود معظم المواد المخزنة في هذا المخزن إلى هذه الفترة القديمة ومنها على سبيل المثال لا الحصر: مجموعة كبيرة جدا من المصنوعات الفخارية، والخزفية موالمصابيح، والصحون، والأطباق، والجرار، والقدور، والأقداح، والرضاعات، بالإضافة إلى قطع رخامية، وأدوات مصنوعة من الحديد، والبرونز تشبه تلك المعروضة في قاعات العرض، ونجد أيضا أدوات من الكلسي مثل معاصر الزيتون وأرحية، وإلى جانب ما سبق فهناك القطع النقدية.
- الفترة الإسلامية: إنَّ عدد القطع الأثرية التي تعود إلى هذه الفترة أقل بكثير من سابقتها، ونجد منها على سبيل المثال مصنوعات وشقف فخارية، وخزفية، وقطع من الرخام الأسود، وبلاطات خزفية، وقطع جصية، كما نجد العديد من القطع النقدية المخزنة التي تعود إلى الفترة القديمة والإسلامية.

4-2-1 طريقة التخزين وتجهيزاتها:

لقد تم حفظ المقتنيات الثرية داخل مخزن روجي جيرى باستخدام ثلاثة طرق، وهي الرفوف والخزانات والأرضيات.

أ - الرفوف:

تم حفظ أغلب المواد المخزنة بمخزن جيرى بالرفوف:

فأما من حيث المادة فقد استخدمت الرفوف الحديدية، لكنّها غير قوية ومتينة بما فيه الكفاية، وهذا ما يلاحظ من خلال تشوّه بعضها، وهي مطلية بطلاء مقاوم للصدأ.



الصورة رقم (02) النوع الثاني من الرفوف.

وأما من حيث الشكل فجاءت الرفوف المستعملة على نوعين:

- ففي النوع الأول تم فتحها من الجهة الأمامية فقط، وهي تلتصق مباشرة بالأرضية، إذ لم تترك أي مسافة بين الأرضية والرف الأدنى وهي تتضمن ستة طوابق، وأحيانا سبعة. (الصورة رقم 1)



الصورة رقم (01) النوع الأول من الرفوف.

- وأما النوع الثاني فهي عبارة عن رفوف مفتوحة من الجهات الثلاثة وتم إغلاق الظهر فقط، وجاءت ذات ارتفاع مناسب جدا عن الأرضية، وهو ما يضمن سلامة التحف في حالة

تسربات المياه، وتتألف من أربعة أو خمسة طوابق تتميز بعمقها القليل، وصغر المساحة المخصصة لوضع التحف، وهذا الأمر يتكرر أيضا في النوع الثاني. (الصورة رقم 2)



الصورة رقم (04) ترتيب المصابيح الزيتية.

الصورة رقم (03) ترتيب الصحون الفخارية.

وأما من حيث ترتيب التحف:

- أغلب المواد رتب على حسب نوع المادة والوظيفة، (الصورة 3، 4) كما أن الترتيب احترم أيضا الفترة التي تعود لها هذه القطع، حيث نجد في أول القاعة الرف الأول الذي يستند على الحائط والمخصص لفترة ما قبل التاريخ ويقابله مباشرة رفان يلتقيان عند الظهر مخصصان للفترة الإسلامية، وما تبقى من الرفوف التي يتجاوز عددها تسعة رفوف خاصة بالفترة القديمة، وهنا يلاحظ تقسيم القاعة على حسب التسلسل الكرونولوجي، وهي طريقة فعالة جدا في تسهيل الوصول إلى القطع.
- الوضع المباشر على الرفوف بدون استخدام أي فواصل.
- عدم احترام مساحة طوابق الرفوف والتي نجدها غالبا ما تحتوي على أعداد هائلة أكثر من الحجم الذي يمكن أن تستوعبه، ما أدى إلى تهديد سلامة التحف التي وضعت بشكل غير سليم، فهي كثيرا ما تتكئ على بعضها البعض ما يجعلها تحتك فيما بينها، (الصورة رقم 5) وهذا أمر يستلزم على الطاقم الساهر على رعاية المخزن تفاديه، بالإضافة إلى وجود عدد معتبر من القطع خارجة عن حافة الرفوف (الصورة رقم 6) وهو أمر خطير قد يؤدي إلى انكسار القطع بشكل كامل، وبالتالي ضياع التحفة وفقدانها نهائيا، خاصة وأنها سريعة التكسر.

- إنَّ عملية وضع بطاقات الجرد المرافقة للمتحف المرتبة على الرفوف، لم تشمل كل الرفوف.
- هناك تراكم للقطع بعضها فوق البعض، حيث وضعت الواحدة فوق الأخرى كالصحن مثلا، وذلك دون وضع أي حواجز بينها، وهذا بالإضافة إلى عدم ترك مسافات فاصلة بين القطع.
- لم يراع في طريقة وضع التحف المعايير الأمنية بالشكل الكافي، أي لم يتم مراعاة ثبات القطع أثناء الترتيب.



الصورة رقم (05) الاستغلال المكثف للرفوف. الصورة رقم (06) عدم مراعاة حجم النخبة مع مكان حفظها.

- التشوه الذي تعرضت له بعض الرفوف كان سببه تحميل الطوابق أكثر من طاقتها.

ب - الخزانات:

- استخدمت خزانتان فقط، هذا المخزن؛ وهما مصنوعتان من مادة الخشب، وجاءتا على شكل أدراج صغيرة متراكبة وقليلة العمق، وفي كثير من الأحيان تم الاستغناء عن بعضها، وقد استعملت هذه الخزانات في حفظ القطع النقدية التي وضعت على طريقتين:
- ففي حالة ما إذا كانت القطعة النقدية تحمل رقم الجرد فإنها توضع داخل ألبومات ذات جيوب خاصة، حيث يوضع القطعة رفقة بطاقة ورقية صغيرة تحمل رقم الجرد .
 - وفي حالة ما إذا كانت القطعة النقدية لا تملك رقم الجرد، فإنها تعد من الهبات التي منحت مؤخرا للمتحف، ولذلك توضع داخل أكياس بلاستيكية شفافة رفقة بطاقة تحمل مختلف المعلومات حولها مثل العدد، طريقة الاقتناء، المصدر، الوصف، التاريخ.

كما نلاحظ أن المخزن مجهز بطاولة وضعت تت تصرف عمال المتحف لاستخدامها حسب الحاجة، وقد تم اقتناء خزانتي معدنيتين حديثتين، لكنهما لم يتم توظيفهما بعد.

ج - الوضع المباشر على الأرض:

استخدمت هذه الطريقة على المقتنيات ذات الحجم الكبير والوزن الثقيل، التي لا يمكن أن تستوعبها الخزانات ولا الرفوف وتتمثل هذه المقتنيات في القطع الحجرية، والرخامية، والجرار الكبيرة، وقد وضعت مباشرة على الأرض دون استخدام أي حاجز، وكثيرا ما تعيق هذه الطريقة حركة المرور داخل المخزن.

أما عن الوسائل الخاصة بنقل التحف فتستعمل عربة واحدة كبيرة الحجم انقل كل أنواع المقتنيات في الرواق الفاصل بين المخزنين.

4-3 مخزن أنيسة محمدي:

مخزن أنيسة هو أحدث من مخزن روجي جيري من الناحية التاريخية، حيث افتتح سنة 2006، ويتخذ مدخل هذا المخزن نفس شكل مدخل المخزن الأول، وهو عبارة عن قاعة مستطيلة شكل، (الصورة رقم 7) تحوي بداخلها المكتشفات المستخرجة من الحفريات الأثرية التي أقيمت بين السنوات 1977 - 1984، وتتمثل المقتنيات في مجموعات كبيرة من القطع الفخارية والخزفية، كما نجد كذلك قطع عظمية وزجاجية ومعدنية وحتى حجرية، بالإضافة إلى القطع المشكلة اللوحات الفسيفسائية. (الصورة رقم 8).



الصورة رقم (07) مخزن أنيسة محمدي. الصورة رقم (08) شكل حفظ مختلف المواد بالمخزن.

4- 3- 1- طريقة التخزين وتجهيزاتها:

استخدمت في حفظ المقتنيات أو المجموعات الأثرية داخل مخزن الآنسة محمدي طريقة واحدة تتمثل في لرفوف.

أ - الرفوف:

استخدمت أساسا لوضع الصناديق والعلب، فكل ما تضمه القاعة من مجموعات تم وضعه داخل صناديق خشبية أو علب بلاستيكية ذات غطاء.

وقد استخدم طريقتان في التخزين، فأما الأولى فتتمثل في وضع القطع الأثرية في أكياس بلاستيكية، تحمل أرقام جرد للقطع الموضوعة بداخلها، واما الثانية فيتم وضع اللقى الأثرية مباشرة داخل الصندوق، وذلك بالنسبة للمواد غير العضوية، كما نجد أن هذه الصناديق تحتوي أيضا في جهتها الأمامية على بطاقات، بحيث نجد فيها رقم الصندوق ونوع المادة الموجودة بها وأرقام جرد القطع، وأحيانا يسجل عليها أيضا تاريخ الحفريات.

- هذه الرفوف مصنوعة من الحديد، وهي ذات أربع أو خمس طوابق، تتميز بعمقها القليل وارتفاعها عن الأرضية، هذا الفراغ الذي استغل في كثير من الأحيان في وضع المحتويات، وتتميز هذه الرفوف أيضا بأنها مفتوحة من جوانبها الأربعة، ولا توجد مسافة فاصلة بينها وبين الجدران.
- ما يميز طريقة التخزين هنا هو احتواء العلب بشكل كامل على نوع معين من اللقى الأثرية، مثل الفخار أو العظام، والزجاج، وهكذا دواليك.
- تم احترام متانة الرفوف تماما حيث تحملها، التي تحملها، حيث رتبت هذه الأخيرة من الأخف التي نجدها في الأقسام العلوية إلى الأثقل التي تأخذ مكانها في الأسفل.
- لقد أخذت بعين الاعتبار حساسية المواد وهشاشتها ونقص مقاومتها، إذ روعي استخدام الأكياس في تخزين القطع الزجاجية والعظمية، فلاحظ أن كيسا واحدا يحمل تحفة واحدة مرفقة برقم جردها.
- وضعت بعض القطع الفخارية الكبيرة في صناديق أصغر من حجمها، مما يجعلها عرضة لخطر السقوط، وبالتالي ضياعها.
- تحميل الصناديق أكثر من طاقتها، وهذا ما يشكل خطرا على القطع الأثرية من جهة، من جهة ثانية فإنه يعيق عملية الوصول إليها بسهولة.

- الإهمال للعديد من الصناديق الخشبية داخل القاعة، وكان بالأحرى أن يتم استبعادها من ذلك المكان، نظرا لما تمثله من خطورة كبيرة على المخزن، لاسيما وأنها مصنوعة من مادة الخشب التي تساهم بشكل كبير في نشوب الحرائق، وهو نفس الأمر بالنسبة للخزانة الخشبية الوحيدة الموجودة في هذا المخزن.
- كما نجد كذلك أن المخزن جهّز بأربع طاولات كبيرة الحجم سخرت لعمليات الفحص والدراسة والجرد التي تخضع لها القطع الأثرية.

4-4 الأجهزة المستخدمة على مستوى المخزين:

جهّز المخزان بأجهزة متنوعة وضرورية تساهم بقسط كبير في حفظ وحماية المقتنيات الأثرية المخزنة بداخلهما.

أجهزة ضبط المناخ: تم الاعتماد على استخدام أجهزة التكييف المركزي في المتحف.

أجهزة إطفاء الحرائق: وضعت قارورة واحدة في الممر الفاصل بين المخزين، وفي المقابل تم الاستغناء عن هذه الوسائل داخل القاعتين.

أجهزة الإضاءة: اتم الاعتماد في عملية الإضاءة داخل المخزين على الصناعية والطبيعية، فبالنسبة للأولى استخدمت المصابيح (النيون) المستقيمة المثبتة في السقف، وأمّا بالنسبة للإضاءة الطبيعية فقد فتحت أربع نوافذ بمخزن روجي جيرى على مستوى الجدران، ولكن الأمر مختلف بالنسبة لمخزن أنيسة محمدي الذي اقتصرت إضاءته على الإنارة الاصطناعية، وعليه فالمخزن يبدو مظلما نوعا ما مقارنة بمخزن روجي جيرى.

أجهزة المراقبة: لا يحتوي مخزن أنيسة محمدي على هذه الأجهزة على عكس مخزن روجي جيرى الذي تم تجهيزه بكاميرتين؛ إحداها موجهة إلى الرفوف والثانية إلى المدخل.

5 - خصائص جناح التخزين:

إنّ ما يميز جناح التخزين بالمتحف:

- فرض الحجم الكبير للمجموعات الأثرية على الطاقم المسير الاستخدام المكثف للفضاء المتوفر في المخزين، وهذا الأمر انعكس سلبا على تسيير هذه المجموعات.

كما كان للاستغلال المكثف أثر كبير على تنظيم وترتيب المخزين بشكل مناسب، إذ يحتاج المخزان إلى إعادة التنظيم بما يضمن أكبر قدر ممكن من السلامة والأمن للتحف

المخزنة، وهذا الأمر يستدعي إعادة النظر في طريقة ترتيب المقتنيات، ومن هذا الجانب فالمخزنان يعرفان صعوبات جمة للوصول إلى القطع المراد فحصها.

- أغلب تجهيزات المخزنين تحتاج إلى أعمال الصيانة مثل الخزانات والرفوف وغيرها، أو إعادة تجديدها بما يضمن سلامة التحف بشكل أكبر.
- وجوب الاستغناء عن كل الأغراض التي لا يتم استخدامها خاصة الأغراض الخشبية، والتي تهدد المخزن في حالة الحرائق كما أن هذه العملية تساعد في زيادة المساحة في المخزنين.
- انعدام وجود سجلات خاصة بالمخزنين والاكتفاء ببطاقات الجرد.

6 - المشاكل التي يعاني منها جناح التخزين في المتحف:

- فمن حيث موقع المخازن يبدو أنه لم تتم الدراسة والتصميم المسبق لموقعهما، مما أدى إلى بروز عدة مشاكل نتيجة اختيار الموقع غير الملائم.
- يمتاز المخزنان بضيق مساحة فضائهما، مما يجعلنا نعتقد بأن التصميم المعماري لفضاءات المخازن لم يتم بطريقة عقلانية بحيث يمكّنها من استيعاب جميع المجموعات الأثرية المقرر تخزينها في المتحف، فكان من الضروري إذا تصميم الفضاءات انطلاقاً من مبدء دخول المجموعات بشكل مستمر نحو هذه المخازن، وهذا ما يستدعي تصميم فضاءات احتياطية يراعى فيها حجم الزيادة السنوية لمختلف الأصناف من المقتنيات الأثرية، وتحديد المساحات المطلوبة لحفظها، وهذا أمر يستوجب أخذه بعين الاعتبار في مرحلة تصميم المخازن المتحفية، التي يراعى فيها معايير الحفظ لكل صنف من أصناف اللقى الأثرية التي ستودع بها على حدة، ولا بد أيضاً من التقدير النسبي لحجم الإضافات المستمرة للمجموعات الوافدة إلى المتحف.
- ومن أهم المشاكل التي تعاني منها المخازن بشكل عام، هي عدم خضوع هذا القسم من المتحف للعرض وحجمه عن زائري المتحف، مما يقلل من اهتمام به القائمين على المتحف به.
- تنعكس كثافة المجموعات داخل كلا المخزنين بشكل سلبي على نوعية التجهيزات المستخدمة في المخزنين، وأيضاً نوعية الخدمات المقدمة اتّجاهه من قبل الطاقم الإداري المسير، خاصة ما تعلق بالتسيير العقلاني لهذه المجموعات.

- إنّ لظروف التخزين غير الملائمة تأثير مباشر على التحف المخزنة، ممّا يجعلها عرضة لأخطار عديدة تهدّد حياتها، وقد تؤدّي إلى زوالها.
- يؤثر الاستخدام المكثف للمساحة المتوفرة للتخزين على المبدأ الأساسي للمخزن المتحفي، الذي يتمثل في كون التحف تصبح سهلة المنال.
- سجلنا انعدام أجهزة الرقابة المناخية أو توفرها بشكل غير كاف.
- انعدام التهوية الكافية في المخزين.
- انعدام أجهزة المراقبة بشكل كاف، بحيث يضمن سلامة وأمن التحف المودعة في المخازن.
- الوسائل والمعدات التي جهزت بها المخازن غير مستقرة كيميائياً، ما يجعل التحفة معرضة لخطر التلف بشكل أكبر، وأغلبها يحتاج إلى صيانة.
- تحتاج الكثير من القطع الأثرية المودعة في المخازن إلى أعمال صيانة، وقد يستدعي الأمر في كثير من الأحيان اللجوء إلى عمليات ترميمي من أجل ضمان استمرار حياة التحفة وإيصالها للأجيال القادمة في شكلها المناسب.
- يعاني المخازن من مشكلة انعدام النظافة وقلة التنظيم وتكديس المجموعات ووضعها بشكل غير ملائم، مما يساهم في تدهور صحة التحف بشكل سريع

7 - التدابير اللازمة لتخزين المقتنيات المتحفية:

- لضمان نجاح عملية التخزين المتحفي يجب مراعاة ما يأتي:
- الحد قدر المستطاع من التأثيرات والتقلبات البيئية، وذلك بجعل فضاء المخزن بعيداً عن الجدران الخارجية للمتحف.
- يلجأ إلى استخدام المخزن في حالة ما إذا توفرت كل الشروط المناسبة للسيطرة على البيئة المحيطة وتوفير الاستقرار التام للمواد المخزنة.
- يجب استخدام الإنارة في أوقات العمل فقط، ويتم إطفائها في الأوقات الأخرى، وبالتالي الاعتماد على الإنارة الاصطناعية التي يسهل التحكم فيها، وإذا كانت هناك نوافذ فيجب الحرص على تزويدها بالستائر⁽³⁾.
- لا بد من الحرص على تثبيت أجهزة معدلات الحرارة والرطوبة النسبية، حيث يتوجب أن تكون درجة الحرارة بين 15-25 درجة مئوية، ونسبة الرطوبة 50-60، وذلك حسب مقاييس الحفظ المعروفة، ومن أجل ذلك يجب تسخير كل الوسائل والأجهزة.

- ضمان التهوية المناسبة لها أثر كبير في حفظ المجموعات، خاصة إذا علمنا أن السمة الأساسية للمخازن المتحفية هي ضيق المساحة، لهذا يجب استغلال هذه المساحة استغلالا عقلانيا يراعى فيه توفير التهوية المناسبة، وبالتالي درء الخطر أو التلف البيولوجي.
 - لا بد من إقرار نظام داخلي للمخازن بحيث لا يسمح إلا بحضور عدد مناسب من العاملين بالمتحف داخل المخزن، بل لا بد أن يقتصر الأمر على الموظفين المختصين بالحفظ والترميم والصيانة، وهذا الأمر له مزايا كثيرة في تنظيم العمل داخل المخزن المتحفى وتسييره بالشكل المناسب، وبالتالي تفادي عبث غير المختصين، وحتى عمليات السرقة التي غالبا ما تحدث نظرا لكثافة المجموعات وانعدام المراقبة الشديدة بهذا القسم من المتحف.
 - يجب اتخاذ كافة التدابير للوقاية لخطر الحرائق من فحوص دورية للتجهيزات والتوصيلات الكهربائية كلها داخل المخزن وفي محيطه، ودراسة مدى إمكانية تحملها حسب الاستخدامات المتكررة، وكذلك توفير العدد المناسب من أجهزة الإطفاء المختلفة التي تأخذ بعين الاعتبار اختلاف مواد المقتنيات المتحفية، وكإجراء وقائي أيضا لا بد من الاستغناء عن المواد والمعدات غير المستعملة في المخازن، ولاسيما القابلة للاشتعال السريع، ويجب أيضا إتباع قواعد السلامة العامة.
 - لا بد من توفير الأنظمة التقنية من أجل درء الأخطار البشرية كأجهزة الإنذار والكاميرات والحرص على المراقبة المستمرة واتخاذ كل الإجراءات الوقائية.⁽⁴⁾
 - الحرص على توفير بطاقات وسجلات تتضمن كل التحف التي بالمخزن، وذلك بمجرد إدخال القطعة للمخزن فتسجل تسجيلا دقيقا يحدد القاعة، الخزنة، أو الرف.
- كما يجب الحرص على وضع بطاقات فوق وحدات التخزين والتي تسجل فيها القطع التي توضع في هذه الوحدات، وهذه طريقة فعالة جدا ومن شأنها اقتصار الوقت والجهد على هيئة المخزن أثناء البحث عن القطع المنفردة بين المجموعات الكبيرة، وكذا تأمين سلامة التحف.⁽⁵⁾

خاتمة:

إنّ عدم توافق التصميم المعماري للمتاحف مع المتطلبات الوظيفية للمتحف المعاصر، والذي يعود في الأساس إلى عدم تصميم هذه المباني لتكون متحفا، وهذا ما شكّل عائقا

كبيرا أمام نجاح رسالتها وفشلها في تأدية الأدوار المنوطة بها، والتي يأتي في مقدمتها العرض المتحفي، وإذا ما أضفنا إلى شكل المبنى غير الملائم مشكل الإمكانيات المادية المحدودة الممنوحة للمتحف، فسيصبح الأمر صعبا، مما يجعل المتحف عاجزا عن أداء مهمته المتمثلة في إيصال الرسالة الثقافية إلى جمهوره من جهة، ومن جهة أخرى عاجزا على حفظ مقتنياته وحمايتها من الاندثار والزوال، خاصة بالنسبة للمجموعات المودعة في المخازن.

وعلى غرار المتاحف الجزائرية على العموم، فإن مخازن المتحف الوطني بسطيف تعاني من عدة مشاكل يصعب غالبا تجاوزها، ولا بد من معالجتها في الأجل القريب لتفادي إصابة المجموعات المحفوظة فيها بأخطار تؤدي إلى زوالها/ ويمكن سرد تلك المشاكل فيما يأتي:

- أولا رفع مستوى التخزين من حيث الجودة والمساحة، وهي عملية تتطلب مبالغ مالية كبيرة، في حين نلاحظ أنّ جل المتاحف تناضل حاليا من أجل ضمان ميزانياتها في التسيير،
- ثانيا تعد مشكلة التخزين من المشاكل المتشعبة والعويصة التي يتعذر في كثير من الأحيان إدراك الكيفية التي يمكن التعامل معها في ظل التنوع والاختلاف الكبير بين أصناف القطع الأثرية، وأيضا مشكل الفضاء المعماري المخصص للتخزين الذي يتسم بضيق مساحته، وبالتالي محدوديته في استيعاب المجموعات الأثرية آنيا ومستقبلا.
- ثالثا عدم توفر طاقم بشري متخصص ومؤهل. للقيام بأعمال الصيانة الدورية والترميم الذي يحتاج إلى أياد متخصصة بأتم معنى الكلمة، لأن الأمر يتعلق بتراث أمة بأكملها.
- رابعا لا بد من فتح مختبر تجرى فيه كل عمليات الترميم، إذ لا يمكن الاكتفاء بتوفير طاولات للقيام بهذه الأعمال، فهذا يدل على العبثية وقلة الوعي بالمسؤولية من قبل المؤسسات المعنية.

هوامش البحث:

1 - عبد الحليم نور الدين، متاحف الآثار في مصر والوطن العربي دراسة في علم المتاحف، ط1، القاهرة، مصر، 2008، ص13.

2 - VADE-MECUM de la conservation préventive, centre de recherche et de restauration des musées de France, département conservation prévention, 2006, France, p22.

3- آن سيرت، «اتجاهات جديدة في الصيانة الوقائية ما الذي يمكن القيام به حول المناخ والطوارئ

- والآفات»، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 18-19 نوفمبر 1995، منشورات الفرقان، لندن، 1998. ص 299
- 4- برخينيا باخة ديل بوثو، علم الآثار وصيانة الأدوات والمواقع الأثرية وترميمها، ت. خالد غنيم، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان، 2002، ص 124-125.
- 5 - عبد الحليم نور الدين، مرجع سابق، ص 165.

قائمة المراجع:

- ديل بوثو (برخينيا باخة)، علم الآثار وصيانة الأدوات والمواقع الأثرية وترميمها، ت. خالد غنيم، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان، 2002.
- سيرت (آن)، «اتجاهات جديدة في الصيانة الوقائية ما الذي يمكن القيام به حول المناخ والطوارئ والآفات»، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 18-19 نوفمبر 1995، منشورات الفرقان، لندن، 1998.
- نور الدين (عبد الحليم)، متاحف الآثار في مصر والوطن العربي دراسة في علم المتاحف، ط1، القاهرة، مصر، 2008.
- VADE-MECUM de la conservation préventive, centre de recherche et de restauration des musées de France, département conservation prévention, France 2006.
- Musée National De SETIF, Ministère de la Culture, 2004..

المجتمع الجواربي والاكتشافات الأثرية العفوية.

(خربة تليس ومدينة بشيلقا) ببلدية المطارفة ولاية المسيلة.

د. (س). مطروح ام الخير (المركز الوطني للبحث في علم الآثار)

مقدمة:

مدينة المسيلة عاصمة الحضنة، هي الأرض التي تزاومت عبرها مختلف الحضارات، وجدت بها بصمات الانسان التي تعود لفترة ما قبل التاريخ، وقد خلفت لنا هذه الاخيرة شواهد مادية منتشرة عبر ربوع المنطقة كالكهوف والمغارات، كما كانت منطقة الحضنة تابعة لمملكة نوميديا الشرقية، ومن مميزات هذه الفترة هو الاتصال التاريخي المغربي القديم للشرق الأدنى القديم وغربي أفريقيا وأوروبا. وقد لعبت منطقة الحضنة دورا كبيرا في هذه الحركة حيث لا تزال بعض المدن بإقليم الحضنة شاهدة على ذلك كمدينة زابيا وبشيلقا التي أنشأها الرومان إلى جانب عدة تحصينات عسكرية وجسور للري وحظائر فلاحية . فأهم ما بقي من هذه المدن يتمثل في بقايا مدينة بشيلقا « التي هي عنوان المقال وزابي» وتارمونت «أراس» ومقرة «مقري».

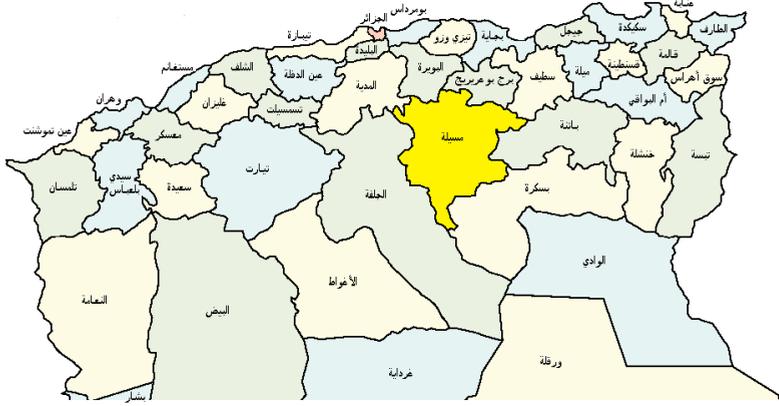
1. الإطار الجغرافي لولاية المسيلة:

على إثر التقسيم الإداري لسنة 1974، والذي بموجبه أصبح في الجزائر 31 ولاية بعد ان كانت 15 ولاية. وبذلك أصبحت ولاية المسيلة جزءاً من منطقة الهضاب العليا للوسط، أي تابعة لولاية سطيف شأنها شأن ولاية برج بوعريريج وبجاية .

فهي نقطة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، يحدها من الشمال كل من ولايتي برج بوعريريج وولاية البويرة ومن الشمال الشرقي ولاية سطيف ومن الشمال الغربي ولاية المدية، اما من الشرق ولاية باتنة ومن الغرب والجنوب الغربي ولاية الجلفة ومن الجنوب الشرقي ولاية بسكرة، إذ تعتبر مركز وسط بين التل والصحراء. إذ لا يزيد ارتفاع سطحها عن 400م على مستوى سطح البحر. وتمتدُّ على مساحة 18175

كلم²، يتميز إقليمها بخصائص جغرافية قلما يشاركه فيها إقليم آخر بشمال إفريقيا، سواء من حيث مظاهر السطح أو المناخ أو النشاط الاقتصادي والاجتماعي. (خريطة رقم : 01). كانت تلقب بعاصمة الحضنة لموقعها بين سلسلتي الأطلس التلي والأطلس الصحراوي.

كما تحتلُّ موقعا متميزا في الجزء المركزي من الشمال الجزائري. وهي توجد على أبواب العاصمة (الجزائر) على بعد 280 كلم وعلى مشارف الصحراء الجزائرية.



خريطة رقم : 01 الموقع الجغرافي لولاية المسيلة

2. لمحة تاريخية عن منطقة الحضنة:

نسجت بلاد الحضنة من تاريخها قصة عجيبة، تعود برموزها ونقوشها الى عصور ما قبل التاريخ ؛ فتدل شواهدها على تعاقب عدة مراحل منها الرومانية فالوندالية ثم البيزنطية والعربية الاسلامية، مخلفة وراءها آثاراً شاهدة وتقاليد سائدة ؛ فمنها ما بقي ومنها ما اضمحل، لكن يجب أن ندرك أن القرون الأولى لميلاد هذه البلاد الضاربة عمائرها من الشرق الى الغرب ما تزال غامضة ؛ فالحفريات بها منعقدة قد قلصت من فرص الوقوف على تفاصيل ومراحل تطور منشآت هذه البلاد تبعاً للمراحل التاريخية التي مرت بها.

لقد بينت الاكتشافات الاثرية (اكثرها عفوية) ثقافة الإنسان البدائي الذي أقام في هذه المنطقة، تاركاً ورائه إرثاً حضاريا يتمثل في النقوش الجدارية المتواجدة داخل المغارات وجدران الكهوف المنتشرة ببلاد الحضنة وأهمها ما اكتشف بمغارة كاف العسل بمنطقة حمام الضلعة والقهرة وبوملاح والعرائش بمنطقة عين السرور، وكذلك الصناعات الحجرية المنتشرة في منطقة عين غراب جنوب مدينة بوسعادة.

هذا بالإضافة الى العديد من المنشآت الجنائزية المتمثلة في البازينات المتواجدة على مرتفعات الخرابشة وسيدي عيسى وبوسعادة، وجبل المعاضيد وباقي المناطق.

على يد القائد الروماني ميتيليوس (**Mitelius**) باتت الحضنة في تمرد ،رافضة الغزو الروماني فدعمت جيوشها بالقائد تكفاريناس وذلك سنة 17م.

اما في الفترة الرومانية: فقد وصل احتلالهم إلى بلاد الحضنة في وقت مبكر، غير أن هذه الفترة تبقى تقريبية؛ فأرجعها البعض إلى فترة الإمبراطور **تراجانوس** سنة (98 117م) حيث استقبلت مدينة طبنة مجموعة من المستوطنين الرومان. كما أنه اثناء إنجاز القائد **هادريانوس** طريق يعبر جبال الأوراس سنة (145م)، لم يقصر في استغلال منطقة الحضنة لكونها معبراً سهلاً وشاسعاً وبها ارض كثيرة المون، واول محطة لهذا الطريق، محطة **سيلاس** (التي تسمى الخربة الزرقة)، وذلك انطلاقاً من الشرق إلى الغرب - هذا ما أكدته الكتابة الأثرية التي عثر عليها غرب مدينة طبنة .

كان موضع مدينة المسيلة على أنقاض خرائب تعرف بخربة تليس وعلى مقربة من خربة بشيلقا الرومانية وخربة الجساسة وهي نقاط عبور بين زاوي (**Zabi**) الرومانية وآراس (**Aras**) أو تارمونت ومقرة (**Macri**) وبين قرطاجة والقيصرية (**Cesarée**).

ويؤكد لنا ما سبق ذكره الجغرافي **جون ديسبوا**، الذي قدم دراسة حول منطقة الحضنة والأهمية الاقتصادية التي تتمتع بها، وكذا الأثر الذي سجلته تلك الأهمية وذلك في جذب العدو نحو الجنوب، كما بين لنا انها منطقة حدودية، ذات اراضي فلاحية تحتل صدارة أراضي نوميديا وموريطانيا الشرقية التي عرفت فيما بعد بموريطانيا السطافية.

كل هذا جعل منها مطعماً للاستغلال الروماني الذي امتدت حدوده إلى ما وراء جبال الحضنة قصد الاستفادة من أراضيها، كما أشار المؤرخون إلى الجهود التي بذلتها المؤسسة العسكرية الرومانية خلال المرحلة الأخيرة لحكم الأسرة **السفيرية** التي تم فيها إنشاء الحصون ومراكز مراقبة في عمق الصحراء عند معابر الطريق الرابط بين التل والصحراء على امتداد استراتيجي يتحكم في الإقليم الممتد جنوبي الحضنة، ويدخل هذا في نطاق توسع خط اللمس اثناء المرحلة الأخيرة لعهد **سبتموس سيفريوس** (**SEPTIME SEVERE**)؛ أي في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الذي بلغت فيه الحدود الرومانية أقصى امتدادها بالجنوب المريطاني معاً.

لقد الرومان من منطقة الحضنة طريقاً رئيساً يؤمن ويربط بين المقاطعات الإفريقية، حيث تلتحم فيه الطرق الفرعية المؤدية إلى الجنوب نحو الحدود الصحراوية وإلى الشمال نحو الموائ

، وبعد غزو الونداليين لشمال إفريقيا خلال القرن الخامس ووصولهم إلى نوميديا وموريطانيا السطيفية، قضا على التحصينات التي أقامها الرومان ببلاد الحضنة ، وعليه فإن هذه الأخيرة عرفت أوضاعاً تاريخية مغايرة، إذ تعرضت معظم أراضيها لاجتياح البدو الرحل ودون شك قد خرب الوندال عمائرهما وحصونه مثلما فعلوا بباقي الأمصار في شمال إفريقيا، واختلفت آراء الباحثين حول علاقة مملكة الحضنة بالوندال في تلك الفترة ؛ فخلص بعضهم إلى أنه كانت تربط ملك الحضنة أورتياس (ORTHAYAS) علاقة طيبة مع الوندال إلى درجة أن رجال الدين الكاثوليك الذين حكم عليهم بالإبعاد قد وجهوا إلى مملكة الحضنة لثقة الملوك الوندال بها.

اما في العهد البيزنطي فقد أكد بعض الكتاب أن البيزنطيين لم يحتلوا الحضنة بل استمروا في ترك المنطقة في إطار العلاقات الودية مع سكان الزاب وموريطانيا القيصرية فقد تعرضت منطقة الحضنة كحال بلاد المغرب إلى الاحتلال الوندالي الذي أحدث الخراب والدمار الذي كانت مدينة الزاب او المسيلة الرومانية ضحيته الى جانب المدن المجاورة كطبنة وفاقش (Vaccis) و خربة الرصاص (Salinae)، وهي مدن محيطة بالمسيلة كان لها شان كبير حيث كانت تمثل محطات تجارية لنقل السلع والمواد الزراعية من الجبال التلية كالحبوب عبر وادي القصب الذي يمر بالمسيلة، وبعد أن استطاع الإمبراطور البيزنطي جوستينيان (Justinian) (الامبراطور البيزنطي الذي تنسب اليه مدينة زابي جوستينيا وحكم بين سنة 527-565 م) طرد الوندال من بلاد المغرب، أرسل قائده بليसार (Belissaire) الذي قام بإعادة بناء المدينة القديمة (zabi) منذ 533 م وأكمل بناءها فيما بعد القائد جرمان (Germain) ابن أخ الإمبراطور جوستينيان ثم خليفته سالومون (Salomon) الذي تولى قيادة الجيش الإفريقي سنة (539 م)، وبدأ حملته العسكرية من قرطاجة، حيث اخضع قبائل المور الثائرة في الاوراس التي وصلها سنة (541 م) بمدينة تاموقاس (Thamugas) (تيمقاد) التي حطمها قائد المور ايباداس (Iabadas)، ثم عبر جبال أولاد سلطان ليصل إلى الحضنة حيث أعاد إعمار وبناء المسيلة القديمة التي تعرف بزابي حيث خلد إمبراطوره جوستينيان في إعطاء اسم المدينة زابي جوستينيانا (Zabi Justiniana). وضم سالومون مدينة زابي إلى إقليم موريطانيا السطيفية باعتبارها من المدن المحاذية لخط الليمس الروماني، وقد كانت عملية إحياء مدينة زابي لتعويض اختفاء مدن فاقس (Vaccis) ومدينة خربة الرصاص القريبتين منها.

. تحقيق حول التسمية:

تنسب تسمية المسلية إلى كلمة المسيل أو بلدية المياه السائلة، وهذه التسمية مرتبطة بوفرة وتعدد المجاري المائية التي تتمتع بها المنطقة منذ فترات قديمة من تاريخ المنطقة والتي تعبر عن وجودها بقايا الآثار الرومانية، التي تتمثل في القنوات (صورة رقم: 01، 02، 03) والسدود (صورة رقم : 04، 05) والسواقي كواحي القصب ووادي لقمان ووادي اللحم ووادي سلمان.



صورة رقم :02 بقايا قناة ناقلة نحو وادي البنية



صورة رقم : 03 منظر جزء من قناة داخل مجرى النهر.



صورة رقم : 05 بقايا السد العلوي.

4. تأسيس مدينة المسيلة:

إن تاريخ تأسيس مدينة المسيلة، يرجعها المؤرخون الى سنة (539م) ،و (541م) ، وهي السنة الأقرب وذلك باعتبار القائد سولومون تحرك من قرطاجة نحو المنطقة في سنة (541م).

اما بالنسبة لتسمية المدينة زابي جوستنينا (ZabiJusthanian) فهو مأخوذ من النقيشة الأثرية التي عثر عليها الضباط الفرنسيون بعد احتلال مدينة المسيلة سنة 1859م عند احد أعيان المدينة (القايد الكرغلي بن التومي سغار) وهي تحمل ترجمة تختلف عند كل من فيرو، وفايسات، وريني، فبعد دراسة فيرو للنقيشة كانت الترجمة كتالي:

{ هنا تم بناؤها، منذ تأسيسها المدينة الجديدة لزابي جوستنينا تحت إمارة إمبراطورنا المنتصر (دومنيستريب سيميا نتيفيس)

بينما ترجمة فايسات (Vaysette) ^٤ في السطر الثالث حول اسم الامبراطور الروماني، كما تختلف عنها ترجمة ليون ريني (leon René) في قوله : { تحت تاج مولانا المنتصر والجليل بناء منذ الاساس مدينة ميوك التي هي زابي جوستينيانا (zabi justiniana)).

وبعد عدة زيارات ميدانية للنقيشة الأثرية من قبل المترجمين والباحثين الفرنسيين خلال سنوات الستينات من القرن 19 ساد اسم (zabi justiniana)) على مدينة المسيلة الرومانية التي تعرف اليوم بخربة بشيلقا، كما عرفت في المصادر العربية .

وقد امتد نفوذ البيزنطيين في سهول الحضنة الشمالية الآتية من السلاسل الجبلية التلية، كما عملوا على مراقبتها وحرستها عبر مدن مثل مدينة فاقس (vaccis) التي يذكرها المؤرخ بلين (Pline) بأنها كانت في عهد الرومان بمثابة سوق كبير للإنتاج الزراعي للمقاطعة الداخلية للإمبراطورية.

اما في الفترة الاسلامية فيرجع تاريخ تأسيس مدينة المسيلة حسب رأي كثير من المؤرخين الى سنة (315 هـ / 927م) عندما رسم معالمها الامير الفاطمي أبو القاسم محمد بن عبد الله وخطط عمرانها على ابن حمدون وأطلق عليها اسم المحمدية، واسم القاسمية على أحد أبوابها هو تخليد لاسم أبي القاسم في إطار المنافسة على الإمارة باعتباره قام بها دون علم عبيد الله المهدي، كما أن اختيار أبو القاسم لموقع المسيلة نابع من بعد نظره السياسي ومن أهمية المنطقة الجغرافية والاقتصادية، كما يصفها البكري بقوله :{ بأنها مدينة جليلة في بساط الأرض عليها سوران بينهما جدول ماء يسير بالمدينة وله منافذ تسقى منها عند الحاجة ولها بساتين كثيرة ويوجد عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رفيعة السعر} ،^٥ خصوبة تربتها ووفرة مياهها . فقد أراد لها أن تكون بمثابة عاصمة إقليمية وقلعة تنطلق منها الجيوش لإخماد الثورات في القسم الأوسط والغربي من المغرب الاسلامي.

وفي هذا المجال كتب عدد كبير من المؤرخين عن غنى المدينة والمنطقة بالبساتين والمياه مثل ابن حماد والبكري والإدريسي وابن حوقل، قبل أن تتعرض للدمار خلال الحروب الزيرية ومن بعدها الزحف الهلالي.

5. تاريخ موقع (خربة تليس) :

لقد شهدت هذه المنطقة قبل بناء مدينة المسيلة او المحمدية سنة (315 هـ م 927)

تواجد قبائل بنو كملان بها التي تم طردهم وإخراجهم منها، كما أن المنطقة حسب بعض الرويات شهدت قبل هذا التاريخ قدوم شخصية بارزة من الشرق في بداية القرن السابع الميلادي يدعى تليس قادماً من خيبر الحجاز، حيث استقر بعائلته بالضفة اليسرى من وادي القصب ؛ حيث قام حسب هذه الرواية ببناء مجموعة من المساكن له كانت بمثابة النواة الأولى للمدينة ، و مرور الزمن قدمت مجموعة سكانية أخرى واستقرت حول هذه النواة فامتد النسيج العمراني للمدينة الناشئة. ولم يكتب لها البقاء حيث تعرضت منطقة إقليم الزاب لهجمات الخوارج الذين خربوها، ومن هذه الحوادث جاءت تسمية خربة تليس لأحد أحياء المدينة القديمة، وظل يعرف بهذا الاسم حتى سنة 1941 م ثم اطلق عليها اسم (الكدية) و هو الحي الموجود فوق التل قرب القنطرة التي يتمركز فيها سوق المدينة (صورة رقم : 07. 06) .

صورة رقم : 06
موقع الري يعود لفترات قديمة



صورة رقم : 07
السوق اليومى بموقع خربة تليس
و ظهور العناصر المعمارية فوق
الارضية.

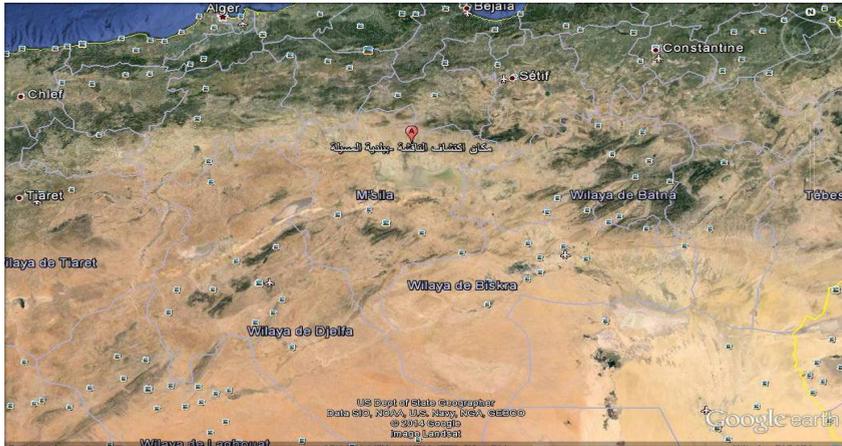
لذلك فمدينة المسيلة وجدت قبل ظهور الدعوة الشيعية ومجيء ابو القاسم إليها في حملته من المغرب، كما أن إسم المسيلة قد ساد على اسم المحمدية في الفترات التي تلت تأسيسها وهذا يدل على تأثير المذهب المالكي في المنطقة التي ساد بها، بعد قطيعة المعز بن باديس للدعوة الشيعية الفاطمية، وأن هذه السيادة لاسم المسيلة هي بمثابة العودة للتسمية القديمة لها المرتبطة بوفرة المسيل والأودية والينابيع المنحدرة من الجبال الشمالية.

6. ظروف الاكتشاف (موقع النقيشة):

عثر على هذه النقيشة بتاريخ 2014/12/17 بحي الكدية (خربة تليس) الواقعة بالمدخل الشرقي لبلدية المسيلة شرق وادي القصب، وهذا الحي يتواجد به سوق يومي وبعض السكنات الخاصة. (خريطة رقم: 03). (صورة رقم: 08).



خريطة رقم : 03 تحديد مكان النقيشة في الموقع الاثري



مكان النقيشة قبل نقلها الى المتحف.

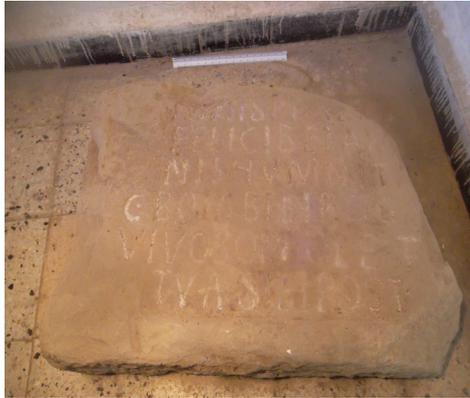


صورة رقم: 08 مكان النقيشة قبل نقلها الى المتحف

تم نقلها إلى المتحف من طرف لجنة من مديرية الثقافة لولاية المسيلة.

7. وصف النقيشة:

وبعد المعاينة الميدانية لهذه النقيشة في موضعها بمتحف المدينة، تبين لنا أنها نقيشة تعود للفترة الرومانية نفذت بها كتابة لاتينية مكونة من 06 أسطر ذات أبعاد مخلفة، طولها 71 سنتم وعرضها 52 سنتم وسمكها 15 سنتم. (صورة رقم 09).



صورة رقم: 09 مكان الحفظ في المتحف

وخلال المعاينة لاحظنا وجود أساسات لبقايا وعناصر معمارية متنوعة تعود للفترة الرومانية تتخللها عمائر جديدة وأساسا جديدة لتحضير البناء. (صور رقم: 10، 11، 12)

صورة رقم : 10
بقايا من السور الأثري القديم



صورة رقم : 11
حفر الأساس لبناء مسكن جديد
في الموقع الأثري

صورة رقم : 12
وجود عناصر معمارية مهمة
جنب البناءات الجديدة .



إن اغلب مساحة موقع الكدية (خربة تليس) مبنية من طرف الخواص وما بقي منها معروض للبيع (صورة رقم : 13).

صورة رقم : 13
الموقع الأثري معروض للبيع



وفي طريقنا إلى الكدية (خربة تليس) قمنا بجولة استطلاعية قرب مسجد سيدي بوجملين، الذي تشير اليه بعض الكتابات :{ انه خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، قدمت شخصية دينية ذات كرامات من بلاد المغرب من مدينة فاس إلى مدينة المسيلة، وهو سيدي محمد بن عبد الله هيلول المغربي المدعو بوجملين، الذي ينحدر من أهل بيت يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين }، حيث أسس زاوية بموضع توقف جمليه، وبعد فترة توزع أحفاده على أحياء المدينة واشتروا بحي الجعافرة العتيق الاراضي وأصبحوا من سكان المنطقة، فهذه المنطقة وما يقابلها منطقة الكدية وجدنها أهلة بالعناصر المعمارية التي تعود للفترة القديمة الرومانية، وهي ذات اهمية كبيرة، نجدها تنصدر ساحة المدينة هنا وهناك وفي شكل أكوام في بعض الأحيان (صور رقم: 14)، معرضة للتلف البشري والطبيعي.

صورة رقم : 14
عناصر معمارية مهملة في أحياء



هذه العناصر المعمارية عثر عليها أثناء حفر أساسات البنايات الجديدة. (لوحة رقم : 01).



لوحة رقم: 01
العناصر المعمارية المنتشرة
فوق
مساحة المدينة



7. موقع بشيلقا:

موقع ميدانية بشيلقا² الأثرية يقع على بعد ثلاث كيلومترات شرق مدينة المسيلة الحالية، وبالضبط بلدية المطارفة دائرة أولاد دراج، لازالت آثارها منتشرة في رقعة مختلف المؤرخون في تحديد مساحتها، فمن خلال التقديرات التي أتى بها الضابطين الفرنسيين (موروا وبول) فهي تتراوح ما بين 30,90 هكتار، إذا فمن المحتمل أن تكون (خربة تليس) امتدا لهذا الموقع الروماني، وللوصول الى عدة نتائج لابد من إجراء حفريات في الموقعين. (لوحة رقم 02).



لوحة رقم : 02
البقايا الأثرية موقع بشيلقا

خاتمة:

عندما نبحت في صفحات التاريخ نجد فيه دعوة صريحة لحماية ما خلفه الأجداد من تراث، سواءً أكان تراثاً معمارياً أو فنياً، وهذا ما أكدته الرحالة عبد اللطيف البغدادي من القرن الثاني عشر الميلادي والذي يتحدث عن الاهتمام بالمخلفات الحضارية في كتابه {الإفادة والاعتبار} في معرض مشاهدته لآثار مصر العظيمة {وما زالت الملوك تراعي بقاء هذه الآثار وتمنع من العبث فيها وإن كانوا أعداءً لأربابها وكانوا يفعلون ذلك لمصالح، منها ليبقى تاريخاً يتنبه به على الأحقاب، ومنها أنها تدل على شيء من أحوال من سلف وسيرتهم وتوافر علومهم وصفاء فكرهم وغير ذلك وهذا كله مما تشتاق النفس إلى معرفته وتؤثر الإطلاع عليه}.

كما يذكر أن العرب المسلمين كانوا في طليعة الشعوب التي تهتم بالتراث الحضاري وتحافظ عليه، وصولاً إلى خدمة قضايا الأمة الثقافية والاقتصادية.

نحمي التراث ونهتم به وصولاً إلى خدمة قضايا الأمة الثقافية ومادة للبحث العلمي وإثراء المعلومات التاريخية، ومنها خدمة الحياة الاقتصادية فهي تؤلف مادة هامة للصناعة السياحية، كما هي تراثاً أصيلاً يتصل بشخصية الأمة ويعطيها الطابع المميز ويحدد مستواها في الذوق والحس الإبداعي ودرجة تقدمها في العلوم والفنون. وقد دفع ذلك الأمم كافة إلى الاهتمام بالتراث وحمايته، وقد أصبح اليوم هذا التراث في عُرف الأمم لا يخص أمة من الأمم بعينها إنما هو ملك الإنسانية جمعاء، وهذا ما حدا بالمنظمات الدولية والوطنية المختصة بالتراث الثقافي إلى المساعدة في إنقاذ كثير من الآثار المهددة بالمشاريع الإنمائية التي تقيمها بعض الدول .

فشئ الذي حز في نفسي أنني وجدت هذه المنطقة التراثية التي تمثل عدة مراحل تاريخية من حضارات مختلفة، يقتحمها الزحف الأسمتي، وبقايا العناصر المعمارية متناثرة جنب البنايات الحديثة وقرب الأسبار التي فتحت لتثبيت أعمدة البناء الحديث، فمن خلال منبر التراث الاثري لجامعة تلمسان، قمت بتقديم بعض التوصيات من أجل توعية المجتمع الجوارى لهذه المدينة الضاربة في عمق التاريخ . وما آلت إليه أشلاء تلك المدن الغابرة .

1. إيقاف مشاريع البناء بموقع الكدية (خربة تليس) للحفاظ على تاريخ المنطقة بكل مراحلها، لأنه يمثل حضارات مرت من تاريخ الحضنة وما جاورها.

2. إنقاذ ما يمكن إنقاذه وجمع كل العناصر المعمارية واللقى الأثرية المتناثرة هنا وهناك بالموقع وسائر أحياء المدينة، ووضعها في المتحف.
3. جرد كل العناصر المعمارية واللقى الأثرية بواسطة بطاقات فنية مع الدراسة الكاملة، حتى لا يضيع هذا الإرث الحضاري ويكون في متناول طلبة علم الآثار والتاريخ.
4. إقامة أسبار بموقع الكدية (خربة تليس) بلدية المطارفة دائرة اولاد دراج، لتحديد ما تبقى من الموقع الأثري .
5. تحديد الموقع الأثري (بشيلقا) وجعل خريطة توضح الحدود الأثرية للموقع القديم
6. موقع (بشيلقا) يتظر إنقاذ ما يمكن إنقاذه من لقى أثرية متناثرة فوق الموقع الأثري وعرضها في المتحف للجمهور والطلبة .
7. تقديم ملف كامل حول هذه المدينة الأثرية التي تعود لمراحل تاريخية غابرة، بدأً من الفترة القديمة الى الفترات الإسلامية، وذلك من اجل التصنيف والحماية حسب ما ينص عليه القانون.

هوامش البحث:

- شنيتي .محمد.البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني؛ بحث في منظومة التحكم العسكري) الليمس الموريطاني (ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ج 1، ص 159- 160.

- فرع الآثار مديرية الثقافة لولاية المسيلة.

- LHOUE.(H), Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien, mont des Ouled Nail et région de Djelfa office national du parc national du Tassili, ALGER, 1984., p208211-

- GSELL.(St), Atlas Archeologique de l'Algerie, Paris, 1911, F3623/.

- GSELL.(ST), AAA, F2516/à19 et F364/à20

- شنيتي محمد البشير، الليمس الموريطاني ج 1، ص 17 و 36.

- شنيتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب الطبعة الثانية، الجزائر، 1985، ص

- قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب،

الجزائر، 1993، ص 63-164.

- شنييتي محمد البشير، المرجع نفسه، ص 5

. PAYEN.(M), Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algerie,dans,Rec de Const,T 8 ,1864,pp9.

-سالوستيوس، حرب يوغرطة، ترجمة محمد الهادي حيرش، مطبوعات دحلب، الجزائر، 1997، الفقرة 19، ص. 35

- شنييتي محمد البشير -الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق، ص 34-35.

- سالوستيوس، المصدر نفسه، الفقرة 80 .

- شنييتي محمد البشير، الليمس الموريطاني، ج 1، ص 48 .

- سالوستيوس، الفقرة 18. ص 36.

GSELL(ST) , AAA ,F2613/ .

- CAT(E),Essai sur la province romaine de la mauretanie cesarienne ,paris, Ernest Leroux,1891,p220221,note 1et .3

CAT (E), OPCIT, p 222224-

MAGUELONNE (J) ,:Monographie de Msila Géographique et Historique De la tribu du Hodna- Orientale in. R.S.A.C, 1909,p,9.

DESPOIS.(J), Le Hodna , PUF ,Paris,1953, p99100,103-,note 82- .Afr,T5,1861,pp195- 200209-.

شنييتي محمد البشير، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب، المرجع السابق، ص 8.

شنييتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب بالمرجع السابق، ص

24-239.

شنييتي محمد البشير، الليمس الموريطاني، ج 1، ص 118.

احمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، تونس، 1959، ص 38.

- PAYEN.(M), Colonisation .du. Hodna, dans. Rec .de Const ,28,1893,P ,106.

شنييتي محمد البشير، الليمس الموريطاني، ج 2، ص 389.

شنييتي محمد البشير، الليمس الموريطاني، ج 2، ص 452-461.

KADDACHE,(M):L>Algerie medievale,SNED,Alger,1980,p05.

PAYEN,(M):Colonisation, du Hodna, In RSADC, 1893, p.148.

POULLE,(A):Ruine de Bechilga (ancienne zabi) ,in RAF N°5,1861,P200,209

FERAUD,(chL):Histoire des villes de la Province de Constantine, Sétif, BBA,M̄sila ,Boussaâda ,in Recueil des Notice de la société archéologique du province de Constantine,1872-, ,P48.

PAYEN,(m),op.cit p,145.

FERAUD,(ch):Histoire des villes, Op, Cit .p, 328.et Shaw,(D): voyages de M̄show dans plusieurs Province de la barbarie d̄Alger et de Tunis ,A de la hate Jean, Neouline op-cit,p128.

MAGUELONNE(J),Monographie de M̄sila Géographique et Historique De la tribu du Hodna Orientale in. R.S.A.C, 1909,p234..

POULLE ,(A) :op-cit ,p,200.

FERAUD,(ch) :Histoire des ville ,M̄sila pp324325-.

VAYSSETTE,(E) De Boussaâda par M̄sila ,BBA,Barika et Tobna, in RA,1861: op-cit,p,98.

POULLE,(A):op-cit,p196.

DESPOIS ,(J): La Bordure saharienne de L̄Agérie Orientale in,RAF:1942.,p214.

- البكري) أبو عبد الله (:المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب،تحقيق دوسلان،نشر مكتبة المثني بغداد،ص: 59

PAYEN ,(M):op-cit;p145.

البكري :المصدر السابق ،ص 59.

ابن خلدون : كتاب العبر،ج 6 ص 337.

GSELL.(St,Atlas Archeologique del'Algerie,Paris,1911.N°25.

صالح بن قربة: تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الاسلامي، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

جدلية التراث الثقافي والإقليم

منصوري محمد (طالب دكتوراه- قصر الثقافة مفدي زكريا – الجزائر)

ملخص:

يتناول هذا البحث التراث الثقافي الجزائري، والمخطط الوطني لتهيئة الإقليم آفاق 2030 حيث تعرضت إلى ظروف إعداده من طرف الدولة الجزائرية وما يحمله من تهمين فيما يتعلق بالترابط الثقافي الذي يعتبر القاسم المشترك للوحدة الوطنية وأحد حتميات وضروريات الدفاع عن الأمن الإقليمي ثم التراث الثقافي في ظل المخطط الوطني لتهيئة الإقليم، ثم التقسيمات الكبرى لفضاءات البرمجة الإقليمية التي هي عبارة عن تسع (09) فضاءات، وكل فضاء يتضمن مجموعة من الولايات وأهداف هذا المخطط والعقبات التي تعترضه.

Abstract:

This research deals with the Algerian cultural heritage, and the national plan for the creation of the province prospects in 2030 where she was to set it up by the Algerian state and the magnitude of the valuation in respect of cultural interdependence which is the common denominator of national unity and a imperatives and necessities of defense for regional security conditions, and cultural heritage in the light of the national plan for the creation of the region, then the major divisions of the spaces of regional programming, which is a nine (09) spaces, each space includes a set of States and the objectives of the scheme and the obstacles encountered.

مقدمة :

الجزائر بحكم موقعها الجغرافي وسط العالم القديم، وكونها نقطة التقاء الحضارات كما أن تركيز القوى المحتلة على تصوير الأمر للفرد الجزائري بأنه بلا جذور تربطه بتاريخه الغني وحضارته السخية فتركيز علماء التاريخ والأثار المرتبطون بمفاهيم الإحتلال في بحوثهم حول تاريخ الجزائر على العهد الروماني مع إهمال لأثاره الإسلامية لإقناع الجزائريين بأن أصولهم أوروبية في الماضي والحاضر، وأن الفتح الإسلامي ما هو إلا إحتلالا عربيا، كل هذا قابلته الدولة الجزائرية غداة الإستقلال بتصحيح كل المفاهيم الخاطئة، والعودة إلى التاريخ

والأثار بإعتبار أن علم التاريخ بمثابة العمود الفقري لعلم الأثار ومختلف المكتسبات المادية والفكرية، وبهذا يتشكل التراث الذي هو الشاهد الأساسي على مجمل الحياة والنشاطات الفكرية للإنسان، كما يشكل شهادة حقيقية ملموسة لذاكرته التاريخية.

كما أصبحت للتراث تعريفات كثيرة، ومتعددة بتعدد المجالات التي يستعمل فيها، فيقال التراث الثقافي والتراث المعماري، والتراث الشعبي والتراث الإسلامي، والممتلكات الثقافية الحضارية .

ولا يكتمل الحديث عن التراث إلا بالإهتمام به، وحفظه وصيانتته عن طريق التشريعات والخطط والبرامج، لأن الحفاظ عليه مسؤولية عامة .

كما أصبح الإهتمام بالتراث في صميم رسالة المؤسسات الثقافية، والبيئية، والمحلية والدولية، على اعتبار أن التراث هو سجل علاقة البشرية بالعالم، وبالإنجازات والإكتشافات الأثرية، وقد تأكد لهذه المؤسسات والهيئات، أن هناك أخطارا تهدد اليوم قسما كبيرا من هذا التراث في البلدان النامية لأسباب عديدة منها عملية التحديث والتنمية كما أن معدل فقدان هذا التراث أخذ في الإزدياد، لذلك فإن الحفاظ السليم عليه ينبغي أن يستند إلى تقويم سليم له، وإلى اتخاذ اجراءات مناسبة، وهو ما بادرت به الدولة الجزائرية ضمن المخطط الوطني لتهيئة الإقليم لآفاق 2030، والذي شرع في تطبيقه منذ سنة 2011 بعد أن تدعم بإطار قانوني عام 2010 من أجل تحقيق التنمية المتكافئة والمستدامة في كل مناطق الوطن.

تعريف التراث الثقافي:

التراث في اللغة من الفعل ورث، وفي لسان العرب: الوَرْتُ والْوَرْتُ والإِرْتُ والوِراثُ والتُّرَاثُ معنى واحد، والوَرْتُ والتُّرَاثُ والميراث: ما وُرِثَ، وقيل الوَرْتُ والميراث في المال والإِرْتُ في الحسب، والتُّرَاثُ: ما يخلفه الرجل لورثته، والتاء فيه بدل من الواو وفي القرآن الكريم وردت كلمة تراث في بعض الآيات منها قوله تعالى: (وَتَاكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا) وهو ما يخلفه الميت من مال فيورث عنه، وفي سورة النمل قال تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) قال ابن كثير: أي ورثه في النبوة والملك .

واصطلاحا: التراث له مدلول واسع، فهو يحمل مجمل القيم التاريخية والفكرية والجمالية، والفنية والاجتماعية والإقتصادية، توضح هذه القيم العلاقة بين أفراد المجتمع من جهة، والعلاقة بين الإنسان ومحيطه في المراحل التاريخية من جهة ثانية من أجل توصيلها

وتوريثها للأجيال المستقبلية، كما يعني أيضا قيما متوارثة عالية تعيش في محيطها، وهي دائمة لا تلتزم بمعيار التقدم ولا الإنهيار .

ويرى الأستاذ محمد الطاهر فضلاء بأن تراثنا هو ميراثنا عن الآباء والأجداد، ويشمل الثقافة والآداب والقيم والفنون، والصناعات ومختلف الإنتاجات الأخرى المادية والمعنوية، ومن هنا فإن تراثنا الحضاري والثقافي والمادي متنوع وثري وغني إضافة إلى التراث التاريخي والديني، وعموما لا يمكن لأي أمة أن تنفصل عن ماضيها وتاريخها، لأن التاريخ والتراث والثقافة والأصالة يمثلون المخزون الرمزي، والنظام الفكري، فالحديث عن التراث هو حتما الحديث عن الذات التي تمثل الهوية.

كما أورد المشرع الجزائري تعريفا للتراث الثقافي، وذلك في نص المادة الثانية(2) من قانون حماية التراث الثقافي كما يلي « يعد تراثا ثقافيا للأمة، في مفهوم هذا القانون، جميع الممتلكات الثقافية العقارية، والعقارات بالتخصيص، والمنقولة، الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية وفي داخلها، المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص، والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية والإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقدة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا».

أقسام التراث الثقافي : له ثلاثة أقسام

1- التراث المادي الثابت: مثل بقايا المدن التاريخية، والعمائر الدينية والمعالم المعمارية والتحصينات العسكرية والمنشآت المائية والزراعية والمدافن ونحوها .

كما حددته اتفاقية حماية التراث الثقافي الطبيعي سنة 1972 ووصفته بالمعالم الطبيعية المؤلفة من التشكيلات الفيزيائية أو البيولوجية، أو مجموعات من التشكيلات التي لها قيمة عالية واستثنائية من وجهة النظر الجمالية أو العلمية ومنها المحميات الطبيعية والتشكيلات الرسوبية، وقد ورد تحديد الممتلكات الثقافية الثابتة في قانون حماية التراث الجزائري في نص المادة الثامنة (08): « أنها جميع المعالم التاريخية والمواقع الأثرية والمجموعات الحضرية أو الريفية».

2-التراث المادي المنقول:وهو التراث الملموس والمتمثل في المسكوكات، المنسوجات والمخطوطات، والأدوات المتعلقة بالحرف والصناعات التقليدية، والأواني الفخارية والمعدنية والخشبية وأنواع النباتات والحيوانات ونماذج من المعادن والأدوات الفلاحية والأسلحة

والآلات الموسيقية والصناعات الحجرية والموازين، وغيرها من العناصر ذات الفائدة الثقافية والعلمية والتوثيقية ومختلف القطع الأثرية المتحفية.

3- التراث غير المادي: وهو تراث غير ملموس وعرفه المشرع الجزائري بأنه: «مجموعة معارف، أو تصورات اجتماعية، أو معرفة، أو مهارة، أو كفاءات أو تقنيات قائمة على التقاليد في مختلف ميادين التراث الثقافي، وتمثل الدلالات الحقيقية للارتباط بالهوية الثقافية، ويحوزها شخص أو مجموعة أشخاص».

ويتعلق الأمر بالميادين الآتية على الخصوص : علم الموسيقى العريقة، والأغاني التقليدية والشعبية والأناشيد، والألحان، والمسرح، وفن الرقص والإيقاعات الحركية، والاحتفالات الدينية، وفنون الطبخ، والتعابير الأدبية الشفوية، والقصص التاريخية، والحكايات، والحكم، والأساطير، والألغاز والأمثال، والأقوال المأثورة والمواعظ، والألعاب التقليدية، واللهجات ومختلف العلوم الدينية والطبيعية وفنون الأدب.

أهمية التراث الثقافي :

ليست المحافظة على التراث الثقافي مطلباً سياحياً كما يعتقد البعض، ولكنها في المقام الأول محاولة للمحافظة على مابناه الأجداد والآباء لتكون بمثابة الدعم والأساس لما يبني عليه الأبناء مستقبلهم.

كما يعتبر التراث الثقافي مصدراً للذاكرة الجماعية، أو أداة الدراسة التاريخية والعلمية لحضارة الإنسان وشخصيته، والتعرف على محيطه السياسي والإقتصادي والإطلاع على بيئته الثقافية والاجتماعية ومادام التراث الثقافي يحمل في طياته كل هذه القيم والعناصر الأساسية للهوية الثقافية فيجب التأكيد على أنه القاسم المشترك بين الماضي والحاضر والمستقبل، كما يجب أن يُصان وفقاً لخصوصياته لأن حماية وصيانة شواهد الماضي أصبحت طرفاً أساسياً في كل تنمية متوازنة للجميع.

كما يلعب التراث دوراً هاماً في تاريخ الأمم، لأنه السجل الحي والكتاب المفتوح الذي يمكن من خلاله التعرف على حياة الشعوب وعاداتها وعلاقاتها وسياساتها وثقافتها ويسمح أيضاً بفهم التاريخ الطويل لعلاقة المجتمعات البشرية بمحيطها .

ونظر الأهمية القصوى للتراث بدأت مسؤولية حمايته من المخاطر بوضع برامج متمثلة في تهيئة المحيط بمرافق خدمية عمومية مثل بناء السدود وشق الطرقات واستصلاحات حضارية وزراعية

من خلال القانون رقم 01-20 المؤرخ في 2001/12/12 والمتعلق بتهيئة الإقليم وتنميته المستدامة وقانون رقم 10-02 المؤرخ في 2010/06/29 يتضمن المصادقة على المخطط الوطني لتهيئة الإقليم .

التنمية المستدامة في الجزائر:

شهدت الجزائر في السنوات الأخيرة نموا ديمغرافيا متوصلا انجر عنه في المقابل تطور عمراني سريع يتمثل في اتساع مساحات عمرانية، فعمدت الدولة إلى بناء هياكلها التنظيمية وإعادة التوازن بين قطاعاتها، وأول خطوة قامت بها وضع آليات مؤسسية وقانونية ومالية داخلية تنظيمية لضمان دمج البيئة والتنمية والتراث منها قانون رقم 03-01 المؤرخ في 2003/02/17 والمتعلق بالتنمية المستدامة للسياحة حيث جاء فيه تعريف التنمية المستدامة كمايلي: « نمط تنمية تضمن فيه الخيارات وفرص التنمية التي تحافظ على البيئة والموارد الطبيعية والتراث الثقافي للأجيال القادمة»

كما أن مشاكل البيئة لا تعرف الحدود، وهذا العصر يشهد تحديات بيئية مختلفة أخذت تهدد الأجيال بسبب قيم وأخلاقيات تؤصل في النفس أهمية التقدم الإقتصادي والإثراء المادي على حساب الإستغلال السليم لموارد الطبيعة.

تعتبر التنمية المستدامة نمط تنموي يمتاز بالعقلانية والرشد، وتتعامل مع النشاطات الإقتصادية التي ترمي للنمو من جهة، ومع إجراءات المحافظة على البيئة والموارد الطبيعية من جهة أخرى، وقد أصبح العالم اليوم على قناعة بأن التنمية المستدامة التي تقضي على قضايا التخلف هي السبيل الوحيد لضمان الحصول على مقومات الحياة في الحاضر والمستقبل .

يعتبر مفهوم التنمية المستدامة أهم تطور في الفكر التنموي الحديث، ويهدف إلى تحسين نوعية حياة الإنسان في إطار قدرة الإستيعابية للأنظمة البيئية المحيطة .

كما أدى المأزق التنموي خلال العقود الأخيرة إلى إجراء مراجعات فكرية لمجموع الأطروحات النظرية السائدة، وأدرك العالم أن التنمية الحالية لم تعد مستدامة، وارتبط نمط الحياة الإستهلاكي المنبثق بأزمات بيئية تتمثل في فقدان التنوع البيئي، وتقلص المساحات الخضراء والغابات، وتلوث الماء والهواء، وارتفاع درجة حرارة الأرض ونفاذ المواد الغير متجددة، أدى ذلك إلى بروز مسألة الحفاظ على البيئة، فالبيئة ليست وسيلة لتحقيق التنمية بل غاية في حد ذاتها.

تعريف الإقليم:

كما يعني أيضا منطقة، ناحية، جهة، وهو مساحة جغرافية تشتمل على عناصر تعطي لها نوعا من التجانس والإنسجام، وتتصدر «العناصر التراثية والثقافية» و«الإقتصادية» المحددة لطبيعة العلاقات الإجتماعية، وخصائص المنطقة أو الإقليم تبدو أكثر وضوحا في مركزه، وتضعف تدريجيا في هوامشه وأصقاعه النائية.

أما التحديد البشري، فيتمثل في الحدود التي خطها الإنسان سواء كانت سياسية أو إدارية، وهي حدود قسمت سطح الأرض إلى دول متميزة في الغالب، وقد تنقسم الدولة الواحدة إلى ولايات أو مقاطعات أو محافظات، وقد تتفق الحدود البشرية مع الحدود الطبيعية أو تقاربها أو لا تتفق، لذلك من المرعى عند تخطيط حدود إقليم ما أن يتجانس السكان في وحدة واحدة تجمعهم خصائص مشتركة وتتكامل حياتهم الاقتصادية والاجتماعية داخل الوحدات الصغيرة، ولكن قد تشذ هذه القاعدة في كثير من الأحيان عن النمط السكاني السائد، وقد ترجع لأسباب تتعلق بالنقل والمواصلات.

وللحدود البشرية أهمية كبيرة في حياة الشعوب، لانها تحدد حركة السكان واتجاه نفوسهم وأنشطتهم المختلفة ومستوى الخدمات التي تقدم لهم، بالإضافة إلى أنها تحدد النطاقات التي تمارس فيها الحكومة سلطاتها .

كما عرف المشرع الجزائري الإقليم كما يلي: «هو الأساس والبوتقة التي تتم فيها الأنشطة وحياة المواطنين، كما أن تهيئة الإقليم تعني عدم إهمال الدولة لأي إقليم وتركه عرضة للمصادفة، لأن كل فضاء هو جزء من التراب الوطني، فهو مثل الإنسان لا يمكن أن يكون بدون جذور، وعلى الصعيد المحلي، يتعين خلق الشروط التي تمكن الإنسان من العمل والعيش في المنطقة التي يرغب فيها مع إعادة خلق الروابط مع الإقليم، كما أن الإقليم الوطني هو مزيج بين معطيات ميدانية وامتدادات للتاريخ».

المخطط الوطني لتهيئة الإقليم :

يعتبر هذا المخطط الذي يعد الأول من نوعه منذ تحقيق الاستقلال الوطني «صحة هامة» لاستعادة البعد الاقليمي في الجزائر بحيث يلم بمعظم النشاطات القطاعية لتوحيد التطور الوطني لآفاق 2030 من أجل تنمية مستدامة، وقامت بإعداده لجنة قطاعية شكلت من طرف وزارة تهيئة الاقليم والبيئة والتي تضم أيضا خبراء وطنيين وأجانب .

وقد جاء هذا المخطط لتدارك الفجوة والنقائص والاختلالات التي يعاني منها الاقليم حيث أن الجزائر عرفت منذ بداية الاستقلال الوطني «غياب سياسة وطنية في مجال تهيئة الاقليم وكل المحاولات التي سبقت هذا المخطط لم تكن واقعية وعانت من غياب السلطة والأموال والأدوات والتصور، إلا أنه بعد إجراء معاينة ميدانية وجرى في هذا المجال تبين جليا أن الاقليم الجزائري متباين ويعاني من إختلالات كبرى وفوارق خطيرة بسبب وجود موارد طبيعية محدودة تعرف منحى تنازلي في مقابل ساكنة تتوسع وتعرف منحى تصاعدي.

ويشمل هذا المخطط الوطني لتهيئة الاقليم كل القطاعات الوزارية والمجالات الحيوية التي من شأنها تحقيق تنمية مستدامة من بينها وزارة الفلاحة والصناعة والنقل والطاقة والمياه والسياحة والبيئة وقطاعات التربية والتعليم العالي والبحث العلمي والثقافة.

ويطمح هذا المخطط إلى تحقيق الإزدهار والإنصاف» ويتشكل من 17 مجلدا ويتفرع إلى 20 برنامج عمل إقليمي. وألزم الوزارات بتحضير 20 مخططا قطاعيا يشمل المالية والسكك الحديدية والطرق والموانئ والمطارات والجامعات والري .

التراث الثقافي والمخطط الوطني لتهيئة الإقليم :

كما جاء في هذا المخطط ولأول مرة ذكر عنصر الهوية والإقليم والذي يعتبر عملية «تثمين التراث الثقافي المادي وغير المادي، القاسم المشترك للوحدة الوطنية، وأحد حتميات وضروريات الدفاع والأمن الإقليمي »

وهذا الاعتراف الصريح هو عبارة عن رؤية مسبقة تخص التخطيط السياسي والإستراتيجي للتراث الثقافي الذي لا يرتكز فقط على القيم الثقافية والتاريخية والفنية والجمالية وإنما ينطبق على مدار الإقليم والهوية.

فالتراث والإقليم يساهمان في الإعلان عن إعادة بناء الهوية الجزائرية التي تترجم من خلال الحجة الإقليمية، من خلال وضع شبكة دائمة للأماكن الرمزية والتراثية وفق تصور جزائري، حيث أنه من المعلوم، ما تم البحث فيه واكتشافه سابقا من معالم تراثية كان وفق مخطط استعماري، لا يمت للهوية الوطنية بصلة .

كما أن الدفاع والأمن الثقافيين للإقليم لا يتمان إلا بالمرور عبر تحديد العناصر ذات الصلة التي تمهد لإعادة المخططات التوجيهية لتطوير وتهيئة الإقليم، والتي ينبغي

أن تتضمن هي الأخرى المحددات والمراجع الثقافية للإقليم التي تؤمن وتضمن الحماية والمحافظه على الهوية الوطنية .

فمن خلال المخططات الإستشرافية لتهيئة الإقليم آفاق 2030، لا يتعلق الأمر بإعطاء صورة للإقليم الجزائري فحسب، وإنما بإعادة الصورة للإقليم الجزائري بإعادة بناء واسترداد التاريخ والذاكرة، من خلال إبراز الخصوصيات المادية واللامادية الكامنة وراء القيم الروحية والوجدانية والرمزية والتاريخية التي تساهم في هويتنا ومعتقداتنا والتي تحقق التوازن ما بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا .

وهذا من أجل « حماية وتثمين التراث الثقافي الوطني ضمن استراتيجية عامة لتهيئة وتنمية الإقليم»

وترتكز المنظومة التراثية للمخطط الوطني لتهيئة الإقليم على فكرتين أساسيتين هما أن يبرز التنظيم والتوازن المساحي للمنظومة التراثية الاختلاف ما بين تهيئة الفضاء الجغرافي الذي ينطبق في الواقع على التقسيم الإداري والإنتاج المستمر للإقليم الذي يتم من طرف الأشخاص الحاملين للهوية والتماسك الاجتماعي .

مخططات تهيئة فضاءات البرمجة الإقليمية :

لقد بين الإحصاء العام للسكان والسكن لسنة 2008 أن 63 % من السكان يتجمعون في الشمال على مساحة 4 % من التراب الوطني، ويتموقع 28 % من السكان في الهضاب العليا على مساحة 9 % من الإقليم، في حين لا تستقبل مناطق الجنوب التي تشكل 87% من المساحة الإجمالية للبلاد إلا 9 % من السكان وهذه الاختلافات مكلفة بالنسبة للمجموعة الوطنية، ومصدر توترات بالنسبة للموارد الطبيعية.

وعليه فإن تفعيل هذا التصور الجديد، يمر بالضرورة من خلال إعادة التكوين الإقليمي لأشغال ونشاطات التثمين، التي تتكيف مع التقسيمات الكبرى على نحو تسعة (09) فضاءات للبرمجة الإقليمية المنصوص عليها في المخطط الوطني لتهيئة الإقليم وهي :

على مستوى التل :

1- فضاءات البرمجة الإقليمية شمال -وسط، وتتضمن عشر (10) ولايات هي : الجزائر، البلدية بومرداس، تيبازة، البويرة، المدية، تيزي وزو، بجاية، الشلف، عين الدفلى .

2 - فضاءات البرمجة الإقليمية شمال - شرق، وتتضمن ثماني (08) ولايات وهي : عنابة، قسنطينة، سكيكدة، جيجل، ميلة، سوق أهراس، الطارف، قالمة .

3- فضاءات البرمجة الإقليمية شمال -غرب، وتضم سبع (07) ولايات هي : وهران، تلمسان ومستغانم، عين تيموشنت، غيليزان، سيدي بلعباس، معسكر .

على مستوى الهضاب العليا :

4 - فضاءات البرمجة الإقليمية «الهضاب العليا وسط» وتتضمن ثلاث (03) ولايات هي : الجلفة، الأغواط، المسيلة .

5 - فضاءات البرمجة الإقليمية «الهضاب العليا -شرق»، وتتضمن ست (06) ولايات وهي : سطيف، باتنة، خنشلة، برج بوعريريج، أم البواقي، تبسة .

6 - فضاءات البرمجة الإقليمية «الهضاب العليا - غرب»، وتتضمن خمس (05) ولايات هي : تيارت، سعيدة، تيسمسيلت، النعامة، البيض .

على مستوى الجنوب :

7 - فضاءات البرمجة الإقليمية «جنوب غرب» وتتضمن ثلاث (03) ولايات وهي : بشار، تيندوف، أدرار .

8 - فضاءات البرمجة الإقليمية «جنوب شرق» وتتضمن أربع (04) ولايات : غرداية، بسكرة، الوادي، ورقلة .

9 - فضاءات البرمجة الإقليمية «الجنوب الكبير» وتضم ولايتي (02) : تامنغست وإليزي. ولا يتعلق الأمر بمقارنة أو مفاضلة بين الأقاليم بل بضمان تنميتها بطريقة منسجمة، بما يتناسب وطاقة التحمل لدى الأوساط الطبيعية دون أن تتدهور.

خريطة فضاءات البرمجة الإقليمية



خريطة فضاءات البرمجة الإقليمية

عن : قانون رقم 10-02 المؤرخ في 29/06/2010 المتضمن المصادقة

على المخطط الوطني لتهيئة الإقليم

أهداف المحافظة على التراث الثقافي في ظل المخطط الوطني لتهيئة الإقليم :

- بناء إقليم مستدام، وإعطاء أهمية دائمة للعلاقة بين التنمية وأعباء البيئة من أجل ضمان ديمومة رأس المال الطبيعي والثقافي، قصد نقله للأجيال القادمة ضمن سياسة الدولة التي بدأت في إنتهاجها خلال العشرين سنة القادمة .
- هذا المخطط ليعني إهمال هذه الأقاليم، وتركها للمصادفة، فكل جزء من التراب الوطني يمثل أحد عناصر الثروة الوطنية، ولكل منها الحق في التطور والإزدهار وهذا في إطار استراتيجية شاملة
- إن الحفاظ على التراث الثقافي وتثمينه مبني على جوهر هوية الإقليم، وليس فقط على شكله الفضائي.
- فيإتخاذ الهوية والإقليم كعنصرين محددتين للمخطط التوجيهي للمناطق الأثرية

والتاريخية فإن قطاع الثقافة قد وضع خارطة أولويات من أجل حماية وتثمين التراث الثقافي وأهم هذه الأولويات :

* أصناف التراث الثقافي التي لم يتم حمايتها ولا تثمينها بصفة مقبولة (مواقع ما قبل التاريخ، القصبات، القصور، قرى تقليدية) .

* المناطق الصحراوية التي لم تخضع أصلا لأي نظام حماية .

* كبريات مواقع المقاومة الشعبية.

* تراث مشترك (قرطاجي، روماني، وندالي، بيزنطي، إسلامي، عثماني، استعماري) حيث يتم ربط أعمال الحماية والمحافظة بمفهوم يراعي توازن أصناف التراث الثقافي الوطني (مواقع، نصب، محميات أثرية، مراكز تاريخية، حظائر ثقافية).

* تنفيذ مسار إجمالي ومترابط، ينطلق بالجرد مرورا بالتصنيف والإسترجاع وينتهي بالتثمين مع المحافظة على القيم الثقافية وصونها.

- تنمية قطاع اقتصادي ثقافي مرتبط مباشرة بتثمين التراث الثقافي .

- تعزيز جاذبية وشهرة الإقليم، وتطوير السياحة والترفيه .

- جرد وتصنيف الممتلكات الثقافية المنقولة وغير المنقولة .

- بنك معلومات للتراث الثقافي غير المادي .

- ترميم وإعادة الإعتبار للمراكز التاريخية (القصبات، القصور، القرى التقليدية).

- تمثل برامج العمل الإقليمي المتسم بالتكامل، والذي يدعو إلى: الديمومة وإعادة التوازن، والجاذبية، والإنصاف الإقليمي، وهي الأوجه الأربعة لإستراتيجية تهيئة وتنمية الجزائر في آفاق 2030.

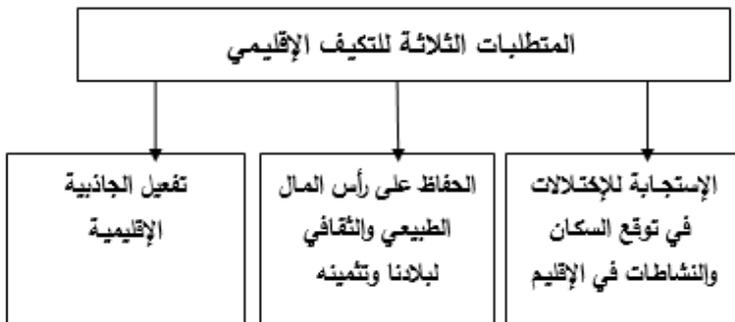
- إن أمة لا تعتمد في الإنطلاق على قوى المستقبل، تنتهي بعدم الإنتماء إلى هذا المستقبل : إذ أن كل إقليم يحمل مشروعا مستقبليا لا يمكن أن يتعرض للإندثار .

- توازن الإقليم الوطني من خلال تنمية قوية للهضاب العليا والجنوب لكبح التنمية الفوضوية للساحل وعصرنة الإقتصاد.

- خلق توازن بين مناطق الساحل، ومناطق الهضاب العليا (إنشاء المدن الجديدة مثل بوينان وبوغزول) بل وأيضاً التوازن بين الريف والمدينة، والتوازن المستدام للإقليم.
- الحث على التوزيع المناسب بين المناطق والأقاليم لدعائم التنمية ووسائلها بإستهداف تخفيف الضغوط على الساحل، والحوضر والمدن الكبرى وترقية المناطق الجبلية والهضاب العليا والجنوب.
- دعم الأوساط الريفية والأقاليم والمناطق والجهات التي تعاني صعوبات وتفعيلها من أجل إستقرار سكانها
- حماية الأقاليم والسكان من الأخطار المرتبطة بالتقلبات الطبيعية .
- الحماية والتممين والتوظيف العقلاني للموارد التراثية والطبيعية والثقافية، وحفظها للأجيال القادمة
- حماية التراث التاريخي، والثقافي وترميمه واثمينه، وحماية التراث الأثري المائي .
- حماية التراث الإيكولوجي (البيئي) الوطني وتنميته .
- يحدد هذا المخطط مبادئ وأعمال التنظيم الفضائي المتعلقة بالفضاءات الطبيعية، والمساحات المحمية، ومناطق التراث التاريخي والثقافي، كما يأخذ في الحسبان الخصوصيات المميزة لكل إقليم
- الإستغلال الأفضل للموارد المحلية بتطوير الصناعة التقليدية والسياحة والأنشطة الترفيهية التي تلائم الإقتصاد الجبلي .



الضروريات الثمانية للدفاع عن الإقليم وأمنه



العقبات (العوائق) :

- من الزاوية الإجتماعية هناك فوارق كامنة بين الفئات الإجتماعية والإقليمية (المناطق

الريفية والحضرية، الهضاب العليا، الساحل، الجبل، السهوب) إنها مشاكل مجتمع برمته، تمر حلولها عبر سياسة تقوم على الإنصاف والتضامن .

- هناك مسار انتقال تاريخي : ظهور اختلالات بين النخب التي تتجه نحو النواة الجديدة الناجمة عن الإنفتاح والعمولة بين أغلبية السكان .

- ارتفاع عدد السكان وتحول أغليبيتهم إلى حضرين وتمركزهم في المدن .

- شدة حرارة المناخ في الجنوب، وصعوبة المسالك ونقص الغطاء النباتي بسبب الحرائق .

- نقص التنمية والدعم الفلاحي في مناطق الهضاب العليا والتل والجنوب .

- عدم الإهتمام بالصناعة الوطنية .

- العزوف عن العمل في الفلاحة في بعض المناطق وتقلص المساحات الزراعية.

- ندرة مصادر المياه في بعض الأقاليم وتضاؤل الثروة الحيوانية والنباتية .

- تمركز المشاريع الصناعية بالمدن الكبرى مما أدى إلى النزوح الريفي المتواصل .

كيف نحمي التراث في إطار الإقليم (مقترحات):

- صيانة وتثمين المواقع التراثية ونتاج العديد من نماذج هذا الموروث، بأسلوب تراثي تقليدي يتم تسويقه في الأسواق المحلية والوطنية إضافة إلى تشغيل العديد من أفراد المجتمعات المحلية الأمر الذي يساهم في الحد من البطالة المتزايدة نتيجة التطور التكنولوجي، ودخول العمولة إلى كل مناحي الحياة .

- توعية الطلبة منذ مراحل التعليم الأولى، والإكثار من الرحلات المدرسية إلى المواقع الأثرية والتاريخية والمتاحف والمحميات .

- إبراز الطرز المعمارية والهوية الثقافية في التل والسهوب والسواحل والصحراء .

- الصيانة والترميم بالنسبة للآثار المنقولة أو غير المنقولة .

- دور التوعية والإعلام في حماية الممتلكات الثقافية، وما الإنتهاكات التي تتعرض لها المواقع الأثرية من قبل بعض المواطنين بدافع البحث عن الكنوز أو العبث المقصود وغير المقصود إلا تأكيد على إفتقار هؤلاء المواطنين إلى حس المسؤولية والحس الوطني، وعدم

تقديرهم للقيمة الكبيرة لهذا الموروث الثقافي .

- جمع وتوثيق التراث الثقافي المادي وغير المادي.

- جرد التراث الأثري والفني من أجل الخريطة الأثرية من جهة، والخرائط الوطنية للمخطوطات والصناعات التقليدية والأعياد المحلية والرياضة الشعبية من جهة ثانية لأن هذه الفنون والمهارات والمكتسبات قضى عليها الفقر المفروض، والنزوح المستمر نحو المدن، وأدوات التواصل والإتصال الحديثة .

- إنشاء نواة للمتاحف لكل مستوى في المؤسسات التعليمية .

- دعم المتاحف الموجودة في مختلف مناطق الوطن بهدف جمع وحفظ وتوثيق وصيانة التراث، وإنشاء متاحف تراثية جديدة تحتوي على مقتنيات مادية وكل ما يتعلق بالتراث غير المادي، بحيث يتم عرضها بأسلوب علمي وجذاب.

- اقتباس الرموز الزخرفية من تراثنا وتطبيقها على مختلف المواد كاللباس فنحن نرى رموزا غربية على لباس أفراد مجتمعنا، وصناعة الالبسة والأزياء الشعبية الخاصة بكل فضاء إقليمي.

- عمل قاعدة بيانات تتعلق بالتراث الثقافي الوطني والإقليمي ونشرها عبر شبكة الإنترنت العالمية ووسائل النشر المختلفة.

- صيانة ودعم الحرف والصناعات التقليدية وتعليمها، وإنشاء مراكز حرفية تقليدية جديدة تبرز تطور هذه الصناعات عبر الزمن بقصد المحافظة عليها وإحيائها وإستمرارها للأجيال المستقبلية.

- عمل أطلس إثنوغرافي للأقاليم المختلفة .

- تخصيص جوائز مادية وغير مادية لتشجيع الباحثين والدارسين المهتمين في الكتابة والبحث في هذا المجال .

- تخصيص برامج تراثية في الإذاعات المحلية ووسائل الإعلام الأخرى لنشر الوعي والإهتمام بالتراث الثقافي لدى المواطنين على إختلاف شرائحهم .

- إصدار قوانين وتعليمات تتعلق بإلزام الشركات والأفراد والمؤسسات الحكومية إستخدام طراز معماري لكل إقليم عند طلبهم الحصول على تراخيص البناء.

- تشجيع كل ولاية أوقرية أو بلدية على إبراز كل مالديها من آثار مادية وموروث شعبي، ومبدأ وحدة التراث لا يعني إغفال تنوع ألوانه، وقد يكون الملمح التراثي لقرية ما بسيطاً في معيار أهل المدينة ولكنه بالنسبة لسكان أهل القرية هو تراث عظيم وهام. - إجراء اللقاءات والمقابلات مع كبار السن والمقابلات الميدانية والشخصية والتسجيلات الصوتية والصور وغيرها من أساليب التوثيق العلمية المعروفة بهدف حفظها وإطلاع الأجيال الحالية والقادمة عليها.

- إعادة إحياء الأماكن التراثية والثقافية مثل: القصبات - الأسواق الشعبية - الساحات المكشوفة - المساجد القصور- الأضرحة والمقامات الدينية- المراكز الفنية - البيوت القديمة.

- ففي عصر العولمة تبقى الآثار والتراث والعنصر الرئيسي للتطور المحلي، فإذا كانت الممارسات التجارية ستتحوّل، فالتراث والآثار لا يمكن إخضاعه لهذه الأخيرة فهو يؤدي حتماً إلى تطور وتنمية مستدامة، إذا ما استغل ووظف وأعيدت هيكلته بأسلوب علمي .

- إشراك جميع فعاليات المجتمع المدني للحفاظ على التراث سواء المادي أو اللامادي .

- ضبط كفاءات وإجراءات التصنيف والجرد لإستكمال بطاقة التعريف بالتراث المادي وغير المادي .

خاتمة :

إن العناية والإهتمام بالتراث المادي وغير المادي ضمن المخطط الوطني لتهيئة الإقليم آفاق 2030 هدفه الإستثمار في البعد الفضائي (المساحي) ضمن إعادة الصورة للإقليم الجزائري، من أجل تحقيق التنمية المتكافئة والمستدامة في كل مناطق الوطن في إطار الإدارة والتخطيط الإستراتيجي، ويقوم هذا المخطط على ثلاثة متطلبات للتكيف الإقليمي، وهي : الإستجابة للإختلالات في تموقع السكان والنشاطات في الإقليم، وتفعيل الجاذبية الإقليمية، والحفاظ على رأس المال الطبيعي والثقافي لبلادنا وتثمينه، وثلاثة أسس لتهيئة الإقليم، وهي الرهان الديمغرافي، والرهان الإقتصادي، والرهان الإيكولوجي، ويستلزم بالنسبة على الجزائر مستقبلاً الإستمرار في توفير الشروط الملائمة من أجل المزيد من التنويع الإقتصادي الوطني، وتوزيع أفضل للأنشطة والسكان من أجل تدارك النقائص والإختلالات عبر الإقليم الوطني المشكل من تسع (09) فضاءات للبرمجة الإقليمية، فكل المحاولات التي سبقت هذا المخطط لم تكن واقعية وعانت من غياب دور السلطة والأموال والتصورات .

ومع تطور التكنولوجيات الحديثة بين ثقافات العالم المختلفة بدت تحديات كبيرة على التراث الثقافي ولم يعد التراث الجزائري بمنأى عن الأخطار وتحديات العولمة، وأصبح من الضروري إعادة صياغة المكان والزمان وربطه بذهنية السكان، والمجتمع المحلي، والسياحة التراثية والبيئية .

كما بدأ تطبيق هذا المخطط تدريجيا، حيث تم فتح ورشات كبرى عبر مجمل التراب الوطني (الطريق السيار شرق-غرب، إنشاء سدود كبيرة، تحويلات كبرى للمياه فيما بين الأقاليم، تعميم السكن، تطوير تكنولوجيات الإعلام والإتصال، والتربية والتكوين والصحة، وبناء الجامعات ...)، والهدف ليس في إعادة التوزيع بل أيضا في الحث والدفع والتوجيه، وخلق الثروات قصد تقوية وتعزيز الجزائر برمتها فالتراث هو الذي يمنح للإقليم هويته، ومنه الإقليم يعطي للتراث امتداده وتأثيره، بما أنه جزء لا يتجزأ من السيادة الوطنية .

هوامش البحث:

- (ابن منظور) أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، «مادة ورث»، ج3، 06، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 4808-4809 .
- القرآن الكريم، سورة الفجر، الآية 19
- القرآن الكريم، سورة النمل، الآية 16.
- (ابن كثير)أبوالفدا عماد الدين بن إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج3، ضبط وإخراج محمود عبدالكريم، دار القلم العربي، 2004، ص365.
- (خلاصي) علي« تطوير الحماية والإستثمار المناسب في المواقع الأثرية والمعالم التاريخية في الجزائر»، ضمن أعمال المؤتمر السادس عشر للآثار والتراث الحضاري (14-15 مارس 2002)، ج1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2003، ص223-224.
- (فكار) رشدي، علم الإجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا الإجتماعية، معجم موسوعي عالمي، (فرنسي-انجليزي-عربي)، مجلد 1: مصطلحات، دار النشر العالمية، جتنيز، باريس، 1980، ص 60.
- (فضلاء) محمد الطاهر، « التراث الثقافي يحمي المقومات » في مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية، العدد 06، ديسمبر 1993، جمعية التاريخ والتراث الأثري لولاية باتنة، ص90-92.
- (مام) مريم، «الموروث الثقافي في صناعة الهوية»، ضمن كتاب التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ماي 2010، ص 155.
- قانون رقم 04/98 المؤرخ في 15 جوان 1998، الصادر بالجريدة الرسمية الجزائرية بتاريخ 1998/06/17، رقم 44 والمتعلق بحماية التراث الثقافي، المادة 02، ص 04.
- (مطروح) أم الخير، «الحفاظ على التراث الثقافي والحضاري الصامد » ضمن كتاب أبحاث، العدد 02، تاريخ وتراث منطقة النشريس، منشورات دار الثقافة لولاية تسمسيت، 2013، ص 102.
- قانون رقم 04/98، الخاص بحماية التراث الثقافي، المادة 8، ص 05.

- (مطروح) أم الخير، المرجع السابق، ص 103.
- (خلاصي) علي، «حماية سلم القيم بحماية الثروة التراثية والموروث الثقافي»، ضمن أعمال الملتقى التقييمي السادس للبحث الأثري والدراسات التاريخية المنعقد بولاية عين تموشنت، 1998، ص 45.
- قانون رقم 04/98، الخاص بحماية التراث الثقافي، المادة 67، ص 13.
- (ابراهيم) محمد عبد العال، «المحافظة على التراث مطلب قومي وحضاري» في: المجلة المعمارية العلمية، العدد 04، كلية الهندسة المعمارية، جامعة بيروت، 1988، ص 25.
- (مطروح) أم الخير، «علاقة الآثار بالتنمية المستدامة في الجزائر» في مجلة دراسات تراثية، العدد 4، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (جامعة الجزائر 2)، 2010، ص 376.
- (خلاصي) علي، المرجع السابق، ص 41.
- (مطروح) أم الخير، المرجع السابق، ص 379
- المرجع نفسه، ص 391.
- الجريدة الرسمية الجزائرية، العدد 11، والمنشورة بتاريخ 2003/02/19، ص 05.
- (مطوري) أسماء، «التنمية المستدامة في الجزائر»، ضمن كتاب الثقافة البيئية .. الوعي الغائب، دار الثقافة، الوادي، 2008، ص 189.
- (مطروح) أم الخير، المرجع السابق، ص 381.
- المرجع نفسه، ص 388.
- (فكار) رشدي، المرجع السابق، ص 216.
- موقع الأنترنت: إقليم www.ar.wikipedia.org/wiki/إقليم
- قانون رقم 10-02 المؤرخ في 2010/06/29 المتضمن المصادقة على المخطط الوطني لتهيئة الإقليم، الصادر بالجريدة الرسمية الجزائرية رقم 61 بتاريخ 2010/10/21، ص 09.
- موقع الأنترنت: www.portail.cder.dz/ar/spip.php?article1384
- قانون رقم 10-02 المؤرخ في 2010/06/29، المرجع السابق، ص 09.
- قانون رقم 10-02، المرجع السابق، ص 16.
- المرجع نفسه، ص 05 .
- قانون رقم 10-02، المرجع السابق، ص 122.
- المرجع نفسه، ص 05.
- قانون رقم 10-02، المرجع السابق، ص 06
- قانون رقم 10-02، المرجع السابق، ص 16، 58.
- المرجع نفسه، ص 102، 112.
- المرجع نفسه، ص 118.
- قانون رقم 01-20 المؤرخ في 2001/12/12 المتعلق بتهيئة الإقليم وتنميته المستدامة، العدد 77، المنشور بالجريدة الرسمية الجزائرية في 2001/12/15، ص 20.
- المرجع نفسه، ص 21.
- المرجع نفسه، ص 22.

comm12005-.html

- 13 Ibid
- 14 Gauckler (P.), Musée de Cherchell, Paris, 1895, p. 166
- 15 Graw (P.), abris et ports antiques, Catalogue des ports antiques, Vol 1, 3ème édition, 2012, P.107
- 16 York (R.), Davidson (D.), Op-Cit, P.5
- 17 Sander (R.), fondation de la régence d'Alger, histoire des Barberousse, Paris, 1837, P.16
- 18 Ibid, P.67
- 19 Leveau (Ph.), « Caesarea Maurétanie Cherchell », in dossier d'archéologie, septembre 2003, P.20
- 20 Gsell (St.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T.2, Paris, 1918, P.143
- 21 Leveau (Ph.), Caesarea de Maurétanie, une ville Romaine et ses campagnes, Ecole Française de Rome, 1984, P.10
- 22 Ibid, P.14, 26,33
- 23 Cagnat (R.), l'armée romaine d'Afrique, Paris, 1913, P.280
- 24 Billard (L.), P.116
- 25 Sans Auteur, Un Amiral Marseillais, Le Chevalier Paul, Vice-Amiral de France, Ed. Principaux Libraires, 1883, P.6
- 26 M'Hamed (H.), « Port de Cherchell, Un canon du XVIe siècle récupéré », in El watan, 292007/12/
- 27 M'Hamed (H.), Op.Cit, P.12.

Références :

(Endnotes)

- 1 Source ; Office national de Gestion et d'Exploitation des Biens Culturels protégés.
- 2 Brunet-Gaston(V.), l'archéologie sous-marine et subaquatique, SHAD, Besançon, 2010, P.5
- 3 Muckelroy (K.),Maritime Archaeology. Cambridge University Press, 1978, P.9.
- 4 Delgado (J.), Encyclopaedia of Underwater and Maritime Archaeology, Yale University Press, 1997,P260
- 5 Dumas (F.), épaves antiques, introduction à l'archéologie sous-marine méditerranéenne, éditions Maisonneuve et Larose, 1964, P.13
- 6 International Council on Monuments and Sites, Charte international sur la protection et la gestion du patrimoine culturel subaquatique, ICOMOS, 1996, P.1.
- 7 Organisation des Nations unies pour l'éducation, la science et la culture, Convention sur la protection du patrimoine culturel subaquatique, UNESCO, 2001, P. 2
- 8 Bouchenaki (M.), « A propos du port antique de Tipasa », in Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb, N°8, 1970,P.27
- 9 Marec (E.), « le golf de Bône et la recherche archéologique sous-marine », in Bulletin de l'Académie d'Hippone, 19361961-, N°8, P. 26
- 10 Ferdi (S.), « recherches archéologique subaquatique effectuées sur la cote algérienne », in seminarion le struttura dei porti e degli approdi antichi, ANSER, Roma, 2004, P.205
- 11 York (R.), Davidson (D.), Roman harbours of Algeria, Maghreb project, 1968, P.5
- 12 Groupe de Recherche en Archéologie Naval, Communiqué de Presse n°22005/, http://archeonavale.org/communication/comm_presse/

récit sur une bataille navale : « le duc de Beaufort cingla, avec le chevalier Paul, du côté de Tunis pour y chercher les corsaires africains. Un combat opiniâtre fut livré sous le fort de la Goulette. Il se termina par l'incendie des trois principaux vaisseaux ennemis et par la dérouté du reste. Le duc de Beaufort, s'étant ensuite arrêté dans la rade d'Alger, dépêcha le chevalier Paul avec plusieurs vaisseaux pour aller à la chasse des corsaires algériens. Le chevalier partit sans attendre le gros de son escadre, et, avant rencontré cinq bâtiments barbaresques, il les poursuivit, les obligea à aller mouiller à l'ouest d'Alger, au fort de Cherchell, et les canonna jusque dans leur retraite. Attirés par le bruit de ses canons, les autres vaisseaux de son escadre vinrent le joindre. Le duc de Beaufort y alla aussi avec sa flotte, mais il ne restait pour ainsi dire plus rien à faire quand il arriva. Déjà le chevalier Paul avait mis le feu à deux des vaisseaux algériens, et réduit les autres à la dernière extrémité. Ceux-ci ne tardèrent pas en effet à se rendre. »²⁵ Sur cet évènement, deux emplacement peuvent être évoqué ; le premier, à l'intérieur du port actuel ou lors des travaux d'aménagement de ce dernier, en 2007, au cours des opérations de dragage, des canons dont un faisait plus de 2 mètres de long ont été récupérés des fonds marins²⁶ . Le deuxième, à l'est du port de Cherchell ou les jeunes du club de plongée Kheir Eddine Barberousse, de l'association Maarif de Cherchell, avaient, en 1990, localisé et identifié 24 canons, immergés à quelques mètres de la surface de la mer²⁷.

Une étude typologique de ses canons permettrait de les dater et de poser une hypothèse qui les associerait à un évènement bien précis.

Conclusion :

En conclusion, il faut souligner l'importance de réfléchir à comment étudier ce patrimoine encore inconnu dans notre pays, mais aussi, et surtout, comment protéger ce dernier en mettant en place des méthodes d'études et des protocoles de protections efficaces et bien précises.

vestiges archéologiques engloutis sous les eaux que ce soit en termes d'infrastructures marines ou d'épaves de navires.

Un cas d'étude ; « de Ilo à Caesarea à Cherchell » :

Caesarea de Maurétanie, dont l'emplacement est occupé par la ville de Cherchell, fut une des plus importantes villes romaines d'Afrique du Nord. Capitale d'un royaume maure, puis d'une province romaine¹⁹ elle fut aussi une importante ville à l'époque ottomane.

Le nom de **IoL** figure dans la liste des comptoirs puniques énumérés par le Pseudo-Sylax, sur la cote septentrional du Maghreb²⁰, c'est une cité d'origine phénicienne qui résulte de l'installation de ses derniers sur tout le long du littoral d'Afrique du nord. Son port ne devait pas être sans importance, le Pseudo-Sylax comme plus tard Strabon emploient un terme qui désigne le port par excellence par opposition au simple abri²¹.

Quand à **Caesarea de Mauretanie**, c'est le nom donné par Juba II en l'hommage à Jule Cesare, en 25 av-J, Juba II fit de sa capitale une ville importante, entourée d'une enceinte, l'une des plus grande du monde romain, avec en son sein plusieurs monuments ; théâtre, amphithéâtre, cirque, qui rivalisaient avec les plus grands monuments de l'époque²². Quand au port, il était vraisemblablement grand ! Conçu sur un plan d'un port double, le premier militaire, qui pouvait, selon Cagnât, accueillir une flotte de 13 Liburnes. Et un port marchand dont la superficie protégée était d'à peu près de 9ha²³.

Et enfin, **Cherchell**, qui, après une longue période d'oubli, a retrouvé son ampleur et son importance après la venue des Barberousse en 1516 qui ont réaménager le port en construisant une nouvelle jetée et un centre de construction navale²⁴.

Dans la biographie du lieutenant général des armée naval ; le vice-amiral Jean-Paul de Saumier dit « le chevalier Paul », on peut lire un

Potentiel de l'Algérie en vestiges archéologiques sous-marin :

Malgré l'absence d'étude de vestiges sous-marin et l'inscription de ces derniers dans la liste d'inventaire (mis à part les anciens ports qui sont annexés au villes et non considérés comme partiellement sous l'eau), l'Algérie regorge de biens culturels qui gisent au fond de l'eau, parmi les première découvertes, on citera celle d'une galère antique en bois d'acajou qu'on trouva échouée dans la vase à l'entrée du port romain de Cherchell et d'où on extraira une vingtaine d'amphores et de grandes jarres¹⁴.

Un exemple comme celui-ci peut très bien se répéter, vu que sur la cote algérienne, pas moins de 60 abris maritimes sont cités dans des sources anciennes et par des auteurs modernes¹⁵, dont 27 ports antiques identifiés et localisés par des prospections in situ¹⁶, et autant de ports à l'époque médiévale, surtout au temps de la régence d'Alger, ou on peut citer 6 centres de construction navale dont 2 grands centre à Alger et a Cherchell, ou on pouvait construire 500 navires de guerre en l'espace d'une année¹⁷. Il ne faut pas oublier aussi, qu'au temps de la régence d'Alger, les navires de guerre étaient souvent engagés dans des batailles. On peut citer une des plus connues et qui a coûté une grande perte aux ennemis des Ottomans d'Algérie : l'attaque d'Alger par Charles Quint, en 1541, qui a couté à ce denier environ 200 navires, perdu après une bataille farouche contre les algérois au portes d'Alger et une tempête qui c'est abattue sur la flotte contraignant l'empereur à rembarquer sans pouvoir prendre la ville¹⁸. N'oublions pas aussi le nombre important des échanges commerciaux, depuis l'antiquité, sur tous le bassin méditerranéen ou la cote algérienne avec ses 1200km et ses ports qu'on a précédemment évoqué, ne peut que présenter une activité commerciale très intensive. Tous ces évènements et tellement d'autres qu'on n'a pas cité, nous présage la présence d'un potentiel considérable en terme de

moderne ; un « ferrographe inshore graphic model » utilisant des ondes ultrasonores et divers appareils de plongée¹¹.

Ce n'est qu'en 2005 que des opérations de recherche scientifique en archéologie sous-marine reviennent à l'actualité en Algérie. Une première opération unique en son genre a permis la découverte du site de naufrage du Sphinx (navire de la marine royale Française, échoué au Cap Matifou à l'Est d'Alger) ainsi que la localisation d'un site de naufrage non daté, d'un petit caboteur transportant dix meules de pierre (des meules pesant environ 800 kg chacune, sans doute destinées à des moulins à huile) les deux dans la localité d'el Marsa, tout près d'Alger¹². C'est dans le cadre d'un projet du programme européen Euromed Heritage II « La navigation du savoir – Réseau des arsenaux historiques de la Méditerranée » placé sous la responsabilité de l'Université de Malte et de l'UNESCO que des stagiaires algériens ont pu participer à un chantier de formation aux techniques de l'archéologie sous-marine mis en œuvre par le Groupe de Recherche en Archéologie Navale avec le soutien administratif et financier du Ministère de la Culture d'Algérie et la contribution de la Marine algérienne¹³. Mais malheureusement, malgré les souhaits affichés de l'Algérie de se doter d'un laboratoire d'archéologie sous-marine chargé de la protection de la mise en valeur du patrimoine culturel subaquatique, cette dernière opération marquera la fin de toute activité de recherche scientifique, liées à l'archéologie sous l'eau en Algérie.

Notons tout de même l'effort du nouveau musée national maritime d'Alger qui a créé un département de recherche en archéologie sous-marine en 2015 et qui, pour cela, a formé une équipe de cinq archéologues plongeurs. Cette équipe n'a toujours pas de projet inscrit en son programme mais espère être le point de départ d'un domaine encore inexistant en Algérie.

des antiquités avant l'indépendance, ont été rares et peu systématiques. De plus, aucune découverte importante lors de la construction des ports ou des dragages côtiers, n'avait été enregistrée, permettant d'ouvrir la voie à une véritable recherche. Quelques plongées ont été effectuées ca et la, par des amateurs en général. Ces plongées sont tout juste signalées dans des notices très brèves. Elles ont eu lieu dans des sites comme Chercell, Tipaza et Annaba⁸, on citera cette dernière comme exemple, ou le « Harpon club de Bonne » parmi les plus anciens clubs de plongée en Algérie, y a effectuer des prospections archéologiques et a même localisé une épave romaine de plus de 35 mètres et remonté beaucoup d'amphores⁹.

Ceci dit, la plus part des « recherches d'archéologie sous-marine » d'avant 1960, qu'on trouvera citées dans différents articles, font état « d'opérations de dragage du fond marin » qui pouvait arriver jusqu'à 40m. Il faut remarquer, cependant, qu'une fouille sous l'eau est généralement une opération de longue haleine et qui nécessite, de même que la prospection sous-l'eau, l'utilisation de techniques perfectionnées et des moyens très important. Il est vrai qu'à travers le monde, lors de ses dernières décennie, le matériel de plongée a beaucoup évolué permettant à cette discipline d'être plus répandue dans les domaine des sports et des loisir ceci dit, en Algérie, la discipline est restée un peu en retrait et manque cruellement de développement et de vulgarisation.

Les premières explorations scientifiques, effectuées par des chercheurs, dans le domaine de l'archéologie sous-marine on débute en 1968¹⁰. Une mission archéologique anglaise composés de deux plongeurs ; York et Davidson, a effectué une série de plongées tout le long du littoral Algérien pour rechercher soit des gisements provenant d'épaves antiques ou d'éventuels vestiges de constructions qui devaient servir d'abris ou de port. Les deux plongeurs étaient équipés d'un matériel de prospection

navale » ainsi que les différentes techniques de navigation⁴.

Une Définition :

Mr Frédéric Dumas, pionnier de l'archéologie sous-marine écrivait en 1964 que le domaine de l'archéologie sous-marine comprend les ports et les villes englouties, les épaves et les sites marqués par des ancres et par des débris de poteries qui jalonnent les routes des navires antiques⁵.

La première définition du patrimoine culturel subaquatique dans un cadre international est établie en 1990 par le Conseil International des Monuments et des Sites ; l'ICOMOS dans « La charte internationale sur la protection et la gestion du patrimoine culturel subaquatique » le texte définit ce dernier comme étant le patrimoine archéologique qui se trouve dans un environnement subaquatique ou qui en a été retiré. Ceci comprend les structures et les sites submergés, les lieux de naufrage, les épaves et leur contexte archéologique et naturel⁶. Une définition plus détaillée et exacte ne viendra qu'en 2001, dans le texte de la Convention sur la protection du patrimoine culturel subaquatique établie par l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture; l'UNESCO. Cette dernière entend par «patrimoine culturel subaquatique» toutes les traces d'existence humaine présentant un caractère culturel, historique ou archéologique qui sont immergées, partiellement ou totalement, périodiquement ou en permanence, depuis 100 ans au moins, et notamment : les sites, structures, bâtiments, objets et restes humains, ainsi que leur contexte archéologique et naturel ; mais aussi les navires, aéronefs, autres véhicules ou toute partie de ceux-ci, avec leur cargaison ou autre contenu, ainsi que leur contexte archéologique et naturel ; et enfin, les objets à caractère préhistorique⁷.

Historique des recherches :

Les explorations sous-marines effectuées sur la côte par les services

la définition change selon le pays Francophone ou anglophone. On trouvera de ce fait les appellations suivantes :

Dans les pays francophones, L'archéologie subaquatique et l'archéologie sous-marine, ont en commun le milieu d'exercice aquatique, néanmoins, il faut faire la distinction entre ces deux catégories dont la première se pratique dans les eaux douces et fermées (des lacs et rivières) et la seconde, dans les eaux salées et ouvertes de la mer². En effet, en France, la notion commune d'archéologie "sous l'eau" (de l'anglais underwater Archeology) a été dépassée pour distinguer, que ce soit sur le plan juridique comme scientifique, l'archéologie sous-marine de l'archéologie subaquatique.

Dans les pays anglophones on distingue deux disciplines qui étudient les vestiges archéologiques qui sont sous l'eau. On commencera par une présentation et une traduction littéraire des deux ; « **underwater archaeology** » qui signifie l'archéologie sous l'eau et « **maritim archaeology** » qui est l'archéologie maritime. Ses deux appellations s'entre croisent vu que la première signifie toutes pratiques archéologiques s'effectuant sous l'eau, qu'elle soit dans un milieu marin ou autre « fluvial, lacustre », et de différente nature « sites archéologiques engloutis, ports, épaves » tandis que la deuxième étudie tous les vestiges archéologiques qui résultent de la relation de l'homme avec la mer, que ce soit à travers des vestiges immobiles comme les sites archéologiques et les ports antiques ou même le mobilier archéologique comme l'étude de techniques de construction à travers les outils ou encore les sources écrites³.

Finalement, une seule discipline s'accorde entre, ce que j'appellerais, les « deux écoles » que cela soit dans l'appellation ou le sens, c'est l'archéologie navale. Cette dernière étudie tout ce qui est en relation avec la construction des bateaux et des différentes embarcations« architecture

heritage.

Mots clefs : Archéologie sous-marine, Archéologie subaquatique.

Key words : Nautical Archaeology, Underwater archeology.

Introduction :

L'Algérie est un pays riche en patrimoine culturel et archéologique, plus de 370 sites classés, dont 7 dans la liste du patrimoine mondial¹, ayant eu en son territoire Césarée (actuellement Cherchell) une Capital de la province romaine, qui s'étendait jusqu'à l'Océan Atlantique et dominé au temps de la régence d'Alger, sur une grande partie de la méditerranée. Ce pays qui possède un grand potentiel archéologique sur son territoire ne peut que cacher un immense potentiel en patrimoine archéologique sous-marin encore, peut-être plus riche, impatient d'être découvert et d'être étudié.

L'Algérie ne dispose d'aucun inventaire de ses sites archéologique sous-marin. Certes, quelques sites sont connus par les plongeurs mais les explorations et les recherches scientifiques ont été très rares et peu documentées. Tout d'abord, avant de parler sur le probable potentiel de l'Algérie pour ce qui concerne ce patrimoine culturel englouti, posons-nous les questions suivantes; que veut-on dire par archéologie sous-marine ? Quel sont les biens culturels matériels qui font partie de cette archéologie ? Et puis quel est la nature des sites qu'étudie cette archéologie « sous l'eau » ?

L'archéologie sous l'eau ?!

Une terminologie :

On distingue plusieurs appellations qui sont liées à l'étude des vestiges archéologiques qui sont ou étaient engloutis sous l'eau. Cette appellation change de sens selon une origine simple qui est la langue. Au final,

L'archéologie sous-marine en Algérie, état actuel et perspectives d'avenir.

Dr. KHELLAF Rafik

Centre Universitaire Morsli Abdellah Tipaza

Résumé :

L'archéologie sous-marine a connu un essor fulgurant durant ces dernières années. Beaucoup de découvertes à travers le monde ont fourni des données scientifiques d'une valeur inestimable. Néanmoins, ces découvertes restent peu nombreuses en comparaison avec les découvertes en archéologie terrestre. Les fonds marins renferment encore beaucoup de richesses. Beaucoup de régions ne disposent d'aucun inventaire de ses sites archéologique sous-marin. Certes, quelques sites sont connus par les plongeurs mais les explorations et les recherches scientifiques ont été très rares et peu documentées. Le but de cette étude, en plus de donner une définition et une typologie exacte du patrimoine archéologique sous-marin, est de revenir sur les découvertes et études effectuées en Algérie et de mettre le point sur l'importance de ces dernières.

Abstract:

The underwater archeology has known a lightning increase through the last years. Many discoveries all over the word provided valuable scientific information. However, these discoveries remain fewer than the terrestrial ones. The seabed still contains an amount of wealth. Many regions are not provided with inventory of the underwater archeological sites. It is obvious that some sites are widely known to the divers but the scientific explorations and the researches are few and not well documented. This study aims to go back on the discoveries and the studies performed in Algeria and focus on their importance. Besides to precise the definition and the exact types of the underwater archeological

Sommaire

L'archéologie sous-marine en Algérie, état actuel et perspectives d'avenir. Dr. KHELLAF Rafik	5
---	---



République Algérienne Démocratique et Populaire
Ministère de l'enseignement supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université de Tlemcen



Revue

Minbar Et-Tourath El-Etheri

Revue scientifique indexée spécialisée en patrimoine archéologique

Numéros : 05 - Décembre 2016

Réalisée par le laboratoire :
Patrimoine archéologique et sa valorisation

2012 - 4129

ISSN 2335 - 1500